

# فاطمة والخلافة

دراسة لدور الزهراء (س) في مسيرة  
النبوة والإمامة

الشيخ محمد رضا النعماني





# مكتبة مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق  
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .  
(الإمام الصادق ع)

[moamenquraish.blogspot.com](http://moamenquraish.blogspot.com)

# فاطمة والخلافة

دراسة لدور الزهراء في مسيرة النبوة والامامة

الشيخ محمدرضا النعماني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ \* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ \* إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾

قال رسول الله ﷺ:  
«يا فاطمة إن الله عز وجل يغضبُ لغضبِكِ ويرضى لِرِضاكِ»  
[ذخائر العقبى ص ٣٩]



حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

اسم الكتاب: فاطمة والخلافة

عدد النسخ: ١٥٠٠

عدد الصفحات: ١٩٨

الطبعة: الاولى

الناشر: **فسيروحي**

المطبعة: شريعت

مركز التوزيع:

مكتبة الامام الصادق (ع) ايران - قم پاساژ قدس - بلاک ٥١

تلفون ٧٧٤٠٠٥٥ - فاكس: ٧٧٤٤٧٠٦

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.  
ما من شك ان التاريخ لم يَفِ للزهراء فاطمة عليها السلام حقها، رغم مكانتها السامية ومقامها الكبير عند الله تعالى ورسوله ﷺ، وما انفردت به من خصائص دون سواها. فاذا تصفحنا التاريخ فسوف نجد حوادث ووقائع غير مترابطة لا تعبر - غالباً - عن شخصيتها ودورها في مسيرة الاسلام.  
وقد يبرز البعض ذلك بوهج أبيها ﷺ، وتاريخه المشرق وسيرته العطرة، التي هي كالشمس يخبو عندها كل نور مهما عظم وتوهج.  
وقد يقول البعض ان عمرها القصير، والفترة المحدودة التي عاشتها بعد أبيها ﷺ لم يتح لها الكثير مما كان يجب ان يسجله التاريخ عنها في صفحاته، باستثناء بعض المواقف التي تتعلق بفدك والخلافة.  
ونحن وان كنا لا نقلل من أهمية تلك المبررات ولكننا في الوقت نفسه نقول ان تلك المبررات - أو غيرها - لا تعفي الباحثين من تتبع سيرة حياتها الكريمة وتسجيلها بكل إجلال وتقديس، وذلك لأن الزهراء لم تكن - من منظور السماء والنبوة - مجرد بنتا للرسول ﷺ، أو امرأة جسدت اروع نماذج المرأة المسلمة في مجتمع النبوة المقدس، بل كانت كما تفيد النصوص القطعية المتواترة: مضموناً هائلاً

يمثل معلماً من اهم معالم الاسلام، وركناً من اهم اركانه.

ولهذا السبب لو تتبعنا السيرة والتاريخ بعين بصيرة سنجد ان أعباء الاهمال الكبير، والتجاهل المتعمد لشخصيتها ودورها، تتحمله السياسة والقادة الذين تقلبوا على عرش الخلافة، فهم بين ساب لها ولاعن، الى مستهزء ساخر ولن تجد الا القليل - على امتداد مسيرة مئات الاعوام من وقف عند الحد الادنى مما تستحقه فاطمة الزهراء عليها السلام.

يروى ابن عبد ربه في العقد الفريد: ان المهدي رأى في منامه شريكاً القاضي مصروفا وجهه عنه فلما انتبه قص رؤياه على الربيع فقال: ان شريكاً مخالف لك وانه فاطمي محضاً. قال المهدي: عليّ بشريك. فأتى به فلما دخل عليه قال: بلغني انك فاطمي؟ قال: أعيذك بالله ان تكون غير فاطمي إلا ان تعني فاطمة بنت كسرى. قال: لا ولكن اعني فاطمة بنت محمد. قال: فتلعنها؟ قال: لا معاذ الله قال: فما تقول في من يلعنها؟ قال: عليه لعنة الله. <sup>(١)</sup>

وكذلك عن يحيى بن يعمر العامري قال:

(بعث اليّ الحجاج فقال: يا يحيى انت الذي تزعم أن ولد علي من فاطمة ولد رسول الله ﷺ؟ قلت له: إن أمنتني تكلمت. قال: فانت آمن. قلت له: نعم اقرأ عليك كتاب الله، إن الله يقول: ﴿ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا - الى ان قال - وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين﴾ <sup>(٢)</sup> وعيسى كلمة الله وروحه القاها الى العذراء البتول، وقد نسبته الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام. قال: ما دعاك الى نشر هذا وذكره؟ قلت: ما استوجب الله عز وجل على اهل العلم في علمهم ﴿لتبيننه للناس ولا تكتمنه﴾ <sup>(٣)</sup> قال: صدقت ولا تعودن لذكر هذا ولا نشره) <sup>(٤)</sup>

(١) البحار ج ٤٣ ص ٤٣.

(٢) الانعام ٨٥.

(٣) آل عمران ١٨٧.

(٤) بحار الانوار ج ٤٣ / ٢٢٨.



لقد وجد هؤلاء ان مسيرتها وتاريخها يترايط ترابطاً تاماً مع مسيرة زوجها امير المؤمنين علي عليه السلام الذي كانت الزهراء عليها السلام تؤمن بأن النبي ﷺ قد نص عليه لتولي الخلافة من بعده، كما في حديث المنزلة، وحديث الدار، وفي خطبة الغدير وغيرها من النصوص. فكان من الطبيعي - بحسب منطق الاحداث المادية - أن يُطمس تاريخها الى درجة غير معقولة. فترى الاضطراب والتشويش والتحريف في تاريخ ولادتها ووفاتها وسيرتها ومواقفها سلام الله عليها، وهي ريحانة رسول الله ﷺ وموضع اهتمامه ورعايته. وكان المسلمون يعرفون ذلك من فمه وسيرته معها وذلك يكفي للاهتمام بها غاية الاهتمام لا العكس.

وعلى كل حال فان المؤرخين، الذين كتبوا السيرة والتاريخ في ظل الحكومات والخلافات المعادية لاهل البيت، ووظفوه لخدمة السلطان ومصالحه الذاتية، مقابل فئات لا قيمة له من الدراهم والدنانير، قد غابت عنهم حقيقة ربانية، وسنة الهية من سنن الكون، وهي ﴿ان الله متم نوره ولو كره الكافرون﴾ فما قد يُغيب من حقائق، استجابة لرغبة السلطان، أو الهوى، أو المصالح الفردية والمذهبية، ستظهر كما هي بعد حين. والشواهد التاريخية على ذلك اكثر من ان تحصى.

يقول عمر بن عبدالعزيز:

كان أبي يخطب فلا يزال مستمراً في خطبته، حتى اذا صار الى ذكر عليّ وسبّه تقطع لسانه، واصفر وجهه وتغيرت حاله. فقلت له في ذلك فقال: أو قد فطنت لذلك؟ إن هؤلاء لو يعلمون من علي ما يعلمه أبوك ما تبعنا منهم رجل) (١)

وفي هذا الكتاب حاولت أن القي الضوء على دور الزهراء عليها السلام في المسيرة الاسلامية وهل ان ما صدر عن رسول الله ﷺ بشأنها كان ضمن المنهج الرباني في تكريس واقع الامامة في الحياة، بالنحو الذي يكون دورها في مرحلة ما بعد

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١٣ / ١٢٢.

الرسول كدور الانبياء في أداء مهمة محدّدة، وانها - ضمن هذا المخطط - هي التي ستتحمل مهام ذلك الدور وتلك المسؤولية، لتكون حجة الله البالغة في تثبيت خط الخلافة الصحيح بعد رسول الله ﷺ، وان ما صدر بحقها يفوق التكريم والتبجيل، ليرقى الى اعلى واسمى الوان القداسة الدينية، اذ لو كان دور الرسول ﷺ البلاغ، فان دورها كان تطبيقه على واقع الحياة، وهذا يقتضي جهداً مضاعفاً تحمّله الصديقة الكبرى.

وكان بالامكان دراسة حياة الزهراء عليها السلام على عدة أصعدة وبمستويات مختلفة وزوايا متنوعة، وقد نصل الى نتائج اكثر اهمية عن حياتها ودورها وموقعها في المسيرة الاسلامية، إلا اني وجدت ان البحث عن اكتشاف حلقات الترابط بين ما صدر بشأنها من نصوص من جانب، وبين مواقفها ودورها في تثبيت خط الامامة بعد وفاة الرسول ﷺ تفرضه اكثر من ضرورة، لاننا في الوقت الذي نؤمن بان حبّ اهل البيت ومودتهم فريضة واجبة وأحد الثوابت الاسلامية القطعية بنص القرآن الكريم، نؤمن كذلك بضرورة فهم ادوارهم ومواقفهم في خدمة الاسلام وتضحياتهم من اجله، فما قام الاسلام في حياة رسول الله ﷺ الا بسيف علي عليه السلام واموال خديجة عليها السلام وما استمرّ بعده ﷺ الا بتضحيات اهل بيته عليهم السلام وكانت صلوات الله عليها اول المجاهدين والمضحين، فيجب ان نفهم هذا الدور على اساس الوفاء لهم والافتداء بهم.

فقررت المضي على هذا المنهج في دراستي لحياة الزهراء عليها السلام وتركت الاجابة الى ما سينتهي اليه هذا البحث المتواضع. ولكن بنفس الوقت أؤكد على ان دور الزهراء عليها السلام في المسيرة النبوية وجهادها وتضحياتها ومواقفها، والهدفية في كل تلك المواقف غابت أو غُيبت اما عمداً من قبل المغرضين الحاقدين، أو نُسيّت من قبل المحبين، ولم يبقَ منها غير الظلامه وتاريخ القهر والاضطهاد والمصائب التي صُبت عليها. اما لماذا ظُلمت، ولماذا ثارت؟ فامور قد غابت الاجابة عنها في معظم ما

يكتب عن الزهراء عليها السلام رغم اهميتها. وقد بذلت جهدي في ابراز هذا الدور وفاءً لأم الأئمة التي حبها دين، وبغضها كفر، ومن اجدر منها بذلك وهي التي باهل بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأمر الله عز وجل نصارى نجران فقال:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُوا أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾<sup>(١)</sup>

وقال عز وجل فيها وفي ذريتها:

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾

ثم وجدت من الصعب ان اكتب بحثاً تحليلياً متواضعاً عن أهمية دور الزهراء في مسيرة الاسلام وتاريخه من دون ان اتعرض الى حياتها الكريمة التي لازالت بكرة رغم الكثير الذي كتب عنها فالزهراء عليها السلام ليست تاريخاً نقف عنده كنصوص جامدة رويت لنا من مصادر مختلفة، بل الزهراء قضية دين وامة، وسيرة وقدوة، لقد سارت فاطمة على خطى ابيها فكانت غودجه الثاني في معظم اقواله واعماله وخصائصه.

وعلينا ونحن في القرن الحادي والعشرين الميلادي وقد توسعت آفاق المعرفة البشرية، وتطورت فيه المدارك العقلية، واصبح الناس اكثر ميلاً الى ثقافة تنسجم - في اسلوب عطائها - مع اساليب العصر حتى في الدراسات والابحاث التي هي من هذا القبيل، والتي تتصف بالمحدودية، انها بحاجة الى تقديم جديد ينسجم مع ثوابت الاسلام وسيرة اهل البيت عليهم السلام، ومع ثقافة العصر وتطور مسيرة المعرفة الانسانية. بهذه الروح وعلى هذا الضوء أحببت ان اقف عند شخصية الزهراء عليها السلام، الشخصية الرائدة الشجاعة، المستبسلة في ذات الله عز وجل المصممة على اداء مهمة تثبيت خط الامامة والخلافة راجياً المولى تعالى ان يكتب لي التوفيق في ذلك، اداءً لحق بضعة المصطفى وروحه التي بين جنبيه، والحمد لله رب العالمين.



## الفصل الاول

### موجز السيرة الذاتية للزهراء

- \* ولادتها ونشأتها
- \* خصائص الزهراء وسجاياها
- \* أدبها مع أبيها..
- \* حبها لأبيها..
- \* أدبها مع زوجها..
- \* الزهراء في عبادتها..
- \* صدق لهجتها..
- \* الصبر والمواساة..
- \* الزهراء في علمها..



## ولادتها ونشأتها وسجايها

اختلفت الروايات في تاريخ ولادتها عليها السلام وبما ان منها ما يقوم على الاختصار، فسوف اقتصر على بعض تلك الروايات.

فمنها: ما ذكره الشيخ المفيد في كتاب حقائق الرياض انه يوم العشرين من جمادى الآخرة كان مولد السيدة الزهراء عليها السلام سنة اثنين من المبعث<sup>(١)</sup> ومنها: ما قاله ابو الفرج الاصفهاني في كتاب مقاتل الطالبين من ان مولدها كان قبل النبوة وقريش حينئذ تبني الكعبة<sup>(٢)</sup>

ويذكر ابو الفرج ان علياً تزوجها: في صفر بعد مقدم رسول الله ﷺ المدينة، وبني بها بعد رجوعه من غزوة بدر، ولها يومئذ ثمان عشرة سنة.

ومنها: ما رواه الكليني عن عبدالله بن جعفر وسعد بن عبدالله جميعاً، عن ابراهيم بن مهزيار عن اخيه علي بن مهزيار، عن الحسن بن محبوب، عن هشام بن سالم، عن حبيب السجستاني: قال: سمعت ابا جعفر يقول:

«ولدت فاطمة بنت محمد ﷺ بعد مبعث رسول الله ﷺ بخمس سنين،

(١) بحار الانوار، ج ٨/٤٣ ط دار احياء التراث العربي، الطبعة الثانية.

(٢) مقاتل الطالبين/ ص ٥٩/ شرح وتحقيق السيد احمد الصقر.

وتوفيت ولها ثمانى عشرة سنة وخمسة وسبعون يوماً»<sup>(١)</sup>

ومنها: ما في مصباح الكفعمي قال:

«ولدت فاطمة عليها السلام في العشرين من جمادى الآخرة يوم الجمعة سنة اثنين من المبعث وقيل: سنة خمس من المبعث»<sup>(٢)</sup>

ومنها: ما في كتاب دلائل الامامة لمحمد بن جرير الطبري الامامي، عن ابي الفضل الشيباني، عن محمد بن همام، عن احمد بن محمد البرقي، عن احمد بن محمد بن عيسى، عن عبدالرحمن بن ابي نجران، عن ابن سنان، عن ابن مسكان، عن ابي بصير، عن ابي عبدالله عليه السلام:

قال: ولدت فاطمة في جمادى الآخرة اليوم العشرين منها سنة خمس واربعين من مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاقامت بمكة ثمان سنين، وبالمدينة عشر سنين، وبعد وفاة ابيها خمساً وسبعين يوماً، وقبضت في جمادى الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه سنة إحدى عشرة من الهجرة.

هذا وقد ذكر المجلسي روايات اخرى عديدة تذكر انها ولدت بعد النبوة بخمس سنوات من روايات اهل البيت وروايات اهل السنة.

وهناك روايات كثيرة تؤكد على ان الزهراء عاشت ثمانية عشر عاماً وبضعة اشهر، وان النبي صلى الله عليه وآله وسلم توفي عن ثلاث وستين عاماً على الاكثر.

قال ابن الاثير: واختلفوا في عمره يوم مات. فقال ابن عباس، وعائشة، ومعاوية، وابن المسيب: كان عمره ثلاثاً وستين سنة.

وقال ابن عباس أيضاً وذغفل بن حنظلة: كان عمره خمساً وستين سنة، وقال عروة بن الزبير: كان عمره ستين سنة.<sup>(٣)</sup>

(١) البحار ج ٩/٤٣.

(٢) بحار الانوار ج ٩/٤٣.

(٣) الكامل في التاريخ ج ٢/ ص ١٩٦.



وان اخذنا بالروايات التي تقول انها ولدت في السنة الثانية من البعثة فيجب ان نلتزم ان النبي ﷺ توفي عن ستين عاماً وهو خلاف المروي والمعروف عند المسلمين. وإن جاءت فيه اقوال شاذة.

وعلى هذا يمكن ان يكون الاقرب للصحة ان الزهراء عليها السلام ولدت في العشرين من جمادى الآخرة في السنة الخامسة من مبعث النبي ﷺ.

نشأت الزهراء صلوات الله وسلامه عليها في بيت الوحي والنبوة، وتربت على يد خاتم المرسلين ﷺ فتعلمت مكارم الاخلاق، وجميل الصفات فكانت كما كناها ﷺ (ام ابها).

وقفت عليها مع ابها المصطفى ﷺ في كل مراحل حياته وجهاده من أجل الاسلام تذب عنه، وتدافع عن رسالته، تداوي جروحه في مكة، وفي شعب ابي طالب حيث عاشت معه الحصار والفاقة، ثم هاجرت معه الى المدينة.

تقول ام سلمة: «تزوجني النبي ﷺ بعدما دخل المدينة وفوض أمر ابنته إليّ فكنت أودبها وكانت والله آدب مني، وأعرف بالاشياء كلها»<sup>(١)</sup>.

تزوجت بأمر الله تعالى من علي بن ابي طالب عليها السلام فكانت نموذجاً اسمى للزوجة في كل تفاصيل الحياة الزوجية سواء في ادارة بيتها، أو تربية اولادها، أو علاقتها بزوجها. يقول علي عليه السلام:

( فوالله ما أغضبته، ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عزوجل، ولا أغضبني، ولا عصت ليّ أمراً، ولقد كنت انظر اليها فتتكشف عني الهموم والاحزان) وسوف نتعرض الى جوانب من حياتها وخصائصها وسجاياها فيما يأتي ان شاء الله.

(١) بحار الانوار ج ٤٣ قلاً عن دلائل الامامة.

## خصائص الزهراء وسجايها

للزهراء الطاهرة سلام الله عليها خصائص كثيرة ضمتها كتب السيرة والتاريخ، ويمكن تقسيمها الى نوعين:

**النوع الاول:** والذي يمكن ان نسميه بالاجتباء والاكرام الرباني لها وذلك بمنحها جملة من الصفات والمقامات الرفيعة السامية التي عبرت عنها بعض تسمياتها والقابها كفاطمة والبتول والسيدة، والعذراء، والزهراء، والخوراء، والمباركة، والطاهرة والزكية، والمحدثة، ومريم الكبرى، والصديقة الكبرى وغير ذلك.

ولكل من هذه الاسماء معنى عقائدياً كبيراً وليس مجرد تسمية يراد بها التكريم والتعظيم فقد ورد مثلاً كما في عيون اخبار الرضا بالاسناد الى دارم قال: «حدثنا علي بن موسى الرضا ومحمد بن علي عليهما السلام قالوا: سمعنا المأمون يحدث عن الرشيد عن المهدي، عن المنصور عن أبيه عن جدّه قال: قال ابن عباس لمعاوية: أتدري لم سميت فاطمة فاطمة؟ قال: لا.

قال: لانها فطمت هي وشيعتها من النار، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:»<sup>(١)</sup> وروي كذلك عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اني سميت ابنتي فاطمة لأن الله عز وجل فطمها وفطم من أحبها من النار.»<sup>(٢)</sup>

وهذا يشير الى جذور عقائدية عميقة لمعنى الحب الذي يعصم من دخول النار، ويجب ان نبحت بدقة عن تلك المبررات، ونحاول الربط الصحيح بين اطراف

---

(١) بحار الانوار ج ٤٣ / ص ١٢ و ذخائر العقبى ص ٢٦ ط عام ١٣٥٦ هـ اصدار مكتبة القدسي،

كنز العمال ج ٦ ص ٢١٩.

(٢) بحار الانوار ج ٤٣ / ١٢.

القضية. أي معنى 'ومفهوم حب الزهراء الذي يقطع من دخول النار، وبين ما وعد الله عزوجل من دخول العاصين النار، وكيف يَحُولُ حبها من دخول النار للعاصين والمذنبين.

وكذلك القول في اسمها الزهراء، وهو اسم يحمل معنى عقائدياً كبيراً، وقد جاء في تفسيره أنها عليها السلام كانت اذا قامت الى الصلاة يزهر نورها لاهل السماء كما تزهر الكواكب لاهل الارض.

روى الطالقاني عن الجلودي عن الجوهري، عن ابن عمارة عن أبيه قال:  
سألت ابا عبد الله عليه السلام عن فاطمة لم سُميت زهراء؟

فقال: لانها كانت إذا قامت في محرابها زَهَرَ نورها لاهل السماء»<sup>(١)</sup>.

فما هو النور الذي يزهر لاهل السماء، هل هو نور انقطاعها الكامل الى الله عزوجل، أو نور اخلاصها العظيم في عبادتها لله رب العالمين أو كما يقول الامام الصادق عليه السلام:

سُميت الزهراء؛ لأنَّ نورها اشتق من نور عظمة الله سبحانه، ولما اشرق نورها غشي ابصار الملائكة فخرجوا الى الله سجداً وقالوا: إلهنا وسيدنا ما هذا النور؟ فاحس اليهم هذا نوري اسكنته في سمائي، وأخرجه من صلب نبي من انبيائي، افضله على جميع الانبياء، واخرج من ذلك النور أئمة يقومون بأمري ويهدون الى حقّي، أجعلهم خلفائي في أرضي بعد انتضاء وحيي»<sup>(٢)</sup>.

فهل هو نور النبوة، ونور الامامة اجتماعاً فيها دون غيرها من الخلق اجمعين، فهي بنت سيد المرسلين وام الأئمة الطاهرين، وبها امتد النبي صلى الله عليه وآله نسباً ونبوة. كل هذه الامور بحاجة الى بحث وتحقيق لانها تتضمن معاني عميقة ودقيقة، وتكشف عن رؤية عقائدية رفيعة، لا ينبغي ان نمرّ عليها مرور الكرام.

(١) بحار الانوار ج ١٢/٤٣.

(٢) وفاة الصديقة الزهراء للمقرم تقياً عن المختصر للحسن بن سليمان ط النجف.

وقد احسست ان من التقصير - غير المغفور - بحق الصديقة الكبرى أن أهمل تلك المعاني دون أن أودي ولو نزرأ يسيراً من حقها فقررت أن اعيش في رحاب تلك السيرة العطرة، وأمرُ عليها لاشم عبقها واريبها، مكتفياً بالاشارة والاختصار، راجياً المولى تعالى ان يوفقني للكتابة عنها بما يجب وتستحق.

**النوع الثاني:** الصفات والخصائص الذاتية المكتسبة، والتي تعبر عن حجم ايمانها العميق بالاسلام، عقيدة وشريعة واخلاقاً، والذي وصلت به الى ذروة الكمال لا لأنها المختارة المجتابة من رب العالمين فقط، بل وباعتبارها امرأة من سائر المسلمين اصبحت قدوة ومناًراً، وعلماً للحق ونوراً يستضاء به بسبب حجم ايمانها بالله وتمسكها بدينها.

واذا كانت مسيرة الانسانية الصالحة بحاجة الى القدوة ﴿فبهدهم اقتده﴾<sup>(١)</sup> خطاب للرسول ﷺ و﴿لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة﴾<sup>(٢)</sup> خطاب للانسانية المؤمنة، فان المسيرة الايمانية طفحت بزخم هائل من المقتدين الصالحين وسجلت لهم ذاكرة التاريخ أجمل الصور واسماها فثلث صفحاتها زهواً وفخراً. وبرز من بين هؤلاء نماذج اصبحت - بحق - قدوة القدوة وغودجاً رائعاً لا يسع الانسان الا ان يقف امامه اجلاً واحتراماً.

وتأتي الزهراء في طليعة هؤلاء، بل سيدتهم جميعاً فكانت المثل الاروع في حبها لربها ولرسوله ﷺ وفي سلوكها الاخلاقي مع زوجها واولادها وخادمتها، وفي عبادتها وتقواها، وزهدا وتعففها، وجهادها في سبيل الله من اجل الامة والاسلام، وفي شجاعتها وتمرها في ذات الله عز وجل.

ورغم الظلم الفادح الذي نال الزهراء، بتعمد المؤرخين وكتاب السيرة على طمس كل تلك المعالم وقد نجحوا - للأسف الشديد - في اخفاء الكثير تحت ضغط

(١) الانعام / ٩٠.

(٢) الاحزاب / ٢١.

السياسات المعادية لاهل البيت عليهم السلام إلا أن النزر اليسير الذي استعصى على اولئك اخفائه يصلح ان يكون مؤشراً على ما تمتعت به الصديقة الكبرى من كمال جعلها في الذروة ديناً و اخلاقاً و ورعاً و زهداً. وبكلمة مختصرة: نموذجاً و تجسيداً حياً و صادقاً للاسلام بكل ما فيه من قيم.

ولنقف مع بعض تلك الجوانب، وقفة اقتداء و وفاء و اداء لحق بضعة المصطفى و سيدة نساء العالمين، من خلال عرض لبعض جوانب حياتها الشخصية.

### أدبها مع أبيها

محمد صلى الله عليه و آله و سلم سيد الانبياء و المرسلين، و سيد ولد آدم أجمعين فكيف لا يحق للزهراء عليها السلام ان تعتز و تفتخر به فَنَ مَثَلُ محمد، و مَنْ يَعِدِلُ محمدًا، و من وصل الى ما وصل اليه محمد من كمال و سمو و هو الذي قال عنه رب العالمين:

﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾<sup>(١)</sup>

و مع ذلك نرى الزهراء عليها السلام تنظر الى ابيها صلى الله عليه و آله و سلم نظرة المؤمن المتعبد، السامع المطيع.

لم تقع عليها السلام تحت تأثير البُنية له، فتصرف معه كما يتصرف الابناء مع الآباء، رغم علمها بحجم حبه و مودته لها، و هي التي كانت تسمعه يقول: فاطمة بضعة مني، فاطمة روعي التي بين جنبي.

نظرت اليه كرسول لرب العالمين، قبل ان تنظر اليه كوالد، و تعاملت معه كما يتعامل المؤمنون مع الرسل، و لم تسمح لروابط البُنية بتجاوز آداب النبوة. و كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يحب ان يرى و حيدته الصديقة تتعامل معه كأب، يسمع منها ما يسمع الآباء من ابنائهم، و تتصرف معه كما يتصرفون، خاصة و هو يعلم انها استكملت الايمان، فلا يمكن ان يصدر منها ما لا يليق و شأن الانبياء.

(١) القلم / ٤.

ومع ذلك بقيت محتفظة بقدسية النبوة وآدابها، تنظر الى ابها كني، قبل ان تنظر اليه كأب، فلم تقل له يا ابيه وانما يا رسول الله، مما دعاه ﷺ الى ان يقول لها: «قولي: يا أبة فانها احبى للقلب». فقد روى القاضي ابو محمد الكرخي في كتابه عن الصادق عليه السلام قال: قالت فاطمة:

لما نزلت ﴿ولا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾<sup>(١)</sup> هبت رسول الله ﷺ ان اقول له: يا أبة فكنت اقول: يا رسول الله فأعرض عني مرة أو اثنتين أو ثلاثاً ثم أقبل عليّ فقال:

يا فاطمة إنها لم تنزل فيك، ولا في اهلك ولا في نسلك، أنت مني وأنا منك إنما نزلت في اهل الجفاء والغلظة من قريش اصحاب البذخ والكبر قولي: يا أبة فانها احبى للقلب وارضى للرب»<sup>(٢)</sup>.

وهذا تعطي الزهراء عليها السلام درساً بليغاً في مستوى وطبيعة العلاقة بين القائد وابنائها، فهي كما شهدنا لم تغلب عاطفتها كبنت، على ما لمقام النبوة من جلال واحترام، وقدمت ايمانها بابيها كرسل لرب العالمين على كونها بنتاً له خوفاً من ان يكون ندائها له بيا أبتى مشمول بقوله تعالى ﴿ولا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾، وجاء الرسول ﷺ ليؤكد حقيقة تحمل من المعاني الكثير، وتدل على ما للزهراء من مكانة سامية عند الله ورسوله فيقول لها: يا فاطمة انها لم تنزل فيك ولا في اهلك ولا في نسلك، لانك جزء من الشخصية النبوية «أنت مني وأنا منك»، فلا يشملك الخطاب «فقولي يا أبة فانها احبى للقلب وارضى للرب».

لقد علمتنا كيف يجب ان نقف عند الحدود، وكيف نحترم القيم، وكيف نتعامل مع انفسنا ومع الناس، وكيف نجعل الايمان كابجاً للغرور والطيش، فها هي فاطمة بنت محمد ﷺ سيد الانبياء والمرسلين والناس اجمعين، لم تتخذ من مكانتها ومقامها

(١) النور/ ٦٣.

(٢) بحار الانوار ج ٣/ ٣٢٠.

وسيلة للاستعلاء على الناس، أو التكبر عليهم، وبقيت كما هي في سيرتها تنظر إلى نفسها كواحدة من المسلمين، من دون امتيازات خاصة، أو استثناءات فردية تميزها عن الآخرين، رغم أنها صلوات الله وسلامه عليها تستحق اعظم الوان التكريم والتقدير.

### حُبِّهَا لِأُيُّهَا

لقد أمر الله عز وجل المؤمنين بحب رسوله ﷺ ومودته واهل بيته عليهم السلام فقد روي عن النبي ﷺ انه قال: «فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده» (١).

وعن أنس قال: قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس اجمعين» (٢) وروى أنس أيضاً عن النبي ﷺ انه قال: ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما» (٣)

ومما لا ريب فيه ان رسول الله ﷺ ليس بحاجة الى حب الناس، فهو حبيب رب العالمين ونجييه وصفيه، الذي كرمه بما لم يكرم به احد فقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٤) ألا ان الحكمة الربانية اقتضت اضافة الى اعتبار حبه ﷺ عبادة من اعظم العبادات، وطاعة من أوجب الطاعات، ان تكون العلاقة بين الرسول وامته من

(١) صحيح البخاري ج ١ / ٧٠.

(٢) صحيح البخاري ج ١ / ٧٠.

(٣) صحيح البخاري ج ١ / ٧٠.

(٤) الاحزاب / ٥٦.

خلال قنوات الحب والمودة الخاصة، وتوظيف هذه العلاقة الى حب للمبادئ والقيم  
الربانية التي جاء بها من عند الله تعالى. فما اكبر الفرق بين من يؤمن وهو لا يحب،  
وبين من يؤمن ويحب:

﴿محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم﴾. (١)  
وأكد القرآن للمؤمنين والمسلمين ان رسول الله ﷺ الذي امرنا الله بحبه  
يحمل لهم في قلبه، وبين جوانحه من الحب اعظم مما يحمله المسلمون له من حب فقال  
عز وجل:

﴿ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيماً﴾. (٢)  
وجاء في روايات عديدة انه اذا كان يوم القيامة فان جميع الانبياء والرسل  
يقولون: ربي نفسي الان نبينا محمد ﷺ فانه ينادي: ربي امتي.  
وفي هذا المجال كانت الزهراء نموذجاً من اروع النماذج في حبها لابيها ﷺ  
فقد امتلأت روحها الطاهرة بحبه ومودته ولم تكن تفارقه في سراء ولا ضراء.  
وقد روى المؤرخون والرواة بعضاً من تلك الصور نذكر بعضها:  
يقول ابو ثعلبة الخشني كان رسول الله ﷺ اذا قدم من سفره يدخل على  
فاطمة، فدخل عليها فقامت اليه واعتنقته وقبلت بين عينيه. (٣)  
وتروي ام المؤمنين عائشة أن فاطمة كانت إذا دخلت على رسول الله ﷺ  
قام لها من مجلسه، وقبّل رأسها وأجلسها مجلسه، وإذا جاء اليها لقيته وقبل كل  
واحد منها صاحبه وجلسا معاً. (٤)  
وعن أبي علي الصولي قال عبدالله بن الحسن دخل رسول الله ﷺ على

(١) الفتح / ٢٩.

(٢) الاحزاب / ٤٣.

(٣) بحار الانوار ج ٤٣ / ٤٠.

(٤) راجع صحيح الترمذي ج ٢ ص ٣١٩ ط مطبعة بولاق عام ١٢٩٢ هـ ومستدرک الصحيحين ج  
٣ ص ١٥٤ ط دائرة المعارف النظامية بحيدرآباد كن عام ١٣٢٤ هـ



فاطمة فقدّمت له كسرة يابسة من خبز شعير فأفطر عليها ثم قال:  
يا بنية هذا أول خبز أكل أبوك منذ ثلاثة أيام. فجعلت فاطمة تبكي ورسول  
الله يمسح وجهها بيده. (١)

ويروى عن أبي أيوب الأنصاري قال:  
إنّ رسول الله ﷺ مرض مرضةً فأنته فاطمة عليها السلام تعودوه وهو ناقة من مرضه  
- أي قد برئ من علته ولكنه ضعيف - فلما رأت ما برسول الله ﷺ من الجهد  
والضعف خنقتها العبرة حتى جرت دمعتها على خدها. (٢)

وروي عن أبي ثعلبة الخشني يقول:  
قدم رسول الله ﷺ من غزاة له فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين، وكان  
يعجبه إذا قدم أن يدخل المسجد فيصلّي فيه ركعتين، ثم خرج فأق فاطمة عليها السلام فبدأ  
بها قبل بيوت أزواجه فاستقبلته فاطمة عليها السلام وجعلت تقبل وجهه وعينية وتبكي.  
فقال لها رسول الله ﷺ: ما يبكيك؟

قالت: أراك قد شحب لونك.  
فقال لها: يا فاطمة إنّ الله عز وجل بعث أباك بأمرٍ لم يبق على ظهر الأرض بيت  
مدّرٍ ولا شعرٍ إلّا أدخله به عزاً أو ذلاًّ يبلغ حيث بلغ الليل» (٣)  
وعن عبدالله بن عباس قال:

لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة بكى حتى بليت دموعه لحيته، فقبل له: يا  
رسول الله ما يبكيك؟

قال: ابكي لذريتي وما تصنع بهم شرار امتي من بعدي، كأني بفاطمة بنتي وقد  
ظلمت وهي تنادي يا أبتاه فلا يعينها أحد من أمتي.

(١) بحار الأنوار ج ٤٣/٤٠.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٣/٩٧.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم ج ٢ ص ٣٠٠ مطبعة السعادة بمصر.

فسمعت ذلك فاطمة عليها السلام فبكت.

فقال رسول الله ﷺ: لا تبكي يا بنية.

فقالت: لست ابكي لما يصنع بي من بعدك ولكن أبكي لفراقك يا رسول الله.

فقال لها: ابشري يا بنت محمد بسرعة اللحاق بي فانك أول من يلحق بي من

اهل بيتي. <sup>(١)</sup>

ولم يحدثنا التاريخ عن احدٍ يفرح ويستبشر بالموت لانه سيلتحق بحبيبه غير

الزهاء عليها السلام، تقول عائشة:

ان رسول الله ﷺ دعا ابنته فاطمة عليها السلام فاسارها فبكت، ثم سارها

فضحكت.

فقلت: ما هذا الذي سارك به رسول الله ﷺ فبكيت ثم سارك فضحكت؟

فقالت: أخبرني بموته فبكيت ثم سارني فأخبرني اني اول من يتبعه من أهله

فضحكت». <sup>(٢)</sup>

## أدبها مع زوجها

سجلّ التاريخ للزهاء صلوات الله وسلامه عليها أجمل الصور التي جسدت

أسمى نماذج العلاقة بين المرأة وزوجها في كل تفاصيل الحياة الأسرية، ابتداءً من

علاقتها بزوجها الى تربية اولادها وادارة شؤون بيتها، وانتهاءً بمواقفها التضحية

الباسلة في قضية الخلافة بعد رسول الله ﷺ.

وتعتبر حياة الزهاء، بما طفحت به من صور رائعة، القدوة لحياة المرأة والاسرة

المسلمة وما يجب ان يكونا عليه.

تبدأ مسيرة حياتها الزوجية بما استفاض في كتب الفريقين من ان الله عزوجل

---

(١) بحار الانوار ج ٤٣/ ٤٠، كنز العمال ج ٧ ص ١١١ طبع دائرة المعارف النظامية.

(٢) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٤٢ باب فضائل فاطمة مطبعة بولاق.

هو الذي أمر بتزويج فاطمة من علي عليه السلام.

فعن مسروق وعن ابن مسعود كلاهما عن النبي ﷺ قال:  
إن الله تعالى أمرني أن أزوج فاطمة من علي.<sup>(١)</sup>

وفي كتاب ابن مردويه، قال ابن سيرين: قال عبيدة: إن عمر بن الخطاب ذكر  
علياً فقال: ذاك صهر رسول الله ﷺ نزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فقال:  
إن الله يأمرك أن تزوج فاطمة من علي.<sup>(٢)</sup>

وعن أنس قال: كنت عند النبي ﷺ فغشيه الوحي فلما أفاق قال لي:  
يا أنس أتدري ما جاءني به جبرئيل من عند صاحب العرش؟  
قال قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: أمرني أن أزوج فاطمة من علي...<sup>(٣)</sup>

ولم تتميز الزهراء بما تتميز به بنات الملوك والسلطين في مثل هذه المناسبات.  
لقد تزوجت من دون امتيازات أو استثناءات مادية. زواج سمته البساطة والتشف  
في الوقت الذي كان بإمكان أبيها ﷺ أن يقيم لها حفلاً يناسب شأنها ومكانتها  
من دون تجاوز حتى لحكم المكروه وذلك بالاتفاق عليها من أموال أمها الطاهرة  
خديجة بنت خويلد عليها السلام التي ورثتها الزهراء عليها السلام، وكما هو معروف فان خديجة  
كانت من أثرياء العرب والمسلمين، ومع ذلك فان واقع النصوص الواردة عكست  
لنا صورة تتسم ببسط انواع الزهد والتشف لزواج الزهراء عليها السلام وجهازها.

فعن ابن طريف عن ابن علوان عن جعفر عن أبيه عليه السلام قال:

كان فراش علي وفاطمة حين دخلت عليه إهاب كبش، إذا اراد أن يناما عليه  
قلباه فناما على صوفه.

(١) بحار الانوار ج ٤٣/١١١.

(٢) بحار الانوار ج ٤٣/١١١.

(٣) بحار الانوار ج ٤٣/١١٩.

قال: وكانت وسادتهما أداماً حشوها ليف.

قال: وكان صداقها درعاً من حديد. (١)

ويروي جابر عن ابي جعفر عليه السلام قال:

لما تزوج عليّ فاطمة بسط البيت كثيباً، وكان فراشه إهاب كبش، ومرفقهما محشوة ليفاً، ونصبوا عوداً يوضع عليها السقاء فستره بكساء. (٢)

وكانت سلام الله عليها وهي بنت النبوة الخاتمة تقوم بكل شؤون بيتها حتى قال علي عليه السلام لرجل من بني سعد: ألا احذثك عني وعن فاطمة إنها كانت عندي وكانت من أحب اهلها إليه - أي إلى النبي ﷺ - وأنها استقت بالقربة حتى أثر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها، (٣) وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، واوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها فاصابها من ذلك ضرر شديد. (٤)

واستمرت وحيدة في ادارة شؤون بيتها، فترة طويلة من الزمن، يرهقها الاستقاء بالقربة، والطحن بالرحى وغير ذلك من شؤون البيت.

وفي يوم من الايام: رأى النبي ﷺ فاطمة وعليها كساء من أجلة الابل وهي تطحن بيديها وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله ﷺ فقال: يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة.

قالت: يا رسول الله الحمد لله على نعمائه، والشكر على آلائه.

فانزل الله ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾. (٥)

---

(١) بحار الانوار ج ٤٣/١٠٤.

(٢) بحار الانوار ج ٤٣/١١٧.

(٣) مجلت يداها: أي ثخن جلدها في العمل بالاشياء الصلبة.

(٤) بحار الانوار ج ٤٣/٨٢، صحيح ابي داود ج ٣٣ في باب التسبيح عند النوم طبع المطبعة الكسلبية.

(٥) بحار الانوار ج ٤٣/٨٦، وكنز العمال ج ٦ ص ٢٩٥.

وكما يروي ابوهريرة فان النبي ﷺ عند ذلك وهبها خادمة سماها فضة بعد نزول قوله تعالى ﴿فقل لهم قولاً ميسوراً﴾ بعد ان كان يمتنع عن ذلك كما تشير النصوص. (١)

وكان رسول الله ﷺ قد علم علياً وفاطمة ما على كل واحد منهما من واجبات تجاه الآخر: فقضى على فاطمة بخدمة ما دون الباب، وقضى على علي بما خلفه. (٢)  
وعن ابي جعفر عليه السلام قال:

ان فاطمة ضمنت لعلي عليه السلام عمل البيت والعجين وقم البيت، وضمن لها علي عليه السلام ما كان خلف الباب: نقل الحطب، وان يجيئ بالطعام.  
فقال لها يوماً: يا فاطمة هل عندك شيء؟  
قالت: والذي عظم حقك ما كان عندنا منذ ثلاثة ايام شيء نقرئك به.  
قال: أفلا أخبرتي؟

قالت: كان رسول الله ﷺ نهاي أن أسألك شيئاً فقال: لا تسألين ابن عمك شيئاً إن جاءك بشيء ولا تسأليه. (٣)

يمكن مراجعة مصادر ذلك في: صحيح ابن ماجه في ابواب النكاح ص ١٣٩ و ابواب الزهد ص ٣١٦، ومستدرک الصحيحين ج ٢ ص ١٨٥، ومسنده احمد ج ١ ص ٨٤، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ١٥، وحلية الاولياء ج ٣ ص ٣٢٩.  
ويصف لنا علي عليه السلام حياته مع الزهراء الزكية فيقول:

فوالله ما اغضبتها، ولا اكرهتها على أمر حتى قبضها الله عزوجل، ولا اغضبتني، ولا عصت لي أمراً، ولقد كنت انظر إليها فتتكشف عني الهموم والاحزان. (٤)

---

(١) البحار ج ٤٣/ ٨٥

(٢) بحار الانوار ج ٤٣/ ٨١

(٣) بحار الانوار ج ٤٣/ ٣١

(٤) بحار الانوار ج ٤٣/ ١٣٤

ونحن لا نشك في ان العلاقة بين علي والزهراء كانت كذلك، بل واعظم واسمى  
مما يرويه كتاب السيرة والتاريخ، وان الكثير من تلك الصور قد ضاعت مع السنين،  
أو غُيِّبَت عمداً واستبدلت بصور مشوهة وتافهة أساءت لبضعة المصطفى ووصيه  
المرتضى في محاولة لتهديم بيت النبوة وتشويه صورته الناصعة.  
وقد يذهل المتتبع، لسيرة اهل بيت النبوة، وموضع الرسالة، من تلك التفاهات،  
التي تشم منها رائحة العداء الاموي والعباسي للزهراء وعلي، فمن تلك الدسائس  
تمنّع الزهراء من الزواج بعلي:

اولاً: لسوء خِلقَتِهِ وعدم جماله!! فيروي أبي عن بعض اصحابه رفعه قال:  
كانت فاطمة عليها السلام لا يذكرها أحد لرسول الله ﷺ إلا أعرض عنه حتى  
آيس الناس منها، فلما اراد ان يزوجه من علي أسرَّ إليها فقالت:  
يا رسول الله أنت أولى بما ترى غير أن نساء قريش تحدثني عنه انه رجل  
دحداح البطن، طويل الذراعين، ضخم الكراديس، أنزع، عظيم العينين والسكنة  
ضاحك السن لا مال له).<sup>(١)</sup>

وثانياً: لفقره وقلة ما في يده فعن ابي هريرة قال:  
قالت فاطمة: يا رسول الله زوجتني علي بن ابي طالب وهو فقير لا مال له.  
فقال: يا فاطمة أما ترضين أن الله اطلع الى الارض اطلاعة فاختار منها  
رجلين: احدهما ابوك والآخر بعلك).<sup>(٢)</sup>

ولا يعدمنا هؤلاء صوراً للخلافات الزوجية المفتعلة في داخل البيت الطاهر،  
وغضب الزهراء على امير المؤمنين تارة بسبب جارية أدخلها البيت دون إذنها  
فراثها الزهراء ورأس علي في حجرها كما يروون ذلك عن ابي ذر رضي الله عنه فيقولون علي

(١) بحار الانوار ج ٤٣ / ٩٩.

(٢) بحار الانوار ج ٤٣ / ١٣٩.

لسانه انه قال:

كنت انا وجعفر بن ابي طالب مهاجرين الى بلاد الحبشة فأهديت لجعفر جارية قيمتها أربعة آلاف درهم فلما قدمنا المدينة أهداها علي عليه السلام تخدمه فجعلها علي في منزل فاطمة.

فدخلت فاطمة عليها السلام يوماً فنظرت الى رأس علي عليه السلام في حجر الجارية فقالت: يا أبا الحسن فعلتها. فقال: لا والله يا بنت محمد ما فعلت شيئاً فما الذي تريدان؟ قالت: تأذن لي في المصير الى منزل أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقال لها: قد أذنت لك...<sup>(١)</sup>.

وغاب عن هؤلاء ان اباذر لم يكن ممن هاجر الى الحبشة. وتارة لأن علياً عليه السلام خطب بنت ابي جهل على ما يروي البخاري في باب اصهار النبي صلى الله عليه وآله وسلم باسناده عن المسور قال: ان علياً خطب بنت ابي جهل فسمعت بذلك فاطمة فأنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يزعم قومك انك لا تغضب لبناتك وهذا علي ناكح بنت ابي جهل. فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسمعته حين تشهد يقول: اما بعد انكحت ابا العاص بن الربيع فحدثني وصدقني وان فاطمة بضعة مني واني اكره ان يسوئها، والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد. فترك علي الخطبة.

واخرى لخلافات غير معروفة كما يروي ذلك ابو هريرة فيقول: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الفجر ثم قام بوجهه كئيب وقفنا معه حتى صار الى منزل فاطمة عليها السلام فابصر علياً نائماً بين يدي الباب على الدفء، فجلس النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجعل يمسح التراب، ثم أخذ بيده ودخلا منزل فاطمة فمكثنا هنيئة، ثم سمعنا ضحكاً عالياً؟! ثم خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بوجه مشرق، فقلنا: يا رسول الله دخلت بوجه كئيب

(١) بحار الانوار ج ٤٣ / ١٤٧.

وخرجت بخلافه، فقال: كيف لا افرح وقد أصلحت بين اثنين أحب اهل الارض الى أهل السماء).<sup>(١)</sup>

والذي يرويه الهيثمي في مجمعه غير ذلك اذ يروي عن ابن عباس انه قال: لما آخى النبي ﷺ بين اصحابه من المهاجرين والانصار فلم يواخ بين علي بن ابي طالب وبين احد منهم خرج مغضباً حتى اتى جدولاً فتوسد ذراعيه - الى ان قال - فقال له: ما صلحت ان تكون الا ابا تراب، أغضبت علياً حين آخيت بين المهاجرين والانصار، ولم اواخ بينك وبين احد منهم؟ اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه ليس بعدي نبي؟ ألا من احبك حفاً بالأمن والايمان، ومن ابغضك اماته الله ميتة جاهلية وحوسب بعمله في الاسلام).<sup>(٢)</sup>

ثم ان هناك ظاهرة غريبة تتسم بها الروايات والنصوص التي تتحدث عن شؤون البيت العلوي وما فيه من خلافات!! وهي ان الراوي المباشر رجل يروي مباشرة عن فاطمة الزهراء، ولم يبين لنا ابو هريرة أو غيره كيف تسنى لهم الحصول على أدق التفاصيل عن الخلافات بين علي والزهراء.

ومهما يكن من امر فان هذه النصوص يجب ان تخضع في عملية التقييم الى أمرين:

الامر الاول: ان علياً والزهراء معصومان فلا يمكن ان يصدر منهما ما يمس هذا المقام الرفيع المقدس.

والامر الثاني: انهما يجسدان اعلى مستويات القيم والاخلاق الاسلامية، فهما القدوة والحجة في قولها وفعلها، ولا يمكن ان يخالفا ما يدعوان الناس اليه.

فكل نص من هذه النصوص خالف روح التقييم المنطقي والصحيح لخط مدرسة اهل البيت الاخلاقية يجب ان نتحفظ تجاهه.

(١) بحار الانوار ج ٤٣/١٤٦.

(٢) مجمع الهيثمي ج ٩/١١١، كنز العمال ج ٦/١٥٤.



قال ابن بابويه عليه السلام وهو يتحدث عن هذه النصوص:  
 هذا غير معتمد لانها منزهان أن يحتاجا ان يصلح بينهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.<sup>(١)</sup>  
 ويقول الامام الصادق عليه السلام مندداً بمحاولات التشويه والتضليل:  
 «ان رضا الناس لا يملك، والسنتهم لا تضبط، وكيف تسلمون مما لم يسلم منه  
 انبياء الله ورسله وحجج الله.

الم ينسبوا يوسف عليه السلام الى أنه همّ بالزنا...  
 الم ينسبوا سيد الاوصاء الى انه اراد ان يتزوج ابنة ابي جهل على فاطمة عليها السلام،  
 وان رسول الله شكاه على المنبر الى المسلمين فقال: انّ علياً يريد ان يتزوج ابنة عدو  
 الله على ابنة نبي الله، الا ان فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني، ومن سرها فقد  
 سرني، ومن غاضها فقد غاظني»<sup>(٢)</sup>

### الزهراء في عبادتها

واكبت الزهراء عليها السلام مسيرة الرسالة، وعاشت أجواء الوحي والنبوة، ورأت  
 النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم وهو يجسّد أروع صور الانقطاع الى الله عزوجل، لا في محرابه  
 فقط، بل وفي كل شؤون حياته، الصغيرة منها والخطيرة.  
 وكان حظ الزهراء عليها السلام في مدرسة النبوة الاوفر، كيف لا وهي العارفة بالله  
 تعالى، المحدثّة المختارة التي جعل الله رضاها من رضاه، وسخطها من سخطه.  
 ومهما قلنا في عبادتها وطاعتها لله واخلاصها له فلن نفي لها ببعض حقها فهي كما  
 وصفها صلى الله عليه وآله وسلم:

«كانت اذا قامت في محرابها زهر نورها لاهل السماء كما يزهر نور الكواكب  
 لاهل الارض».

(١) بحار الانوار ج ٤٣/٤٢.

(٢) آمالي الصدوق، المجلس ٢٢.

وما ذلك إلا بسبب انقطاعها لله واخلاصها له.

ووصفها لنا رسول الله ﷺ فقال:

«يا سلمان إن ابنتي فاطمة ملاء الله قلبها وجوارحها إيماناً إلى مشاشها<sup>(١)</sup>  
نفرغت لطاعة الله...».

وما أجمل تعبير الحسن البصري حيث يقول:

«ما كان في هذه الامة أعبد من فاطمة عليها السلام كانت تقوم حتى تورم قدمها»<sup>(٢)</sup>  
ومع ذلك فان ما يميز تلك العبادة، الطابع الاجتماعي لها بالرغم من كونها فردية  
وخاصة، فما اعظم الفرق بين عابد يريد بعبادته نفسه فقط، وبين عابد يريد بعبادته  
نفع الآخرين قبل نفسه، مؤثراً أخوانه المؤمنين على نفسه في الدعاء والتضرع إلى الله  
عز وجل. وهذه هي سيرة اهل البيت عليهم السلام العطاء العام وايتثار الناس على انفسهم  
حتى في هذه المجالات.

يروى ابن ابي عمير عن زيد النرسي قال:

كنت مع معاوية بن وهب في الموقف وهو يدعو، ففقدت دعائه فما رأيته يدعو  
لنفسه بحرف، ورأيته يدعو لرجل رجل من الآفاق، ويسميهم ويسمي آبائهم حتى  
فاض الناس.

فقلت له: يا عم لقد رايت منك عجباً.

قال: وما الذي أعجبك مما رأيته؟

قلت: إيثارك اخوانك على نفسك في مثل هذا الموضع، وتفقدك رجلاً رجلاً.  
فقال لي: لا تعجب من هذا يا ابن أخي فاني سمعت مولاي ومولاك ومولى كل  
مؤمن ومؤمنة، وكان والله سيد من مضى وسيد من بقى بعد آبائهم عليهم الصلاة  
والسلام، والآصمنا أذنا معاوية وعميتا عيناه، ولا نالته شفاعة محمد ﷺ ان لم

(١) المشاش هي رؤوس العظام اللينة.

(٢) عن بيت الاحزان، للقمي / ٢٢ و بحار الانوار ج ٨٤/٤٣

اكن سمعته منه وهو يقول:

من دعا لأخيه في ظهر الغيب ناداه ملك من السماء الدنيا يا عبدالله ولك مائة  
الف ضعف مما دعوت، وناداه ملك من السماء الثانية يا عبدالله ولك مائتا الف  
ضعف مما دعوت، وناداه ملك من السماء الثالثة يا عبدالله ولك ثلاثمائة ضعف  
مما دعوت، وناداه ملك من السماء الرابعة يا عبدالله ولك اربعمائة الف ضعف  
مما دعوت، وناداه ملك من السماء الخامسة يا عبدالله ولك خمسمائة الف ضعف مما  
دعوت، وناداه ملك من السماء السادسة يا عبدالله ولك ستمائة الف ضعف مما  
دعوت، وناداه ملك من السماء السابعة يا عبدالله ولك سبعمائة الف ضعف مما سألت،  
ثم يناديه الله تبارك وتعالى انا الغني الذي لا افتقر يا عبدالله لك الف الف ضعف مما  
دعوت.

فأي الخطرين اكبر يا ابن اخي ما اخترته انا لنفسي أو ما تأمرني به»<sup>(١)</sup>  
هذه هي الروح الحقيقية التي أراد الله عز وجل ان تتسم بها العبادة النموذجية في  
اسمى صورها.

وكانت الزهراء وهي ام الأئمة قد جسدت هذا النموذج في اجلى صورته، فكانت  
تقوم الليل في محرابها، راکعة ساجدة تدعو للمؤمنين والمؤمنات.  
فعن الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام قال:  
«رأيت أُمِّي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راکعة ساجدة  
حتى اتضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر  
الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء.

فقلت لها: يا اماه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟  
فقلت: يا بُني الجار ثم الدار».<sup>(٢)</sup>

(١) عدة الداعي لابن فهد الحلبي / ١٧١.

(٢) بحار الانوار ج ٤٣ / ٨١.

وعن الامام موسى بن جعفر عن ابيه عن آبائه عليهم السلام قال:  
كانت فاطمة عليها السلام إذا دعت تدعو للمؤمنين والمؤمنات ولا تدعو لنفسها، فقيل  
لها: يا بنت رسول الله إنك تدعين للناس ولا تدعين لنفسك؟  
فقالت: الجار ثم الدار»<sup>(١)</sup>

وكانت سلام الله عليها، وهي شجنة ممن وصفه ربه بأنه كان بالمؤمنين رحيمًا، قد  
جسدت هذه الرحمة ليس للأحياء من المؤمنين فقط، بل ولمن قضوا نحبهم من  
المؤمنين والمسلمين والشهداء والصالحين، ومن هؤلاء سيد الشهداء وبطل الاسلام  
حمزة بن عبدالمطلب الذي كانت تذهب لزيارته غداة كل سبت كما جاء عن الامام  
الصادق عليه السلام انه قال:

«إن فاطمة كانت تأتي قبور الشهداء في لكلّ غداة سبت، فتأتي قبر حمزة  
وتترحم عليه وتستغفر له»<sup>(٢)</sup>

وفي ختام هذا الموضوع اقول ان ما يؤسف له، ان التاريخ حرّم الأمة، من  
تسجيل ما كان يجب ان نعرفه عن عبادة الزهراء، فلا يجد الباحث الا مقاطع قليلة،  
وهي وان كانت عظيمة ومعبرة وكاشفة عما كانت عليه البتول، من تبحر في ذات الله  
وأخلاص له ولكنها لا تعكس الحقيقة بشمولية تامة، فلقد كانت اعظم من كل ما  
ذكر، كيف لا وهي التي اذا قامت في محرابها زهر نورها لاهل السماء كما تزهر  
الكواكب لأهل الارض كما يقول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

### صدق لهجتها

قالت أم المؤمنين عائشة وقد ذكرت فاطمة:  
«ما رأيتُ أصدق منها إلا أباها».

(١) بحار الانوار ج ٤٣ / ٨٢.

(٢) بحار الانوار ج ٤٣ / ٩٠.

وكيف لا تكون كذلك وهي بنت المصطفى ﷺ وريبة النبوة، وحليلة امام الصادقين علي بن ابي طالب عليه السلام.

ومن المؤكد ان الزهراء عليها السلام ليست بحاجة الى شهادة أحد عن (صدق لهجتها او عبادتها أو غير ذلك) بعد ان قرّن الله عز وجل رضاه برضاها وسخطه بسخطها، وما كان سبحانه ليفعل ذلك لولا ما وصلت اليه الزهراء من كمال تام في إخلاص العبادة والطاعة لله تعالى.

فقد سأل بزل الهروي الحسين بن روح رحمه الله فقال:

كم بنات رسول الله ﷺ؟

فقال: اربع.

قال: ايتهن أفضل؟

فقال: فاطمة.

قال: ولم صارت أفضل وكانت أصغرهن سناً وأقلهن صحبة لرسول الله ﷺ؟

قال: لخصلتين خصهما الله بهما، إنها ورثت رسول الله ﷺ، ونسل رسول الله ﷺ منها، ولم يخصها بذلك إلا بفضل إخلاص عرفه من نيتها.<sup>(١)</sup>

وما يهمننا في هذا المجال هو ما تكشف عنه شهادة عائشة إذ انها تؤكد على مبدأ عظيم جاءت به الاديان السماوية جميعاً، وهو مصداقية الصادقين وتأثيرهم الكبير على القلوب والعقول في عملية التغيير الفردي والاجتماعي. فبالرغم مما هو معروف تاريخياً من عدم انسجام عائشة ام المؤمنين مع سيدة نساء العالمين من ناحية، وبينها وبين سيد المتقين علي عليه السلام من ناحية اخرى، نجد عائشة سواء في زمن النبي ﷺ أو بعد وفاته ووفاء الزهراء تشهد بما كان لهما من فضل وايمان يفوق المستويات المعروفة للصحابة فعن كتاب ابي اسحاق الثعلبي عن جُميع بن عمير عن

(١) بحار الانوار ج ٤٣ / ٣٧.

عمته قالت:

«سألتُ عائشة من كان أحبَّ الناس إلى رسول الله ﷺ؟

فقالت: فاطمة.

قلت: انما أسألك عن الرجال؟

قالت: زوجها، وما يمنعه فوالله ان كان ما علمت صواماً قواماً»<sup>(١)</sup>.

وفي جامع الترمذي، وإبانة العكبري، وأخبار فاطمة عن أبي علي الصولي،  
وتاريخ خراسان عن السلامي مستنداً: ان جميعاً التيمي قال:

دخلت مع عمتي على عائشة فقالت لها عمتي:

ما حملك على الخروج علي؟

فقالت عائشة: دَعِينَا، فوالله ما كان أحد من الرجال أحبَّ إلى رسول الله من  
علي، ولا من النساء أحبَّ إليه من فاطمة»<sup>(٢)</sup>.

ولم تمنع حالة عدم الانسجام الروحي من ان تشهد عائشة مراراً وتكراراً انها لم  
ترَ اصدق لهجة من الزهراء.

يروى عبدالله بن الزبير عن أبيه عن عائشة انها كانت اذا ذكرت فاطمة بنت  
النبي ﷺ قالت:

ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة منها إلا ان يكون الذي ولدها»<sup>(٣)</sup>.

وتقول عائشة كما في الحلية لابي نعيم، ومسند ابي يعلى:

(ما رأيت أحداً قط أصدق من فاطمة غير ابيها)<sup>(٤)</sup>

ووقع خلاف بين فاطمة وعائشة فلم تلجأ عائشة الى شهود أو يمين وانما لجأت

(١) بحار الانوار ج ٤٣ / ٥٣.

(٢) بحار الانوار ج ٤٣ / ٣٨.

(٣) بحار الانوار ج ٤٣ / ٦٨.

(٤) بحار الانوار ج ٤٣ / ٨٤.

الى فاطمة نفسها لاثبات دعواها عند رسول الله ﷺ فقالت له:  
(يا رسول الله سلها فانها لا تكذب)<sup>(١)</sup>

وقالت عنها كذلك:

(ما رأيت أحداً كان أشبه سماً برسول الله ﷺ من فاطمة)<sup>(٢)</sup>  
وتقول عائشة كذلك:

(ما رأيت من الناس أحداً اشبه كلاماً وحديثاً برسول الله ﷺ من فاطمة...) <sup>(٣)</sup>

### الصبر والمواساة

عاشت الزهراء عليها السلام المحقة الزمنية القاسية من تاريخ الاسلام، حقبة الفقر والعسر والمعانات والشدة. ولم تكن هذه الحالة خاصة باحد بل عمت جميع المسلمين فلم يكن من اليسير ان يتوفر لكل بيت أو فرد طعام يوم من زاد بسيط يسد رمقهم. وسجل التاريخ صوراً لا تكاد تصدق لما كان يعانيه المسلمون من ضنك العيش وقلة ما في اليد.

والذي يظهر من النصوص المختلفة ان معانات البيت النبوي كانت مضاعفة، أولاً: للوضع الاقتصادي العام الذي كان يعيشه المسلمون وهم جزء منه. وثانياً: للموقع القيادي الذي كان يمثله، فالنبي القدوة ﷺ كان يؤثر غيره حتى بلقمة العيش البسيطة «ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة»<sup>(٤)</sup>

ويشهد لذلك ايضاً ما روي عن سبب نزول سورة الدهر، والتي عكست صورة عن الوضع الاقتصادي الصعب، ومعانات اهل بيت النبوة الطاهر الشديدة من ذلك،

(١) بحار الانوار ج ٤٣ / ٨٤

(٢) صحيح الترمذي ج ٥ ص ٧٠٠ باب فضل فاطمة.

(٣) بحار الانوار ج ٤٣ / ٢٥.

(٤) سورة الحشر / ٩.

وإيثارهم لغيرهم من المسلمين، مما جعلهم بلا طعام يسد رمقهم ثلاثة أيام نذروا صومها لله تعالى في القصة المعروفة التي بسببها نزلت سورة الدهر. وقد نالت الزهراء قسطاً وافراً من تلك المعانات، يروي جابر بن عبد الله الانصاري قال:

خرج رسول الله ﷺ يريد فاطمة عليها السلام وأنا معه، فلما انتهينا إلى الباب وضع يده فدفعه ثم قال:

السلام عليكم.

فقالت فاطمة: عليك السلام يا رسول الله.

قال: أدخل؟

قالت: ادخل يا رسول الله.

قال: أدخل أنا ومن معي؟

فقالت: يا رسول الله ليس عليّ قناع.

فقال: يا فاطمة خذي فضل ملحفتك فقتني به رأسك. ففعلت ثم قال: السلام عليكم.

فقالت: وعليك السلام يا رسول الله.

قال: أدخل؟

قالت: نعم ادخل يا رسول الله.

قال: أنا ومن معي؟

قالت: أنت ومن معك.

قال جابر: فدخل رسول الله ﷺ ودخلت أنا وإذا وجه فاطمة أصفر كأنه بطن جرادة.

فقال رسول الله ﷺ مالي أرى وجهك أصفر؟



قالت: يا رسول الله الجوع<sup>(١)</sup>

وكيف لا يكون وجهها كذلك وهي التي تقول: يا بني الجار قبل الدار، موثرة الناس بدعائها وطعامها على نفسها.

لقد ربي رسول الله ﷺ ابنته الطاهرة على ابسط الوان العيش، والاقصاى على الحد الأدنى من ضروريات الحياة، والابتعاد عن كل الوان الترف - اذا صح التعبير - ومواساة الطبقة الفقيرة من المسلمين. يروي ابن شاهين في مناقب فاطمة، واحمد في مسند الانصار باسنادهما عن ابي هريرة وثوبان انها قالت:

كان النبي ﷺ يبدأ في سفره بفاطمة ويختم بها، فجعلت وقتاً سترأ من كساء خيرية لقدم ابنيها وزوجها فلما رآه النبي ﷺ تجاوز عنها وقد عرف الغضب في وجهه حتى جلس عند المنبر، فنزعت قلادتها وقرطها ومسكتها ونزعت الستر فبعثت به الى ابنيها وقالت: اجعل هذا في سبيل الله، فلما أتاه قال ﷺ:

قد فعلت فداها ابوها - ثلاث مرات - ما لآل محمد وللدنيا فانهم خلقوا للآخرة وخلقت الدنيا لهم<sup>(٢)</sup>

وعن الامام علي بن الحسين عليه السلام انه قال:

حدثني أسماء بنت عميس قالت: كنت عند فاطمة عليها السلام إذ دخل عليها رسول الله ﷺ وفي عنقها قلادة من ذهب كان اشتراها لها علي بن ابي طالب عليه السلام من فيء فقال لها رسول الله ﷺ:

يا فاطمة لا يقول - الناس - إن فاطمة بنت محمد تلبس لباس الجبابة. فقطعتها وباعتها واشترت بها رقبة فاعتقتها. فسر بذلك رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup> إن الزهراء لم تفعل مكروها، فالقلادة اشتراها علي من مال له كان نصيبه من فيء، وله ان يتصرف به كيف شاء. وما أحل الله الذهب إلا للنساء ولكن

(١) بحار الانوار ج ٤٣ / ٦٢، وقريب منه في حلية الاولياء ج ٢ ص ٤٢.

(٢) بحار الانوار ج ٤٣ / ٨٦.

(٣) بحار الانوار ج ٤٣ / ٨١.

فزينها باجمل زينة على مدى الزمن حين قال: فداها ابوها صلى الله وسلم عليه وعليها.

### الزهراء في علمها

وتميزت شخصية الزهراء عليها السلام بالعلم والمعرفة الشاملة، والاحاطة بكل صنوفها، وتبحرت في علوم الاسلام تبحراً دقيقاً، وشكل لها ذلك شخصية علمية استثنائية.

ويبدو انها تلقت المعرفة عن اكثر من طريق نذكر منها:

**الطريق الاول:** عُرِفَت الزهراء عليها السلام بانها (المُحَدَّثَةُ) اذ كانت الملائكة تحدُّثُها، ولم تذكر النصوص حدود ذلك، وانواع العلوم التي تصلها عن هذا الطريق، ولعلَّ السبب هو عدم قدرة الناس على استيعاب وفهم هذا الاسلوب من التلقي المعرفي المستند الى الغيب.

**الطريق الثاني:** التلقي العام فيما تسمعه من أبيها صلى الله عليه وسلم أو بعلمها عليها السلام، وهي تشترك في ذلك مع بقية المسلمين، وتختلف عنهم في قدرتها على الاستيعاب الشامل الدقيق لما يقولون ويقصدون.

**الطريق الثالث:** وهو التلقي الخاص المروي عن أئمة اهل البيت عليهم السلام فعن الامام الصادق عليه السلام كما في كتاب بصائر الدرجات قال عليه السلام: وخلفت فاطمة مصحفاً، ما هو قرآن ولكنه كلام من كلام الله انزله عليها، املاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخط علي عليه السلام.

وعن ابي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت: جعلت فداك اني اريد ان اسألك عن مسألة هاهنا أحد يسمع كلامي، قال: فرفع ابو عبد الله عليه السلام ستر بينه وبين بيت آخر فاضطلع فيه، ثم قال: يا ابا محمد سل عما بدا لك قال: قلت جعلت فداك ان شيعتك يتحدثون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم علَّم علياً عليه السلام باباً يفتح له الف باب. فقال: يا ابا محمد علَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً ألف باب يفتح من كل باب باب.

وعن ابي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت: جعلت فداك اني اريد ان اسألك عن مسألة هاهنا أحد يسمع كلامي، قال: فرفع ابو عبد الله عليه السلام ستر بينه وبين بيت آخر فاضطلع فيه، ثم قال: يا ابا محمد سل عما بدا لك قال: قلت جعلت فداك ان شيعتك يتحدثون ان رسول الله ﷺ علم علياً عليه السلام باباً يفتح له الف باب. فقال: يا ابا محمد علم رسول الله ﷺ علياً ألف باب يفتح من كل باب باب. فقلت: هذا والله العلم. فنكت ساعة في الارض ثم قال: انه لعلم وما هو بذلك. ثم قال: يا ابا محمد وان عندنا الجامعة وما يدرهم ما الجامعة!

قلت: جعلت فداك وما الجامعة؟

قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله ﷺ وملائته من فلق فيه، وخط علي عليه السلام بيمينه، فيها كل حلال وحرام، وكل شيء يحتاج اليه الناس حتى الأرض في الخدش، وضرب بيده إلي وقال: تأذن لي يا أبا محمد؟ فقلت: جعلت فداك إنما أنا لك فاصنع ما شئت. فغمزني بيده وقال: حتى ارش هذا، كأنه مغضب. قلت: هذا والله العلم.

قال: انه لعلم وليس بذلك.

ثم قال: وان عندنا الجفر، وما يدرهم ما الجفر؟ فقلت: وما الجفر؟

قال: وعاء من آدم، فيه علم النبيين والوصيين، والعلماء الذين مضوا من بني اسرائيل.

فقلت: ان هذا هو العلم.

قال عليه السلام: انه لعلم وليس بذلك. ثم سكت ساعة ثم قال: وان عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدرهم ما مصحف فاطمة عليها السلام؟

قال: فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد. فقلت: هذا والله العلم.

قال: انه لعلم وما هو بذلك.

ثم سكت ساعة ثم قال:

ان عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن الى ان تقوم الساعة.

فقلت: جعلت فداك هذا والله هو العلم.

قال: انه لعلم وليس بذاك.

قلت: جعلت فداك فأبي شيء هو العلم؟

قال: ما يحدث بالليل والنهار الامر بعد الامر، والشيء بعد الشيء الى يوم

القيامة<sup>(١)</sup>

وعلى ضوء رؤيتنا العقائدية لمنزلة اهل البيت عليهم السلام، ومكانتهم في الاسلام، التي تتمثل بمهمة القيام بأمور الامامة والخلافة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وترسيخ قواعد الاسلام الى يوم القيامة، كان من الضروري امتلاكهم معرفة شاملة للاسلام بكل ابعاده، واحاطة تامة بكل امور الحياة الحاضرة والمستقبلية. فليس عجباً ان تكون تفاصيل جميع تلك الامور معروفة لهم، ومسجلة عندهم، فيما يسمى بمصحف فاطمة عليها السلام، أو الجفر، أو الجامعة، خاصة بعد التأكيد على انها ليست قرآناً، وانما هي كلام الله عز وجل باملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكتابة علي عليه السلام.

وعن هذا الطريق وغيره تلقت الزهراء عليها السلام معارف اسلامية غير محدودة في جميع مجالات المعرفة ومنها الدينية، فكانت العارفة بالله عز وجل، العبادة له حق عبادته، الخاشعة له في كل حالاتها ﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾.

أما من يخالفنا في بعض رؤيتنا العقائدية من اخواننا اهل السنة فعليهم في هذا المورد على الاقل ان يوافقونا، بناءً على ما رواه ابو بكر من ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: انا معاشر الانبياء لا نورث ذهباً ولا فضة ولا ارضاً ولا عقاراً ولا داراً ولكننا نورث الايمان والحكمة والعلم والسنة) وفي بعض الروايات (والنبوة) إذ لا بد من ان نفترض

(١) بيت الاحزان للقمي / ١٧.

أن يكون الرسول قد ترك للزهراء علماً وحكمة وإيماناً وسنة تختلف عما هو موجود  
ومعروف لدى المسلمين لثرتة منه بدلاً عن الدار والعقار وامثالها ليتحقق معنى  
الارث ولو بادنى مراتبه من الأب الى ولده، وليكون في الوقت نفسه معنى معقولاً  
لرواية انا معاشر الانبياء لا نورث.

ولا معنى للقول بانها تراث ما تركه ﷺ من ايمان وحكمة ومعارف عامة  
معروفة لها وللمسلمين، اذ لا يكون ذلك عوضاً أو خصوصية لها عن الأثر المادي،  
وسيكون حال المسلمين أفضل منها، لانهم سيرثون آباءهم زائداً العلم والحكمة  
التي تركها ﷺ لعامتهم، وهي ﷺ تراث فقط الامور المعنوية العامة المشتركة  
معهم، فهل كان ﷺ بصدد معاقبتها، أو توريثها ما هو أعظم واكرم من المال؟.  
هذه المامات سريعة عن خصال وسجايا الصديقة الكبرى وكان الواجب ان  
نقف عندها بشكل تفصيلي وواسع - لولا خوف الاطالة - لتتعرّف على سيرتها  
وسجاياها، ونستمد منها الدروس الاخلاقية والروحية فهي القدوة التي يجب ان  
يقتدى بها.



## الفصل الثاني

### مكانة الزهراء في الاسلام

- \* خطوات في طريق الاعداد..
- \* الخلافة ونظام الحكم..
- \* اعداد علي عليه السلام للخلافة
- \* علي عليه السلام اول واعظم الناس ايماناً..
- \* علي عليه السلام اعلم الناس..
- \* علي عليه السلام اقضى الناس..
- \* من أحب علياً فقد أحب الله
- \* من سبَّ علياً فقد سبَّ الله ورسوله
- \* انت مني بمنزلة هارون من موسى...
- \* من كنت مولاه فهذا علي مولاه...





استفاضت الروايات التي تتحدث عن موقع الزهراء في الاسلام، ومكانتها ومنزلتها عند الله ورسوله.

وليس من اليسير احصاء كل تلك الروايات والنصوص لكثرتها وتعدد مصادرها، بل نجد مؤلفات مستقلة وفصول كثيرة من كتب الرواية والمناقب خصصت للزهراء وتحدثت عن مناقبها وفضائلها ومكانتها عند الله تعالى، وعن حب الرسول ﷺ لها، ووصفها بانها سيدة من سادات نساء الجنة، أو انها سيدة نساء الدنيا والآخرة وامثال ذلك.

ولا ينكر احد ما لأهل البيت من مكانة عند الله تعالى بعد ان نصّ القرآن الكريم على ذلك، فهذه آية المباهلة ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾<sup>(١)</sup> فقد اجمع المفسرون انها نزلت في النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين. فقد اخرج الدارقطني ان علياً يوم الشورى احتج على اهلها فقال:

أنشدكم الله هل فيكم أحد جعله الله نفس النبي، وابناءه ابناؤه، ونساءه نساءه غيري؟

قالوا: اللهم لا.

---

(١) آل عمران / ٦١.

وهذه آية التطهير:

﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾<sup>(١)</sup> التي نزلت في اهل الكساء والتي منهم الزهراء.

وهذه آية المودة:

﴿قل لا اسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى﴾<sup>(٢)</sup> التي نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين.

الى غير ذلك من الآيات الكريمة التي نزلت بحقهم والتي كانت تتلى في كل بيت ومكان من المدينة.

وكان للزهراء عليها السلام بالذات اهتمام خاص من قبل ابها صلى الله عليه وآله وسلم جسده تعبيرات خاصة، كشفت عن أهميتها عليها السلام ومكانتها الكبرى عند الله ورسوله. وهذه النصوص في الوقت الذي تؤكد فيه على مكانة الزهراء الكبرى في الدنيا والآخرة، ترسم لنا الخطوط العامة لدورها في مسيرة الاسلام الخالدة.

ولنقف على نماذج من تلك النصوص، التي رجحنا ان تكون من مصادر ابناء السنة مهما امكن، لأن مدرسة اهل البيت تؤمن بمضمون تلك الروايات إيماناً في بعض الاحيان، وأما مضموناً في احيان اخرى. هذا بغض النظر عن اسانيدھا وطرق روايتها لانها متواترة معنىً. ويمكن تقسيمها الى طوائف ثلاثة حسب مضمونها وموضوعها.

### الطائفة الاولى

وهي مجموعة من الروايات التي تؤكد على ان الزهراء عليها السلام من افاضل نساء الجنة، أو انها خير نساء العالمين، أو انها خير نساء الدنيا والجنة مطلقاً، فمن تلك الروايات:

---

(١) الاحزاب / ٣٣.

(٢) بيت الاحزان للقمي / ١٧.

أولاً- انها عليها السلام من افضل نساء اهل الجنة، يروي احمد في مسنده قال:  
قال رسول الله ﷺ:

أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسيا بنت  
مزاحم امرأة فرعون، ومريم بنت عمران<sup>(١)</sup>  
ثانياً - انها خير نساء العالمين على ما أخرجه ابو داود بالاسناد الى أنس قال:  
قال رسول الله ﷺ:

خير نساء العالمين اربع، مريم بنت عمران، وآسيا بنت مزاحم، وخديجة بنت  
خويلد، وفاطمة بنت محمد.  
ثالثاً - قال رسول الله ﷺ:

حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت  
محمد، وآسيا امرأة فرعون<sup>(٢)</sup>

رابعاً - ما أخرجه ابن عبد البر في ترجمتها من الاستيعاب ان النبي ﷺ  
عادها وهي مريضة فقال:  
كيف تجدينك يا بنية؟

قالت: إني لوجعة وانه ليزيدني أني ما لي طعام اكله.

قال: يا بنية اما ترضين انك سيدة نساء العالمين؟

قالت: يا أبة فاين مريم بنت عمران؟

قال: تلك سيدة نساء عالمها، وانت سيدة نساء عالمك، اما والله لقد زوجتك  
سيداً في الدنيا والآخرة).

خامساً - ما اخرجه الترمذي والنسائي وابن حبان كما في الفصل الثالث من

الباب (١١) من الصواعق المحرقة لابن حجر عن حذيفة ان النبي ﷺ قال له: اما

---

(١) مسند أحمد ج ١ ص ٢٩٣.

(٢) اخرجه الترمذي كما في الاربعين للنهائي ص ٢٢٠.

رأيت العارض الذي عرض لي قبل ذلك، هو ملك لم يهبط الى الارض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربه عز وجل ان يسلم عليّ ويشرني ان الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة، وان فاطمة سيدة نساء اهل الجنة).

لاحظ روايات (ان فاطمة عليها السلام سيدة النساء وافضلهن) في صحيح البخاري في كتاب بدأ الخلق، ومسنداً احمد ج ٦ ص ٢٨٢، وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ٤٠، واسد الغابة ج ٥ ص ٥٢٢، وصحيح الترمذي ج ٢ ص ٣٠٦، ومستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٥١. وغير ذلك كثير.

ونلاحظ ان هذه النصوص تؤكد على مكانة دينية خاصة لسيدتنا فاطمة الزهراء فهي بحسب هذه النصوص - سيدة من سيدات الدنيا، وسيدة من سيدات اهل الجنة، وهن اربعة كما جاء في النصوص المتقدمة، خديجة بنت خويلد، ومريم بنت عمران، واسيا بنت مزاحم، وفاطمة بنت رسول الله.

ويذهب اتباع مدرسة اهل البيت الى انها أفضل نساء العالمين، ونساء اهل الجنة مستندين الى ادلة شرعية قطعية، وقد شاركهم هذا الاعتقاد بعض علماء السنة كالعلامة النبهاني في كتابه - الشرف المؤبد - حيث قال:

وصرح بافضليتها على سائر النساء حتى على السيدة مريم كثير من العلماء والمحققين منهم التقي السبكي والجلال السيوطي، والبدر الزركشي، والتقي المقرئ. قال: وعبارة السبكي حين سُئل عن ذلك:

الذي نختاره وندين به ان فاطمة بنت محمد افضل.

قال: وسُئل عن مثل ذلك ابن ابي داود فقال:

ان رسول الله قال: فاطمة بضعة مني. ولا أعدل ببضعة رسول الله أحداً).

### الطائفة الثانية

وهي نماذج من الاحاديث التي تصعد الاهتمام بالزهراء من مرحلة الاشادة والتبجيل الى اعتبارها معلماً خطيراً من معالم الايمان والاسلام وذلك لأن هذه

النصوص ساوت بينها وبين الرسول في بعض الخصائص بحيث يكون ايذاءها له، واغضاها اغضاب له. فمن تلك الروايات:

اولاً - ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما عن المسور قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر:

فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويريني ما رابها).

ثانياً - البخاري بسنده الى رسول الله ﷺ قال: فاطمة بضعة مني يغضبي ما

يغضبها).

ثالثاً - ما أخرجه الامام احمد بن حنبل عن ابي هريرة قال:

نظر النبي ﷺ الى علي والحسن والحسين وفاطمة فقال:

انا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم).

رابعاً - البخاري عن المسور بن مخزومة إن رسول الله ﷺ قال:

فاطمة بضعة مني فمن اغضبها أغضبني).

وبالامكان مراجعة مصادر الروايات التي تضمنت هذا المعنى في صحيح

البخاري في كتاب بدأ الخلق، كنز العمال ج ٦ ص ٢٢٠، فيض القدير ج ٤ ص

٤٢١، صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة، وصحيح الترمذي ج ٢ ص ٣١٩،

ومستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٥٩، ومسنند احمد ج ٤ ص ٥، وحلية الاولياء ص

١٤٩، ومسنند احمد ج ٤ ص ٥، وحلية الاولياء ج ٢ ص ٤٠، والصواعق المحرقة ص

١٠٧، وغيرها كثير.

فالزهراء - بحسب هذه النصوص - تمثل حالة تخص الرسول نفسه، وقد نصّ

القرآن على حرمة ايذاء الرسول أو اغضاها فقال عز من قائل:

﴿والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾<sup>(١)</sup>

﴿ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة﴾<sup>(١)</sup>

وما ينبغي الالتفات اليه هنا هو تعبير النبي ﷺ عن الزهراء بانها بضعة منه، وهو أمر معلوم لا يشك فيه احد، ولا يحتاج الى تأكيد، فكل بنت هي بضعة من أبيها من ناحية الحلقة والتكوين ولكن هل كان مراد الرسول من قوله (فاطمة بضعة مني)<sup>(٢)</sup> الجانب التكويني، أو اراد ان يقول انها بضعة من الشخصية النبوية لابيها ﷺ؟ لا نفهم من ذلك الا الثاني لان النبي ﷺ كان بصدد بيان اهمية الزهراء من ناحية ترتب الآثار، في حالة رضاها وسخطها، وانه ايداء أو ارضاء للرسول النبي لا الأب فقط، ليدخل ذلك في نطاق قوله تعالى ﴿ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة﴾ وغيرها من الآيات. ولا يوجد نص في الكتاب والسنة يعتبر ايداء ابناء وبنات الانبياء ايداء لابائهم بمستوى اكثر من الحكم الشرعي العام الا بخصوص الزهراء وحسنيها فانه يدخل في نطاق الاحكام الخاصة المشددة.

### الطائفة الثالثة

وهي الطائفة التي تصعد من قضية الاهتمام بالزهراء الى درجة خطيرة جداً إذ تعتبر ان ايداء الزهراء أو اغضابها، ايداء واغضاب لذات الله عزوجل من دون واسطة، فمن تلك الروايات:

اولاً - عن علي عليه السلام قال: رسول الله ﷺ لفاطمة:

ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك<sup>(٣)</sup>

ثانياً - عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة سلام الله عليها:

(١) الاحزاب / ٧٥.

(٢) البضعة بالفتح القطعة من اللحم، وقد تكسر، أي إنها جزء مني كما ان القطعة من اللحم جزء من اللحم. قاله الجزري.

(٣) مستدرک الصحيحين ج ٣ ص ١٥٣.

إِنَّ الرَّبَّ يَغْضَبُ لَغَضَبِكَ وَيَرْضَى لِرِضَاكَ<sup>(١)</sup>  
 ثالثاً: عن علي بن أبي طالب إن رسول الله ﷺ قال:  
 يا فاطمة إن الله عز وجل يغضب لغضبك ويرضى لرضاك<sup>(٢)</sup>  
 هذا بعض ما رواه علماء السنة في كتبهم الروائية وصحاحهم المعتمدة بشأن  
 سيدتنا الزهراء.

اما ما رواه علماء الشيعة عن النبي وأئمة اهل البيت عليهم السلام فهو كثير جداً يتطابق  
 - كما قلنا - في احيان كثيرة نصاً أو روحاً مع ما جاء في صحاح اهل السنة، وما  
 اثبتناه منها تقتضيه طبيعة البحث وهو جزء يسير مما جاء بشأن الصديقة الكبرى.  
 ونحن هنا ليس بصدد البرهنة على مكانة الزهراء بلسان روائي أو مناقبي، فان  
 ذلك من البديهيات المعروفة لدى جميع المسلمين، وانما بصدد ايجاد تفسير منطقي  
 لتلك الروايات ينسجم مع ما نعرف من هدفية المشرع الحكيم.

#### التفسيرات المحتملة:

هناك احتمالات ثلاثة تفسر لنا اهتمام النبي ﷺ بابنته الطاهرة فاطمة  
 الزهراء، والاحتمالات هي:

#### الاحتمال الاول:

ان هذا الاهتمام مجرد هو وعبث، وعملية غير هادفة، ولا مقصودة، وانما هو هو  
 وعبث لمجرد اللهو والعبث.

وهذا الاحتمال لا يستحق البحث، لاننا لو احتملناه فانه سيرد على كل نص  
 ديني صدر من النبي في امور الاسلام التشريعية والعقائدية الاخرى، باعتباره  
 ﷺ المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن.

(١) كنز العمال ج ٦ / ٢١٩.

(٢) ذخائر العقبى ص ٣٩.

وقد اجمع المسلمون على ان النبي ﷺ معصوم من الخطأ والعبث واللهو بنص القرآن قال عز وجل:

﴿وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى﴾<sup>(١)</sup>

﴿وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾<sup>(٢)</sup>

وعلى هذا الاساس يكون من المستحيل ان يصدر ذلك منه ﷺ بهذا المعنى.

### الاحتمال الثاني:

ان يكون ذلك بهدف عاطفي بحت، لمجرد ان فاطمة ابنته وبضعة منه، والمحبة اليه. أو لما امتازت به من صفات وكمالات روحية استحققت بسببها التكريم والتبجيل. ولم يصدر ما صدر بحقتها استناداً الى نفس الأسس والملاكات الشرعية التي يستند إليها المشرع الحكيم في تشريعاته الاخرى.

وهذا التفسير كذلك ليس منطقياً، ولا ينسجم مع طبيعة المشرع الحكيم. فلو اراد النبي ﷺ ان يشبع عاطفته كأب تجاه ابنته، أو لما امتازت به من كمالات نفسية، أو خصال اخلاقية عظيمة، فان الاكثر منطقية وفائدة ان يحقق لها ذلك من خلال اعطاءها امتيازات مادية ومعنوية تحقق لها مكاسب شخصية دنيوية، من دون الحاجة الى ربط ذلك بسخط الله ورضاه. فإذا يمكن ان تستفيد الزهراء شخصياً من مثل (ان الله يغضب لغضبها، أو يرضى لرضاها) وامثال ذلك من النصوص، هل كان الرسول ﷺ يرى ان ذلك يحقق لها مكسباً مادياً أو دنيوياً وهو يعلم انها اول اهل بيته لحوقاً به؟

لقد كان بإمكان النبي ﷺ ان يكرم ابنته بمركز قيادي كبير، أو مسؤولية دينية تشريعية وامثال ذلك. وهذا ما لم يحدث على الصعيد العملي، فالزهراء حتى

(١) النجم/ ٢- ٦.

(٢) الحشر/ ٧.



على ضوء اعتقاد الشيعة لم يمنحها ابوها مركزاً قيادياً.  
وبقيت في حياتها زوجة لعلي عليه السلام وربة لبنته، ولم تمارس دوراً قيادياً ولا  
تشريعياً.

كما كان بإمكانه صلى الله عليه وآله ان يمنحها امتيازات مادية كبيرة كما يفعل الملوك  
والسلاطين مع ابناءهم استجابة لرغبة عاطفية وغريزية، من دون حاجة الى تلك  
النصوص التي ليس لها مردودات مادية، ومن دون الحاجة الى ربط ذلك بالسما. نعم منح النبي صلى الله عليه وآله ابنته الزهراء فداً، ومهما قالوا عن فداك فاننا لم نجد نصاً  
حتى بادنى مراتب الوثاقة والاعتبار اشار الى انعكاس المردود المادي على حياة  
الزهراء من فداك، التي كانت تعتبر من أخصب الاراضي الزراعية ذات المردود  
المادي الكبير. فالزهراء كانت بزهدا وتقشفها وعزوفها عن الدنيا تمثل حالة  
واحدة قبل فداك وبعدها.

وهذا يدل ايضاً على ان منح النبي صلى الله عليه وآله فداً للزهراء كان ضمن التخطيط  
النبوي الحكيم، إذ أراد بها ان تكون حلقة في عملية تثبيت خط الامامة التي  
ستقودها الزهراء بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، وسلاحاً لأبعاد اشخاص، أو تكتلات  
سياسية عن الحكم. وظهر ذلك بوضوح بعد اقضاء الامام علي عليه السلام عن الخلافة  
فقامت الزهراء تحتج بفداك منتهجة اسلوباً خاصاً يثبت عدم اهتمام (القيادة) بتعاليم  
النبي صلى الله عليه وآله وتشريعاته، وسيأتي تفصيل ذلك ان شاء الله.

وقد تجلّى ذلك بوضوح من تذبذب القادة في أمر فداك بعد النبي صلى الله عليه وآله، فتارة  
تؤخذ منها على أساس ان النبي قال: انا معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة،  
وهو ما وقع من ابي بكر، وتارة تعطى لورثتها كما فعل عمر بن الخطاب، ثم تؤخذ في  
زمن عثمان مرة أخرى وهكذا، وهذا يكشف عن عمق ما تعنيه فداك في تلك المرحلة  
من الصراع فحاولوا باسلوب - اجتهادي - ابطال ورقة فداك التي كانت الزهراء  
تقارع بها الخلافة التي رفعت شعار ان النبي صلى الله عليه وآله لا يورث، يقول ابن ابي الحديد:

(سألت علي بن الفارقي مدرّس المدرسة الغربية ببغداد فقلت له:  
أكانت فاطمة صادقة؟

قال: نعم.

قلت: فلم لم يدفع اليها ابو بكر فذك وهي عنده صادقة؟ فتبسم، ثم قال كلاماً لطيفاً مُستَحْسِناً مع ناموسه وحرمة وقلّة دعابته قال: لو اعطاها اليوم فذك بمجرد دعواها لجمّأت اليه غداً وادّعت لزوجها الخلافة، وزحزحته عن مقامه، ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة على شيء، لانه يكون قد أسجّل على نفسه أنها صادقة فيما تدّعي كائناً ما كان من غير حاجة الى بينة ولا شهود. وهذا كلام صحيح وان كان اخرج مخرج الدعابة والهزل<sup>(١)</sup>

وعلى كل حال فقد كان بوسع النبي ﷺ لو كان هدفه عاطفياً أن يهيء لابنته الارضية المناسبة لتوفير حياة مادية هائلة من خلال الوسائل المتعدّدة التي اختصه الله تعالى بها من مختلف مصادر الدولة المادية والاقتصادية.

### الاحتمال الثالث:

ان يكون هذا الاهتمام بأمر من الله عزّ وجل لحكمة الآهية، ومصلحة دينية، فاختر عز وجل الزهراء لتقوم بخطوة تكمل بها المسيرة الميدانية للنبوّة بعد ابيها ﷺ وتؤدي مهمة كبيرة لا يستطيع احد غيرها ادائها بما في ذلك النص الشرعي (الكتاب والسنة) فكان التخطيط الرباني ان يجعل مؤشراً مادياً واضح لا يقبل التأويل ولا التشابه يشير الى الجهة الصحيحة التي تستحق وراثة النبي في قيادة الامة ومسيرة الدعوة الاسلامية، وبناء نظام الحكم والسياسة في الاسلام، فكان هذا المؤشر هو الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام.

هذا الاحتمال هو الذي ينسجم مع طبيعة الامور والواقع من جانب، ومع النظرة

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١٦ / ٨٤.

العقائدية للرسول ﷺ بنص القرآن الكريم.

يقول عز وجل عن رسوله ﷺ:

﴿انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وما صاحبكم بمجنون﴾<sup>(١)</sup>

ويقول:

﴿انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين﴾<sup>(٢)</sup>  
ويقول كذلك:

﴿وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى﴾<sup>(٣)</sup>  
وقال:

﴿لو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احدٍ عنه حاجزين﴾<sup>(٤)</sup>

وعلى اساس هذا المنطق القرآني لا يمكن ان نفترض ان النبي ﷺ اهتم بالزهراء - عبثاً - أو ان دافعه كان عاطفياً لمجرد العاطفة الغريزية البحتة، ليتجاوز وظيفة النبوة، ويتقوّل على ربه بشأنها، فجعل رضا الله من رضاها وسخطه من سخطها. لا يقول ذلك مسلم أبداً.

واذا كان لابد من هدف اسمي وأعلى وهذا الهدف هو: الاعداد الرباني لدور كبير للزهراء تقوم به في مرحلة ما بعد النبي ﷺ.

---

(١) التكرير آية ١٩ - ٢٢.

(٢) سورة الحاقة الآية ٤٠ - ٤٣.

(٣) النجم الآية ٢ - ٦.

(٤) الحاقة الآية ٤٤ - ٤٧.

## خطوات في طريق الاعداد

وقد إتخذ النبي ﷺ خطوات عديدة - اضافة الى ما تقدم - تمهيداً لتكريس دور الزهراء، والاعداد لما كان يجب ان تقوم به بعده، في مرحلة من اخطر مراحل المسيرة الاسلامية. ولعل اهم تلك الخطوات ما يلي:

اولاً: استعمل النبي ﷺ اهم وسائل الاعلام في ذلك العصر، المتمثل بالمنبر، للتأكيد على أهمية موقع الزهراء، فقد جاءت تعبيرات بعض الرواة في هذا الصدد على هذا النحو: سمعت رسول الله يقول على المنبر.

فمن ذلك ما رواه النسائي عن المسور بن مخرمة قال:

سمعت رسول الله ﷺ يخطب على منبره هذا وانا يومئذ محتلم - أي قد بلغ الحلم - فقال:

إن فاطمة بضعة مني<sup>(١)</sup>

وهذا يعني ان الاعلان كان عاماً لجميع المسلمين، لم يقتصر على محافل نسائية مثلاً، كأن يكون في بيته، أو بين ازواجه، أو بين نساء المهاجرين والانصار.

ونجده ﷺ يأخذ بيد فاطمة عليها السلام أمام الملائكة ويوصي الامة بها، يروي مجاهد فيقول:

(خرج النبي ﷺ وهو آخذ بيد فاطمة عليها السلام فقال: من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة مني، وهي قلبي وروحي التي بين جنبي. فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله)<sup>(٢)</sup>

ثانياً: جاء في بعض الروايات تعبيرات خاصة تدل على أهمية موقع الزهراء عليها السلام منها مثلاً قوله ﷺ: (فاطمة ام ابیها).

وكلمة الأم في اللغة تعني (الأصل) نظير قوله تعالى عن مكة المعظمة بانها (ام

(١) خصائص النسائي، ص ٣٦. طبع مطبعة التقدم العلمية بمصر.

(٢) بحار الانوار ج ٥٤/٤٣.

القرئ) أي اصل القرى. والمعلوم ان الوالد أصل الولد لا العكس، والمؤكد انه ﷺ لم يقصد العكس قطعاً لبداهة الامر ووضوحه، وإذا ما الذي يقصده ﷺ من ذلك؟

هل اراد ان يقول انها مهد النبوة وحضن الامامة فيها وبها يمتد الرسول ﷺ بشخصيته النبوية، فهي ﷺ اصله في الامتداد لا في اليجاد ويضني عليها بذلك مسحة من نور النبوة يمكنها من أداء الدور المرتقب لها. ام انه اراد ﷺ ان ينزل الزهراء منزلة الام من حيث وجوب طاعتها على كل المسلمين من باب الاولوية؟

ولماذا نستبعد ذلك والقرآن شاهد على نظيره بالنسبة لازواج الرسول حيث نزلهن المولى منزلة الامهات في قوله تعالى ﴿التبي اولىٰ بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم﴾<sup>(١)</sup> ورتب على ذلك بعض الاثار الشرعية.

ولا معنى للقول بان تفسير (فاطمة ام ابيا) ان الزهراء ملأت فراغاً عاطفياً عانى منه الرسول ايام طفولته بسبب فقد لاه - رضوان الله عليها - وهو صغير وذلك لأن المولى كفل له كل ما من شأنه بناء شخصيته القيادية فقال عز من قائل ﴿الم يجدك يتيماً فآوىٰ ووجدك ضالاً فهدىٰ ووجدك عائلاً فاغنىٰ﴾<sup>(٢)</sup>

ورغم ان الرسول بشر ﴿قل انما انا بشر مثلكم يوحى اليّ﴾<sup>(٣)</sup> يحمل كل ما في البشر من فطرة، ولكن بنفس الوقت نعتقد ان الرسول الذي احتضنته السماء منذ نعومة اظفاره اكبر من ان يشعر بهذه الحاجات وقد قارب الخمسين.

ثالثاً: وجاء في لسان بعض الروايات تعبير (فداها ابوها) الذي يدل دلالة واضحة على استعداد الرسول الاكرم للتضحية من اجلها وهو سيد المرسلين

(١) الاحزاب / ٦.

(٢) الضحى / ٦-٨.

(٣) الكهف / ١١٠.

اجمعين.

فهل هي نزعة عاطفية غلبته، وتأثر بموقفها حين نزعت القلادة وتصدقت بها على فقراء المسلمين، أو انها اعتقت رقبة في سبيل الله بثمانها؟ هل يستوجب ذلك ان يفديها ابوها بنفسه؟

ان هذه العبارة وان جاءت في سياق القصة المعروفة عن القلادة، الا اننا نقطع ان القضية اكبر من ان تكون علتها هذه القضية فقط، ذلك ان حجم العبارة اكبر من ان تحصر بهذا المورد.

لقد اراد الرسول ان يقرر للمسلمين - وكان جالساً في المسجد - ان الزهراء التي - فداها ابوها - والذي هو اطهر روح، وازكى نفس، واغلى دم، وهو سيد المرسلين استعد لأن يفديها بروحه، فن باب الاولى ان تقتدي الامة به في هذه القضية التي نصّ عليها بنفسه امامهم، وفي مكان من اطهر اماكن الارض، في المسجد النبوي الشريف، ويؤكد للامة: ان التي افديها بروحي تستحق منكم ارواحكم، لأنّ هذا هو معنى الاقتداء بي.

رابعاً: نجد في بعض الروايات ان النبي ﷺ كان يُقبّل يد الزهراء عليها السلام كما رواه ابن شهر آشوب عن الصادقين، والبحار للمجلسي ج ٤٣. وهذا امر غير مألوف ولا متعارف عند العرب وغيرهم، بل المعروف خلافه تماماً. وهذا يجعلنا نتساءل عن السر الذي جعل النبوة الخاتمة بكل ما تحمل من عظمة وجلال تنحني لتقبّل يد الزهراء الطاهرة.

هل هي عاطفة مجتة، ام ظاهرة تحمل هدفاً عظيماً، وسراً مقدساً، قد يكون مستقبل الاسلام مرهوناً به.

هل اراد الرسول ﷺ ان يقول لأمته: ان هذه اليد التي أقبلها مقدسة وطاهرة ولا يمكن ان تمتد أو تطلب ما ليس لها بحق في حياتي وبعد حياتي؟ او انه اراد لهذه القبلات ان تكون شاهد النبوة والسماء على ان هذه اليد اذا

وضعتها صاحبها على شيء، كانت القبلات شاهداً على أن هذا الحق لها.  
خامساً: ورد في نصوص أخرى أن النبي ﷺ كان يقوم اجلاً لها، واحتراماً  
لمقامها.

ولم نعهد في نص أو رواية أن النبي كان يقوم لأزواجه أو أصحابه.  
أن هذه الواقعة تجعلنا نؤمن بأن التفسير المنطقي لاهتمام النبي ﷺ بالزهراء  
يبتعد في هدفه إلى ما هو أكبر من قضية عاطفية، إذ جرت العادة أن القيام تعبير عن  
اهتمام كبير بتلك الشخصية يتناسب مع عظمة مقامها.  
وفي البحار بالاسناد عن عكرمة عن ابن عباس، وعن أبي ثعلبة الخشني، وعن  
نافع، عن ابن عمر قالوا:

كان النبي ﷺ إذا أراد سفراً كان آخر الناس عهداً بفاطمة، وإذا قدم كان  
أول الناس عهداً بفاطمة. ولو لم يكن لها عند الله تعالى فضل عظيم لم يكن رسول  
الله ﷺ يفعل معها ذلك، إذ كانت ولده وقد أمر الله بتعظيم الولد للوالد، ولا يجوز  
أن يفعل معها ذلك، وهو بضد ما أمر به الله تعالى<sup>(١)</sup>

فما معنى أن يقوم لابنته غير التأكيد على أن قيام النبوة العظمى لها إنما هو قيام لما  
تمثله الزهراء من دور في مسيرة النبوة الكبرى بالاضافة إلى استحقاقها الذاتي  
للاحترام والتقديس باعتبارها معلماً من معالم الاسلام صلوات الله عليها.  
سادساً: نرى كذلك أن النبي ﷺ كان لا يدخل دار الزهراء إلا مستأذناً في  
رواية عن الامام الصادق عليه السلام قال:

طرق رسول الله ﷺ باب فاطمة عليها السلام ذات يوم.

فقلت: من الطارق؟

فقال: يا بني رسول الله.

فقلت: أليس البيت بيتك، والبنات بنتك فما المانع من الدخول؟

(١) بحار الانوار ج ٤٣ / ٤٠.

فقال ﷺ: ان الله أمرني ان لا ادخل إلا باذنك<sup>(١)</sup>

وعن عبدالرحمن بن عوف قال:

سألت رسول الله ﷺ ذات يوم: أراك بأبي وأمي تطيل النظر لباب فاطمة؟

فقال ﷺ: اعلمم وكن عاتلاً لما أقول: اطيل النظر للباب لما احتوى على كنوز

واسرار ايسرها الاستأذان، واعسرها تطيش له العقول<sup>(٢)</sup>

ويروى كذلك عن النبي انه قال لعلي عليه السلام:

لولا انك بعلمها لامرتك بما أمرني الله ان لا تدخل حجرتها إلا باذن منها، فانها

نورانية السماوات، ملكوتية الارض، متظللة النور<sup>(٣)</sup>

ولا ندري هل ان النبي ﷺ كان مضطراً للاستئذان - من الناحية الشرعية -

لدخول بيت ابنته لتجنب الوقوع في محذور شرعي، وهل الزهراء اجنبية عنه، ام ان

علياً عليه السلام لا يتشرف بهذه المأثرة الكبرى في دخول النبي بيته؟

ومهما حاولنا ان نبحت عن مبرر فقهي لقضية استأذان الرسول ﷺ لدخول

بيت فاطمة فلن نصل الى نتيجة وذلك لانه «اولى بالمؤمنين من انفسهم»<sup>(٤)</sup>

اولاً، وانه ابو الزهراء وبيتها بيته وهم أهله من دون ريب، فقد روى الترمذي في

صحيحه انه: لما نزلت هذه الآية «فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل

تعالوا ندع أبناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل

لعنة الله على الكاذبين»<sup>(٥)</sup> دعا رسول الله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال:

(اللهم هؤلاء اهلي)<sup>(٦)</sup>

(١) اصل اللعل للعري ج ٤/ ٣٢٨.

(٢) الادلة الواضحة للترمذي، ص ١٦ الطبعة الحجرية.

(٣) النجم الثاقف للراوندي ص ٩٥ ط مصر.

(٤) الاحزاب/ ٦.

(٥) آل عمران/ ٦١.

(٦) صحيح الترمذي ج ٥/ ٥٩٦. صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٧٣.



فهل اراد ﷺ ان يُعلم الامة ان بيت الزهراء عليها السلام هو بيت النبوة الذي عناه الحق بقوله ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم﴾<sup>(١)</sup> اضافة الى الحكم العام في قوله تعالى ﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها﴾<sup>(٢)</sup> أضف الى ذلك أن بيت الزهراء لا ينطبق عليه حكم (غير بيوتكم) بالنسبة الى النبي ﷺ فهو اولى بالمؤمنين من انفسهم، والزهراء بنته وهو اولى بها، فلماذا يستأذن في دخول بيتها؟ اليس هذا يدل على ان هناك حكمة بالغة وراء تصرف النبي ﷺ واستاذانه.

ومن الممكن أيضاً ان نقول في تفسير ذلك: ان النبي ﷺ اراد ان يُعلم الامة، بما في ذلك مجتمع الصحابة، ان هذا البيت لا يجوز دخوله دون استأذان حتى للانبياء فضلاً عن غيرهم.

ومن هذا نستكشف انه ﷺ كان يعلم ان بيتها سوف تهتك حرمة في يوم ما، فاراد ﷺ ان يصونه ويحميه فوقف عند بابه يستأذن اهله المرة تلو المرة، ليجعله معلماً من معالم الايمان ولتعرف الامة من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه. وكان من جملة الامور التي ندم عليها ابوبكر قبل موته كشفه لبيت فاطمة عليها السلام مما يدل على ارتكاز هذا المفهوم في ذهنه، وسيأتي الحديث عن ذلك فيما بعد.

هذه بعض الخطوات التي خطاها رسول الله ﷺ في طريق الاعداد لدور الزهراء عليها السلام المرتقب في مهمة تثبيت اركان واسس الامامة بصيغتها العملية التنفيذية.

ان هذا الموضوع يستحق بحثاً أعمق وأشمل مما تقدم لاستكشاف الحكمة النبوية في جميع خطوات اعداد الأرضية لتثبيت خط الامامة من بعد النبي ﷺ والتي قادتها الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، اذ هناك الكثير مما يجب ان يُبحث وهو يستحق قدراً أكبر من الاستقصاء والدقة.

(١) الاحزاب / ٥٣.

(٢) النور / ٢٧.



## طبيعة الموضوع وخصوصية الزهراء «الخلافة ونظام الحكم»

من المؤكد ان أي رسالة او نظام يعتمد في مسألة استمراره وبقاءه على جملة مقومات اساسية وما من شك ان موضوع (الحاكم وطبيعة نظام الحكم وشكله) من اهم تلك المقومات.

والسؤال هنا: هل حدّد النبي ﷺ نظام الحكم وشكله وطبيعته؟ وهل هذا النظام هو نظام الشورى. واذا كان كذلك فما هي اسس هذا النظام؟ وكيف يُطبق ومن المسؤول عن تطبيقه؟ وهل يقصد بالشورى تحكيم رأي الاكثرية على الاقلية، ام ان الشورى يراد بها مدارس الامور والقضايا الاساسية ويكون البت فيها لجهة اخرى؟ ام هي شورى اهل العقد لا شورى الامة؟

ام ان الرسول ﷺ اختار نظام الأمامة فنصّب علياً عليه السلام ولياً على الامة بعده وأوكل اليه تنظيم تفاصيل ذلك، وترسيخ نظام الحكم الذي هو بطبيعته يحتاج الى فترة زمنية طويلة من الممارسة العملية الصحيحة، وتربية الامة على تفهم تلك الممارسة واستيعابها، وتحديد اتجاه صحيح لها في مجال ممارستها لها؟

ونحن من البداية نقول وعلى ضوء طبيعة هذا البحث، وقناعتنا العقائدية، ان النبي ﷺ نصّب علياً عليه السلام خليفة بعده، وسخر لاجل تحقيق هذا الهدف كل

الوسائل الممكنة، سواء كانت على مستوى النص، أو الممارسة العملية القريبة من الممارسة الفعلية للحكم في زمن النبي وفي حياته.<sup>(١)</sup>

ولا يعني ذلك اننا نرفض مبدأ الشورى من الاساس وانما الكلام في ان الشورى هل هي نظام الحكم في الاسلام، ام هي مفردة من مفردات النظام، وعلى اساس الفرض الثاني يقوم هذا البحث بعد ان ثبت بالنصوص القطعية ان النبي ﷺ نظرياً - على الاقل - نص على امير المؤمنين علي عليه السلام خليفة بعده، وهيء في الوقت نفسه الصديقة الزهراء، لتمارس دوراً خاصاً لا يستطيع غيرها أداءه، بعد ان استنفذ الوسائل الاخرى المألوفة في مجال التشريع، وأهمها النص - الكتاب والسنة - الذي قد يفرغ من محتواه من خلال التأويل أو التفسير أو التخصيص بالخبر كما حصل في آية الارث التي خصصت بـ (نحن معاشر الانبياء لا نورث)، والتي على اساسها حرمت الزهراء من ارثها، وامثال ذلك كثير. فأراد ﷺ ان يجعل مؤشراً مادياً محسوساً لا يخضع لتلك المؤثرات، والمتمثل بابنته فاطمة الزهراء، ليحدد الاتجاه الصحيح لمسيرة الخلافة، وتحديد شخصية الخليفة وتعيينها.

---

(١) في الصواعق المحرقة قال: إن رسول الله ﷺ كان جالساً مع جماعة من اصحابه فجاءه خصمان فقال احدهما يا رسول الله إن لي حمارة وإن لهذا بقرة، وإن بقرته قتلت حماري. فبدأ رجل من الحاضرين فقال: لا ضمان على البهائم. فقال ﷺ: إقض بينهما يا علي. فقال علي عليه السلام لهما: أأكانا مرسلين أم مشدودين، أم احدهما مشدوداً والآخر مرسلًا؟ فقالا: كان الحمار مشدوداً والبقرة مرسله وصاحبها معها. فقال ﷺ: على صاحب البقرة ضمان الحمار. فأقر رسول الله ﷺ حكمه وأمضى قضاءه. ويجب ان يُبحث هذا الموضوع - واعني ممارسة علي عليه السلام للحكم في زمن النبي ﷺ وبأمر منه - من قبل المختصين، لأن ذلك يكشف عن اوضاع مستويات اعداده للخلافة، ان لم نقل هو التنصيب بذاته.

الصواعق المحرقة ص ٧٣ طبع المطبعة الميمنية بمصر، ونور الابصار للشبلنجي ص ٧١.

وهذه المهمة من اصعب المهام على الاطلاق لسعة الفارق بين النظرية والتطبيق، واليون الشاسع بينهما، وصعوبة تحدي الواقع الاجتماعي المخالف للنظرية، والذي عبّر عنه القرآن الكريم في قول الحق ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾<sup>(١)</sup> فإن الرسول ﷺ على صعيد الواقع قد ابلى الرسالة بكل جوانبها العقائدية والتشريعية، والآية الكريمة نزلت في اواخر حياته - في حجة الوداع - فما هو الامر الذي لم يبلغ غير تعيين الخليفة، والذي تمّ الاطلاع به في قضية الغدير المعروفة التي اعقبها نزول قوله تعالى ﴿اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾<sup>(٢)</sup> اما على الصعيد العملي فإن تطبيق ذلك - أي استخلاف النبي لعلي - ليس بالامر الهين اليسير، ولا يكفي مجرد الأبلغ لالتزام الامة به، ولا يمكن من الناحية العملية ان يترك النبي ﷺ هذا الامر من دون اتخاذ احتياطات عملية في طريق اعداد الارضية المناسبة للخليفة المرتقب.

وقبل ان ندخل في التفاصيل لندع هذه الرؤية جانباً ونبحث بموضوعية وتجرد، وبعيداً عن النصوص الشرعية، وواقع المسيرة الاسلامية بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة وما اكتنف ذلك من احداث، ونعرّف من خلال رؤية موضوعية ومنطقية على ما يمكن ان يكون عليه موقف الرسول القائد ﷺ من مستقبل الاسلام من بعده هل تركه لمهب الرياح لتبدد تلك الجهود الجبارة والتضحيات الهائلة التي بذلها هو والثلة الطاهرة من اصحابه في سبيل ارساء صرح الاسلام وتثبيت قواعده، ام انه ﷺ خطط لمستقبل الاسلام وحدّد معالم المسيرة من بعده وبذل كل ما عنده لتكريس الرؤية الربانية لما يجب ان يكون عليه الوضع من بعده، ولم يرحل الا بعد ان انجز تلك المهمة ﴿اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم

(١) المائدة/٦٧.

(٢) المائدة/٣.

الاسلام ديناً<sup>(١)</sup>. منطلقين من ذلك الى التعرف على دور الزهراء عليها السلام وطبيعة مهمتها.

لقد ناقش هذه القضية الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر رحمته الله نقاشاً عقلياً موضوعياً في كتابه القيم (بحث حول الولاية) وحصر الاحتمالات الممكنة لما كان يمكن ان يقوم به الرسول لمعالجة هذه القضية وبحثها على ضوء العقل والواقع واستخلص من ذلك النتيجة المنطقية التي تنسجم مع عظمة الدين وقائد الاسلام العظيم محمد صلوات الله عليه الذي كان أحرص البشر جميعاً على مستقبل الاسلام والامة الاسلامية.

ان من اهم فقرات هذا الكتاب هو البحث عن موقف النبي صلوات الله عليه من مستقبل الدعوة الاسلامية بعد وفاته صلوات الله عليه، هل حدد طبيعة نظام الحكم وشكله السياسي؟ وهل أوصى لأحد من بعده أم لا؟

ولم أجد اروع مما كتبه الامام الشهيد الصدر رحمته الله في كتابه القيم (بحث حول الولاية) فأحببت ان أستفيد من بحثه مؤمناً ان احداً لا يستطيع ان يأتي بمثل ما أتى به، فعليه رضوان الله وجعل روحه مع اجداده الكرام في الجنان.

لخص الامام الشهيد الصدر الطرق التي كان بإمكان الرسول صلوات الله عليه نهجها بثلاثة:

### «الطريق السلبي»

اولها: الطريق السلبي، وذلك بان يقف صلوات الله عليه من مستقبل الدعوة موقفاً سلبياً، ويكتفي بممارسة دوره في قيادة الدعوة وتوجيهها فترة حياته ويترك مستقبلها للظروف والصدف.

ويرى رحمته الله ان هذه السلبية لا يمكن افتراضها في النبي صلوات الله عليه لانها انما تنشأ

من احد أمرين كلاهما لا ينطبق عليها.  
الامر الاول: هو ان نفترض انه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعتقد ان الاهمال والسلبيه لا تؤثر  
على مستقبل الدعوة الاسلاميه.  
والامر الثاني هو ان نفترض انه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان ينظر الى الدعوة نظرة مصلحية فلا  
يهمه الا ان يحافظ عليها ما دام حياً ليستفيد منها، ويستمتع بمكاسبها، ولا يُعنى  
بحماية مستقبلها بعد وفاته.

اما الامر الاول فناقشه بانّ هذا الاعتقاد لا مبرّر له من الواقع اطلاقاً، بل ان  
طبيعة الاشياء كانت تدل على خلافه، لأن الدعوة - بحكم كونها عملاً تغييراً انقلابياً  
في بدايته، يستهدف بناء امة، واستئصال كل جذور الجاهلية منها - تتعرض لا كبر  
الاحطار اذا خلت الساحة من قائدها دون أي تخطيط فهناك:

اولاً - الاحطار التي تنبع عن طبيعة مواجهة الفراغ دون أي تخطيط مسبق،  
وعن الضرورة الآتية لاتخاذ موقف مرتجل في ظل الصدمة العظيمة بفقد النبي فان  
الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اذا ترك الساحة دون تخطيط لمصير الدعوة فسوف تواجه الامة  
ولاول مرة مسؤولية التصرف بدون قائدها تجاه اخطر مشاكل الدعوة، وهي لا  
تمتلك أي مفهوم سابق بهذا الصدد. وسوف يتطلب منها الموقف تصرفاً سريعاً أنياً  
على رغم خطورة المشكلة، لأن الفراغ لا يمكن ان يستمر، وسوف يكون هذا  
التصرف السريع في لحظة الصدمة التي تُمنى بها الامة وهي تشعر بفقدائها لقائدها  
الكبير، هذه الصدمة التي تزعزع بطبيعتها سير التفكير، وتبعث على الاضطراب  
حتى انها جعلت صحابياً معروفاً يعلن - بفعل الصدمة - أن النبي لم يميت ولن يموت  
فقد قال عمر بن الخطاب:

من قال إن محمداً مات قتلته بسيفي هذا وانما رُفِعَ الى السماء. <sup>(١)</sup>  
نعم سيكون مثل هذا التصرف محفوفاً بالخطر غير محمود العواقب.

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١٥.

ثانياً: وهناك الاخطار التي تنجم عن عدم النضج الرسالي بدرجة تضمن للنبي - سلفاً - موضوعية التصرف الذي سوف يقع، وانسجامه مع الاطار الرسالي للدعوة، وتغلبه على التناقضات الكامنة التي كانت لا تزال تعيش في زوايا نفوس المسلمين على اساس الانقسام الى مهاجرين وانصار، أو قريش وسائر العرب، أو مكة والمدينة.

ثالثاً: هناك الاخطار التي تنشأ لوجود القطاع المستر بالاسلام، والذي كان يكيد له في حياة النبي ﷺ باستمرار، وهو القطاع الذي كان يسميه القرآن بالمنافقين. واذا أضفنا اليهم عدداً كبيراً ممن اسلم بعد الفتح استسلاماً للامر الواقع لا انفتاحاً على الحقيقة، نستطيع حينئذ ان نقدّر الخطر الذي يمكن لهذه العناصر ان تولّده، وهي تجد فرصة لنشاط واسع في فراغ كبير مع خلو الساحة من رعاية القائد.

فلم تكن اذاً خطورة الموقف بعد وفاة النبي ﷺ شيئاً يمكن ان يخفى على أي قائد مارس العمل العقائدي فضلاً عن خاتم الانبياء.

واذا كان ابوبكر لم يشأ ان يترك الساحة دون ان يتدخل تدخلاً ايجابياً في ضمان مستقبل الحكم بحجة الاحتياط للامر، واذا كان الناس قد هرعوا الى عمر حين ضُرب قائلين: يا أمير المؤمنين لو عهدت عهداً. وكل ذلك خوفاً من الفراغ الذي سوف يخلفه الخليفة بالرغم من التركيز السياسي والاجتماعي الذي كانت الدعوة قد بلغت بعد عقد من وفاة الرسول ﷺ. واذا كان عمر قد أوصى الى ستة تجاوباً مع شعور الآخرين بالخطر. واذا كان عمر يدرك - بعمق - خطورة الموقف في يوم السقيفة، وما كان بالامكان ان تؤدي اليه خلافة أبي بكر بشكلها المرتجل من مضاعفات اذ يقول: «إن بيعة أبي بكر كانت فلتة غير ان الله وقى شرها».

واذا كان ابوبكر نفسه يعتذر عن تسرعه الى قبول الحكم، وتحمل المسؤوليات الكبيرة، بأنه شعر بخطورة الموقف وضرورة الاقدام السريع على حل ما اذ يقول -



وقد عُوتب على قبول السلطة - ان رسول الله ﷺ قُبض والناس حديثو عهد بالجاهلية فخشيت ان يفتتنوا وان اصحابي حملونيها».

واذا كان كل ذلك صحيحاً فمن البديهي اذن ان يكون رائد الدعوة ونبيها اكثر شعوراً بخطر السلبية، واكثر ادراكاً واعمق فهماً لطبيعة الموقف ومتطلبات العمل التغيير الذي يمارسه في امة حديثة عهد بالجاهلية على حدّ تعبير ابي بكر».

### الامر الثاني:

ان الامر الثاني الذي يمكن ان يفسر سلبية القائد تجاه مستقبل الدعوة ومصيرها بعد وفاته، انه على رغم شعوره بخطر هذا الموقف لا يحاول تحصين الدعوة ضدّ ذلك الخطر، لانه ينظر الى الدعوة نظرة مصلحة فلا يهتم إلا ان يحافظ عليها ما دام حياً ليستفيد منها، ويستمتع بمكاسبها، ولا يُعنى بحماية مستقبلها بعد وفاته.

وهذا التفسير لا يمكن ان يصدق على النبي ﷺ حتى اذا لم نلاحظه بوصفه نبياً ومرتباً بالله سبحانه وتعالى في كل ما يرتبط بالرسالة، وافترضناه قائداً رسالياً كقادة الرسالات الاخرى، لأن تاريخ القادة الرساليين لا يملك نظيراً للقائد الرسول محمد ﷺ في اخلاصه لدعوته وتفانيه فيها، وتضحيته من اجلها الى آخر لحظة من حياته. وكل تاريخه يبرهن على ذلك، فقد كان ﷺ على فراش الموت وقد ثقل مرضه، وهو يحمل همّ معركة كان قد خطط لها، وجهاز جيش اسامة لخوضها، فكان يقول: (جهزوا جيش اسامة، انفذوا جيش اسامة، ارسلوا بعث اسامة) يكرر ذلك ويغنى عليه بين الحين والحين.

فاذا كان اهتمام الرسول ﷺ بقضية من قضايا الدعوة يبلغ الى هذه الدرجة وهو موجود بنفسه على فراش الموت، ولا يمنعه علمه بأنه سيموت قبل ان يقطف ثمار تلك المعركة عن تبنيه لها، وان تكون همّه الشاغل وهو يلفظ انفاسه الاخيرة فكيف يمكن ان نتصور ان النبي لا يعيش هموم مستقبل الدعوة، ولا يخطط لسلامتها بعد وفاته ﷺ من الاخطار المرتقبة؟

واخيراً فان في سلوك الرسول ﷺ في مرضه الاخير رقماً واحداً يكفي لنفي الطريق الاول، وللتدليل على ان القائد الاعظم نبينا محمد ﷺ كان أبعد ما يكون من فرضية الموقف السلبي تجاه مستقبل الدعوة لعدم الشعور بالخطر، أو لعدم الاهتمام بشأته، وهذا الرقم أجمعت صحاح المسلمين جميعاً - سنة وشيعة - على نقله: وهو ان الرسول ﷺ لما حضرته الوفاة، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال ﷺ: أئثوني بالكف والدواة اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فان هذه المحاولة من القائد الكريم المتفق على نقلها وصحتها تدل بكل وضوح على انه كان يفكر في اخطار المستقبل، ويدرك بعمق ضرورة التخطيط لتحسين الامة من الانحراف، وحماية الدعوة من التميع والانهيار.

فليس اذاً من الممكن افتراض الموقف السلبي من النبي ﷺ بحال من الاحوال».

### «الطريق الايجابي»

وناقش الامام الشهيد الصدر رحمه الله الطريق الثاني الذي اسماه بالطريق الايجابي الممثل بالشورى فقال:

ان الطريق الثاني هو ان يخطط الرسول القائد ﷺ لمستقبل الدعوة بعد وفاته، ويتخذ موقفاً ايجابياً، فيجعل القيمومة على الدعوة وقيادة التجربة للامة ممثلة - على اساس نظام الشورى - في جيلها العقائدي الاول الذي يضم مجموع المهاجرين والانصار. فهذا الجيل للامة هو الذي سيكون قاعدة للحكم، ومحوراً لقيادة الدعوة في خط نغوها.

بالنسبة لهذا الافتراض يلاحظ هنا: ان طبيعة الاشياء، والوضع العام الثابت عن الرسول الاكرم والدعوة والدعاة يرفض هذه الفرضية، وينفي ان يكون النبي ﷺ قد انتهج هذا الطريق، واتجه الى ربط قيادة الدعوة بعده مباشرة بالامة ممثلة في جيلها الطبيعي من المهاجرين والانصار الى اساس نظام الشورى.

وفما يلي بعض النقاط التي توضح ذلك:

**النقطة الاولى:** لو كان النبي قد اتخذ من مستقبل الدعوة بعده موقفاً ايجابياً يستهدف وضع نظام الشورى موضع التطبيق بعد وفاته مباشرة، واسناد زعامة الدعوة الى القيادة التي تنبثق عن هذا النظام لكان من أبده الاشياء التي يتطلبها هذا الموقف الايجابي ان يقوم الرسول القائد بعملية توعية للامة والدعاة على نظام الشورى وحدوده وتفاصيله، واعطائه طابعاً دينياً مقدساً، واعداد المجتمع الاسلامي إعداداً فكرياً وروحياً لتقبل هذا النظام، وهو مجتمع نشأ من مجموعة من العشائر لم تكن قد عاشت قبل الاسلام وضعاً سياسياً على اساس الشورى، وانما كانت تعيش في الغالب وضع زعامات قبلية وعشائرية تتحكم فيها القوة والثروة وعامل الوراثة الى حد كبير.

ونستطيع بسهولة ان ندرك ان النبي ﷺ لم يمارس عملية التوعية على نظام الشورى وتفاصيله التشريعية ومفاهيمه الفكرية، لأن هذه العملية لو كانت قد أُنجزت لكان من الطبيعي ان تنعكس وتتجسد في الاحاديث الماثورة عن النبي ﷺ، وفي ذهنية الامة، أو على الاقل في ذهنية الجيل الطليعي منها الذي يضم المهاجرين والانصار بوصفه هو المكلف بتطبيق نظام الشورى، مع اننا لا نجد في الاحاديث عن النبي ﷺ أي صورة تشريعية محددة لنظام الشورى.

واما ذهنية الامة، أو ذهنية الجيل الطليعي منها فلا نجد فيها أي ملامح أو انعكاسات محددة لتوعية من ذلك القبيل. فان هذا الجيل كان يحتوي على اتجاهين: أحدهما - الاتجاه الذي يتزعمه اهل البيت.

والآخر - الاتجاه الذي تمثله السقيفة والخلافة التي قامت فعلاً بعد وفاة النبي ﷺ.

فاما الاتجاه الاول: فمن الواضح انه كان يؤمن بالوصاية والامامة، ويؤكد على القرابة، ولم ينعكس منه الايمان بفكرة الشورى.

واما الاتجاه الثاني: فكل الارقام والشواهد في حياته وتطبيقه العملي تدل بصورة لا تقبل الشك على أنه لم يكن يؤمن بالشورى، ولم يبن ممارسته الفعلية على اساسها، والشيء نفسه نجده في سائر قطاعات ذلك الجيل الذي عاصر وفاة الرسول الاعظم ﷺ من المسلمين.

ونلاحظ بهذا الصدد للتأكد من ذلك ان ابا بكر حينما اشتدت به العلة عهد الى عمر بن الخطاب، فأمر عثمان ان يكتب عهده وكتب:  
(بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به ابو بكر خليفة رسول الله الى المؤمنين والمسلمين.

سلام عليكم، فاني أحمد الله اليكم أما بعد: فاني قد استعملت عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا واطيعوا).

ودخل عليه عبدالرحمن فقال:

كيف أصبحت يا خليفة رسول الله؟

فقال: اصبحت مولياً، وقد زدتموني على ما بي إذ رأيتموني استعملت رجلاً منكم، فكلكم قد اصبحت وريماً أنفه، وكل يطلبها لنفسه).

وواضح من هذا الاستخلاف وهذا الاستنكار للمعارضة أن الخليفة لم يكن يفكر بعقلية نظام الشورى، وانه كان يرى من حقه تعيين الخليفة، وان هذا التعيين يفرض على المسلمين الطاعة، ولهذا أمرهم بالسمع والطاعة. فليس هو مجرد ترشيح أو تنبيه، بل هو إلزام ونصب.

ونلاحظ أيضاً أن عمر رأى هو الآخر ايضاً أن من حقه فرض الخليفة على المسلمين، ففرضه في نطاق ستة اشخاص، واوكل أمر التعيين الى الستة انفسهم دون ان يجعل لسائر المسلمين أي دور حقيقي في الانتخاب<sup>(١)</sup> وهذا يعني ان عقلية نظام

---

(١) جاء في تاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٨١ ما يلي:

«قال عمر لصهيب: صل بالناس ثلاثة ايام، وادخل علياً وعثمان والزبير وسعداً وعبدالرحمن بن عوف

الشورى لم تتمثل في طريقة الاستخلاف التي انتهجها عمر، كما لم تتمثل من قبل في الطريقة التي سلكها الخليفة الاول.

وقد قال عمر - حين طلب منه الناس الاستخلاف (لو أدركني احد رجلين فجعلت هذا الامر اليه لو ثقته به، سالم مولى ابي حذيفة، وابي عبيدة بن الجراح، ولو كان سالم حياً ما جعلتها شورى).

وقد قال ابو بكر لعبدالرحمن بن عوف وهو يناجيه على فراش الموت: (وددت ان سألت رسول الله ﷺ لمن هذا الامر فلا ينازعه احد).

وحينما تجمع الانصار في السقيفة لتأمر سعد بن عبادة قال منهم قائل: إن أبت مهاجرة قريش فقالوا نحن المهاجرون ونحن عشيرته واولياؤه، فقالت طائفة منهم اذن نقول منا أمير ومنكم أمير ولن نرضى بدون هذا منهم أبداً).  
وحينما خطب ابو بكر فيهم قال:

(كنا معاشر المسلمين المهاجرين اول الناس إسلاماً، والناس لنا في ذلك تبع، نحن عشيرة رسول الله، واوسط العرب انساباً).  
وحينما اقترح الانصار ان تكون الخلافة دورية بين المهاجرين والانصار رد أبو بكر قائلاً:

(إن رسول الله لما بعث عظم على العرب ان يتركوا دين آباؤهم فخالقوه وشاقوه، وخص الله المهاجرين الاولين من قومه بتصديقه... هم أول من عبد الله في الارض، وهم اولياؤه وعترته، وأحق الناس بالأمر بعده، لا ينازعهم فيه الا ظالم).

---

وطلحة - إن قديم - واحضر عبدالله بن عمر ولا شيء له من الامر، وقم على رؤوسهم فان اجتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبي واحد فاشدخ رأسه، أو اضرب رأسه بالسيف.  
وان اتفق اربعة فرضوا رجلاً منهم وأبي اثنان فاضرب رؤوسهما. فان رضي ثلاثة رجلاً منهم، وثلاثة رجلاً منهم، فحكموا عبدالله بن عمر، فأى الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم، فان لم يرضوا بحكم عبدالله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف واقتلوا الباقيين ان رغبوا عما اجتمع عليه الناس...).

وقال الحباب بن المنذر وهو يشجع الانصار على التماسك:  
(املكوا عليكم ايديكم انما الناس في فيئكم وظلكم فان ابي هؤلاء فنا أمير  
ومنهم أمير).  
وقد ردّ عليه عمر قائلاً:

(هيئات لا يجتمع سيفان في غمد... من ذا يخاصمنا في سلطان محمد وميراثه  
ونحن اولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل، أو متجانف لأثم، أو متورط في هلكة)<sup>(١)</sup>  
ان الطريقة التي مارسها الخليفة الاول والخليفة الثاني للاستخلاف، وعدم  
استنكار عامة المسلمين لتلك الطريقة، والروح التي سادت على منطق الجناحين  
المتنافسين من الجيل الطليعي، المهاجرين والانصار يوم السقيفة، والاتجاه الواضح  
الذي بدأ لدى المهاجرين نحو تقرير مبدأ انحصار السلطة بهم، وعدم مشاركة  
الانصار في الحكم، والتأكيد على المبررات الوراثية التي تجعل من عشيرته أولى  
العرب بميراثه. واستعداد كثير من الانصار لتقبل فكرة أميرين، احدهما من الانصار  
والآخر من المهاجرين، واعلان ابي بكر الذي فاز بالخلافة في ذلك اليوم عن أسفه  
لعدم السؤال من النبي عن صاحب الامر. كل ذلك يوضح بدرجة لا تقبل الشك ان  
هذا الجيل الطليعي من الامة الاسلامية بما فيه القطاع الذي تسلّم الحكم بعد وفاة  
النبي لم يكن يفكر بذهنية الشورى، ولم يكن يملك فكرة محددة عن هذا النظام،  
فكيف يمكن ان نتصور ان النبي ﷺ قد مارس عملية توعية على نظام الشورى  
تشريعياً وفكرياً، وأعدّ جيل المهاجرين والانصار لتسلم قيادة الدعوة بعده على  
اساس هذا النظام لتسلم قيادة الدعوة بعده على اساس هذا النظام، ثم لا نجد لدى  
هذا الجيل تطبيقاً واعياً لهذا النظام أو مفهوماً محدداً عنه؟

كما اننا لا يمكن أن نتصور - من ناحية اخرى - ان الرسول القائد يضع هذا  
النظام، ويحدده تشريعياً ومفهوماً ثم لا يقوم بتوعية المسلمين عليه و تثقيفهم به.

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٤٣، وشرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٦ ص ٩٦.

وهكذا يبرهن ما تقدم على أن النبي ﷺ لم يكن طرح الشورى كنظام بديل على الأمة، إذ ليس من الممكن عادة أن تطرح بالدرجة التي تتناسب مع أهميتها ثم تختفي اختفاء كاملاً عن الجميع وعن كل الاتجاهات.

ومما يوضح هذه الحقيقة بدرجة أكبر أن نلاحظ:

أولاً: أن نظام الشورى كان نظاماً جديداً بطبيعته على تلك البيئة التي لم تكن قد مارست قبل النبوة أي نظام مكتمل للحكم، فكان لابد من توعية مكثفة ومركزة عليه كما أوضحنا ذلك.

ثانياً: أن الشورى كفكرة مفهوم غائم لا يكفي طرحه هكذا لا مكان وضعه موضع التنفيذ ما لم تشرح تفاصيله وموازينه ومقاييس التفضيل عند اختلاف الشورى، وهل تقوم هذه المقاييس على أساس العدد والكم، أو على أساس الكيف والخبرة؟ إلى غير ذلك مما يحدد للفكرة معالمها ويجعلها صالحة للتطبيق فور وفاة النبي ﷺ.

ثالثاً: أن الشورى تعبر في الحقيقة عن ممارسة للأمة - بشكل أو آخر - للسلطة عن طريق التشاور وتقرير مصير الحكم. فهي مسؤولية تتعلق بعدد كبير من الناس هم كل الذين تشملهم الشورى، وهذا يعني أنها لو كانت حكماً شرعياً يجب وضعه موضع التنفيذ عقيب وفاة النبي ﷺ لكان لابد من طرحه على أكبر عدد من أولئك الناس لأن موقفهم من الشورى إيجابي، وكل منهم يتحمل قسطاً من المسؤولية.

وكل هذه النقاط تبرهن على أن النبي ﷺ في حال تبنيه لنظام الشورى كبديل له بعد وفاته يتحتم عليه أن يطرح فكرة الشورى على نطاق واسع وبعمق وباعداد نفسي عام، وملء لكل الثغرات، وإبراز لكل التفاصيل التي تجعل الفكرة عملية، وطرح للفكرة على هذا المستوى كما وكيفاً وعمقاً، لا يمكن أن يمارسه الرسول الأعظم ﷺ ثم تنطمس معالمه لدى جميع المسلمين الذين عاصروه إلى حين

وفاته صلوات الله عليه.

وقد يفترض ان النبي ﷺ كان قد طرح فكرة الشورى بالصورة اللازمة، وبالحجم الذي يتطلبه الموقف كماً وكيفاً واستوعبها المسلمون، غير ان الدوافع السياسية استيقظت فجأة وحجبت الحقيقة وفرضت على الناس كتمان ماسمعه من النبي فيما يتصل بالشورى واحكامها وتفصيلها.

غير ان هذا الافتراض ليس عملياً، لأن تلك الدوافع مهما قيل عنها فهي لا تشمل المسلمين الاعتياديين من الصحابة الذين لم يساهموا في الاحداث السياسية عقب وفاة النبي ﷺ ولا في بناء هرم السقيفة، وكان موقفهم موقف المترسل، وهؤلاء يمثلون في كل مجتمع جزءاً كبيراً من الناحية العددية مهما طغى الجانب السياسي عليه.

فلو كانت الشورى مطروحة من قبل النبي ﷺ بالحجم المطلوب لما اختص الاستماع الى نصوصها باصحاب تلك الدوافع، بل لسمعها مختلف الناس، ولا انعكست بصورة طبيعية عن طريق الاعتياديين من الصحابة كما انعكست فعلاً النصوص النبوية على فضل الامام علي عليه السلام ووصايته عن طريق الصحابة أنفسهم، فكيف لم تحل الدوافع السياسية دون ان تصل الينا مئات الاحاديث - عن طريق الصحابة - عن النبي ﷺ في فضل علي عليه السلام ووصايته ومرجعيته على الرغم من تعارض ذلك مع الاتجاه السائد وقتئذٍ، ولم يصلنا شيء ملحوظ من ذلك فيما يتصل بفكرة الشورى؟ بل حتى اولئك الذين كانوا يمثلون الاتجاه السائد كانوا في كثير من الاحيان يختلفون في المواقف السياسية وتكون من مصلحة هذا الفريق أو ذاك ان يرفع شعار الشورى ضد الفريق الآخر. ومع ذلك لم نعهد أن فريقاً منهم استعمل هذا الشعار كحكم سمعه من النبي ﷺ فلا حظوا على سبيل المثال موقف طلحة من تعيين ابي بكر لعمر واستنكاره لذلك واعلانه السخط على هذا التعيين، فانه لم يفكر - على رغم ذلك - ان يلعب ضد هذا التعيين بورقة الشورى، ويشجب موقف ابي بكر



بانه يخالف ما هو المسموع من النبي ﷺ عن الشورى والانتخاب  
ثم تطرق السيد الشهيد الصدر رحمه الله الى قضية اساسية هي قيمومة الصحابة على  
الدعوة الاسلامية فهل جعل النبي ﷺ القيمومة لهم، وهل عبئهم لتحمل هذه  
المسؤولية الكبيرة، واذا كان الامر كذلك فهل هناك نصوص تدعم هذا الاتجاه؟  
فاجاب رحمه الله:

### النقطة الثانية:

ان النبي ﷺ لو كان قد قرر أن يجعل من الجيل الاسلامي الرائد، الذي يضم  
المهاجرين والانصار من صحابته قima على الدعوة بعده و مسؤولاً عن مواصلة  
عملية التغيير، فهذا يحتم على الرسول القائد ﷺ ان يعي هذا الجيل عبئاً رسالية  
وفكرية واسعة، يستطيع ان يمسك بالنظرية بعمق ويمارس التطبيق في ضوئها بوعي،  
ويضع للمشاكل التي تواجهها الدعوة باستمرار حلولها النابعة من الرسالة خصوصاً  
اذا لاحظنا ان النبي ﷺ كان - وهو الذي بشر بسقوط كسرى وقيصر - يعلم بان  
الدعوة مقبلة على فتوح عظيمة، وان الامة الاسلامية سوف تضم اليها في غد قريب  
شعوباً جديدة ومساحة كبيرة، وتواجه مسؤولية توعية تلك الشعوب على الاسلام،  
وتحصين الامة من اخطار هذا الانفتاح، وتطبيق احكام الشريعة على الارض  
المفتوحة وعلى اهل الارض، بالرغم من ان الجيل الرائد من المسلمين كان انظف  
الاجيال التي توارثت الدعوة واكثرها استعداداً للتضحية. وبالرغم من كل ذلك  
لا نجد فيه ملامح ذلك الاعداد الخاص للقيمومة على الدعوة، والثقيف الواسع العميق  
على مفاهيمها، والارقام التي تبرر هذا النبي كثيرة لا يمكن استيعابها في هذا المجال.  
ويمكننا ان نلاحظ بهذا الصدد ان مجموع ما نقله الصحابة من نصوص عن  
النبي ﷺ في مجال التشريع لا يتجاوز بضع مئات من الاحاديث، بينما كان عدد  
الصحابة يناهز اثني عشر الفا على ما احصته كتب التاريخ. وكان النبي ﷺ يعيش  
مع آلاف من هؤلاء في بلد واحد ومسجد واحد صباحاً ومساءً، فهل يمكن ان نجد

في هذه الأرقام ملاحم الأعداد الخاص؟

والمعروف عن الصحابة أنهم كانوا يتحاشون من ابتداء النبي ﷺ بالسؤال حتى أن أحدهم كان ينتظر فرصة مجيء أعرابي من خارج المدينة يسأل لسمع الجواب، وكانوا يرون أن من الترف الذي يجب الترفع عنه السؤال عن حكم قضايا لم تقع بعد ومن أجل ذلك قال عمر على المنبر:

(أخرج بالله على رجل سأل عما لم يكن فإن الله قد بين ما هو كائن).

وقال:

(لا يحل لأحد أن يسأل عما لم يكن إن الله قد قضى فيما هو كائن)<sup>(١)</sup> وجاء رجل يوماً إلى ابن عمر يسأله عن شيء فقال له ابن عمر: (لا تسأل عما لم يكن فاني سمعت عمر بن الخطاب يلعن من سأل عما لم يكن)<sup>(٢)</sup> وسأل رجل أبي بن كعب عن مسألة قال:

يا بني أكان الذي سألتني؟

قال: لا.

قال: أما لا فأجلني حتى يكون)<sup>(٣)</sup> وقرأ عمر يوماً القرآن فأنتهى إلى قوله تعالى ﴿فَانبَتْنَاهَا حَبًّا وَعَسْبًا وَقُضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدائقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾<sup>(٤)</sup> فقال: كل هذا عرفناه فما الأب؟ ثم قال: هذا لعمر الله هو التكلف فما عليك أن لا تدري ما الأب، اتبعوا ما يُبين لكم هداه من الكتاب فاعملوا به، وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربه).

وهكذا نلاحظ اتجاهها لدى الصحابة إلى العزوف عن السؤال إلا في حدود

(١) سنن الدارمي ج ١ / ٥٠ طبع مطبعة الاعتدال دمشق.

(٢) سنن الدارمي ج ١ / ٥٠ طبع مطبعة الاعتدال دمشق.

(٣) سنن الدارمي ج ١ / ٥٦.

(٤) سورة عبس آية ٢٧-٣١.

## المشاكل المحدودة الواقعة.

وهذا الاتجاه هو الذي أدى إلى ضلالة عدد النصوص التشريعية التي نقلوها عن الرسول ﷺ وهو الذي أدى بعد ذلك إلى الاحتياج إلى مصادر أخرى غير الكتاب و السنة كالاستحسان والقياس وغيرهما من ألوان الاجتهاد التي يتمثل فيها العنصر الذائقي للمجتهد، الأمر الذي أدى إلى تسرب شخصية الإنسان بذوقه وتصوراتة الخاصة إلى التشريع، وهذا الاتجاه أبعد ما يكون عن عملية الاعداد الرسالي الخاص التي كانت تتطلب تثقيفاً واسعاً لذلك الجيل وتوعية له على حلول الشريعة للمشاكل التي سوف يواجهها عبر قيادته.

وكما أمسك الصحابة عن مبادرة النبي بالسؤال كذلك أمسكوا عن تدوين آثار الرسول الاعظم ﷺ وسنته على رغم انها المصدر الثاني من مصادر الاسلام، وان التدوين كان هو الاسلوب الوحيد للحفاظ عليها و صيانتها من الضياع والتحريف، فقد أخرج الهروي في ذم الكلام عن طريق يحيى بن سعد عن عبد الله بن دينار قال:

(لم يكن الصحابة ولا التابعون يكتبون الاحاديث وانما كانوا يؤدونها لفظاً و ياخذونها حفظاً).

بل ان الخليفة الثاني - على ما في طبقات ابن سعد - ظل يفكر في الموقف الافضل تجاه سنة الرسول، واستمر به التفكير شهراً ثم أعلن منعه عن تسجيل شيء من ذلك و بقيت سنة الرسول الاعظم التي هي اهم مصدر للاسلام بعد الكتاب الكريم في ذمة القدر يتحكم فيها النسيان تارة، والتحريف أخرى، وموت الحفاظ ثلاثة طيلة مائة وخمسين سنة تقريباً.

ويستثنى من ذلك اتجاه اهل البيت فانهم دأبوا على التسجيل والتدوين منذ العصر الاول، وقد استفاضت رواياتنا عن أئمة اهل البيت بأنّ عندهم كتاباً ضخماً مدوناً باملاء رسول الله ﷺ وخط علي بن ابي طالب عليه السلام فيه جميع سنن رسول الله ﷺ.

فهل ترى بربك أن ذلك الاتجاه الساذج - ان كانت المسالة مسألة سذاجة - الذي ينفر من السؤال عن واقعة قبل حدوثها ويرفض تسجيل سنن النبي ﷺ بعد صدورها كفوؤاً لزعامة الرسالة الجديدة وقيادتها في أهم وأصعب مراحل مسيرتها الطويلة؟.

او هل ترى بربك ان الرسول الاعظم ﷺ كان يترك سنته مبعثرة بدون ضبط وتسجيل مع انه يأمر بالتمسك بها؟. أو لم يكن من الضروري اذا كان يمهّد لفكرة الشورى حقاً أن يحدد للشورى دستوراً ويضبط سنته لكي تسير الشورى على منهاج ثابت محدد لا تتلاعب به الاهواء؟

ليس التفسير الوحيد المعقول لهذا الموقف من النبي أنه كان قد أعدّ الامام علياً للمرجعية وزعامة التجربة بعده، وادّعه سنته كاملة، وعلمه الف باب من العلم. وقد اثبتت الاحداث بعد وفاة النبي ﷺ ان جيل المهاجرين والانصار لم يكن يملك أى تعليقات محددة عن كثير من المشاكل الكبيرة التي كان من المفروض ان تواجهها الدعوة بعد النبي، حتى ان المساحة الهائلة من الارض التي امتد إليها الفتح الاسلامي، لم يكن لدى الخليفة والوسط الذي يسنده، أي تصور محدد عن حكمها الشرعي، وعما اذا كانت تُقسّم بين المقاتلين أو تُجعل وقفاً على المسلمين عموماً. فهل يمكننا ان نتصور ان النبي يؤكد للمسلمين انهم سوف يفتحون أرض كسرى وقصر، ويجعل من جيل المهاجرين والانصار القيم على الدعوة، والمسؤول عن هذا الفتح ثم لا يخبره بالحكم الشرعي الذي يجب أن يطبقه على تلك المساحة الهائلة من الدنيا التي سوف يمتد إليها الاسلام؟.

بل اننا نلاحظ أكثر من ذلك: ان الجيل المعاصر للرسول ﷺ لم يكن يملك تصورات واضحة محددة حتى في مجال القضايا الدينية التي كان النبي ﷺ يمارسها مئات المرات وعلى مرأى ومسمع من الصحابة. ونذكر على سبيل المثال لذلك الصلاة على الميت فانها عبادة كان النبي ﷺ قد مارسها علانية مئات المرات،

وأداها في مشهد عام من المشيعين و المصلين وبالرغم من ذلك يبدو أن الصحابة كانوا لا يجدون ضرورة معرفة هذه العبادة ما دام النبي ﷺ يؤديها، وما داموا يتابعون فيها النبي فصلاً بعد فصل. ولهذا وقع الاختلاف بينهم بعد وفاة النبي ﷺ في عدد التكبيرات في صلاة الميت فقد اخرج الطحاوي عن ابراهيم قال: قُبِضَ رسول الله والناس مختلفون في التكبير على الجنائزة، لا تشاء ان تسمع رجلاً يقول سمعت رسول الله يكبر خمساً، وآخر يقول سمعت رسول الله يكبر أربعاً، فاختلفوا في ذلك حتى قبض ابوبكر، فلما ولي عمر ورأى اختلاف الناس في ذلك شق عليه جداً، فارسل الى رجال من اصحاب رسول الله فقال: إنكم معاشر اصحاب رسول الله متى تختلفون على الناس يختلفون من بعدكم، ومتى تجتمعون على أمر يجتمع الناس عليه فانظروا ما تجتمعون عليه، فكانوا أيقظهم فقالوا: نَعَمْ ما رأيت يا امير المؤمنين. وهكذا نجد ان الصحابة كانوا في حياة النبي ﷺ يتكلمون غالباً على شخص النبي ﷺ ولا يشعرون بضرورة الاستيعاب المباشر للاحكام والمفاهيم ما داموا في كنف النبي ﷺ.

وقد تقول إن هذه الصورة التي عُرِضت عن الصحابة وما فيها من ارقام على عدم كفايتهم للقيادة يتعارض مع ما نؤمن به جميعاً من ان التربية النبوية احرزت درجة هائلة من النجاح وحققت جيلاً رسالياً رائعاً.

والجواب: إنا بما قدمناه قد حددنا الصورة الواقعية لذلك الجيل الواسع الذي عاصر وفاة النبي ﷺ دون ان نجد في ذلك ما يتعارض مع التقييم الايجابي بدرجة عالية للتربية النبوية التي مارسها الرسول ﷺ في حياته الشريفة، لاننا في نفس الوقت الذي نؤمن فيه بأن التربية النبوية كانت مثلاً ربانياً رائعاً وبعثاً رسالياً متميزاً في تاريخ العمل النبوي على مر الزمان نجد ان الايمان بذلك والوصول الى تقييم حقيقي لمحصول هذه التربية ونتاجها لا يقوم على أساس ملاحظة النتائج بصورة منفصلة عن ظروف التربية وملابساتها، ولا على أساس ملاحظة الكم بصورة منفصلة عن الكيف.

ففي مجال تقييم التربية النبوية يجب ان نأخذ بعين الاعتبار:  
اولاً: قصر الفترة الزمنية التي مارس النبي ﷺ فيها تربيته، لأنها لا تتجاوز تقريباً عقدين من الزمن بالنسبة الى اقدم صحبه، ولا تتجاوز عقداً واحداً من الزمن بالنسبة الى الكثرة الكاثرة من الانصار، ولا تتجاوز ثلاث سنوات أو اربع بالنسبة الى الاعداد الهائلة التي دخلت الاسلام ابتداءً منذ صلح الحديبية، واستمراراً الى حين فتح مكة.

ثانياً: الوضع المسبق الذي كان هؤلاء يعيشونه من الناحية الفكرية والروحية والدينية والسلوكية قبل ان يبدأ النبي ﷺ بممارسة دوره، وما كانوا عليه من سذاجة وفراغ وعفوية في مختلف مجالات حياتهم.

ثالثاً: ما زخرت به تلك الفترة من أحداث وألوان الصراع السياسي والعسكري على جبهات متعددة، الامر الذي ميز طبيعة العلاقة بين الرسول الاعظم وصحابته من نوع العلاقة بين شخص كالسيد المسيح وتلامذته فلم تكن علاقة مدرس ومربّ متفرغ لاعداد تلامذته، وانما هي العلاقة التي تتناسب مع موقع الرسول كمرّب وقائد حرب ورئيس دولة.

رابعاً: ما واجهته الجماعة المسلمة نتيجة احتكاكها باهل الكتاب، وثقافات دينية متنوعة من خلال صراعاتها العقائدية الاجتماعية فقد كان هذا الاحتكاك وما يطرحه على الساحة خصوم الدعوة الجديدة المثقفين بثقافات دينية سابقة، مصدر قلق وإثارة مستمرة. وكلنا نعرف أنه شكل بعد ذلك تياراً فكرياً إسرائيلياً تسرب بصورة عفوية، أو بسوء نية الى كثير من مجالات التفكير. ونظرة فاحصة في القرآن الكريم تكفي لاكتشاف حجم المحتوى لفكر الثورة المضادة، ومدى اهتمام الوحي برصدها ومناقشة أفكارها.

خامساً: ان الهدف الذي كان يسعى الربّي الاعظم ﷺ لتحقيقه على المستوى العام، وفي تلك المرحلة هو ايجاد القاعدة الشعبية الصالحة التي يمكن

لزعامة الرسالة الجديدة - في حياته أو بعد وفاته - أن تتفاعل معها وتواصل عن طريقها التجربة، ولم يكن الهدف المرحلي وقتئذٍ تصعيد الامة الى مستوى هذه الزعامة نفسها بما تتطلبه من فهم كامل للرسالة، وتفقه شامل على احكامها، والتحام مطلق مع مفاهيمها وتحديد الهدف في تلك المرحلة بالدرجة التي ذكرناها كان امراً منطقياً تفرضه طبيعة العمل التغييري، إذ ليس من المعقول ان يرسم الهدف الاً وفقاً لممكنات عملية، ولا مكان عملي في حالة كالحالة التي واجهها الاسلام الاً ضمن الحدود التي ذكرناها، لأن الفاصل المعنوي والروحي والفكري والاجتماعي بين الرسالة الجديدة وبين الواقع الفاسد القائم وقتئذٍ كان لا يسمح بالارتفاع بالناس الى مستوى زعامة هذه الرسالة مباشرة.

سادساً: إن جزءاً كبيراً من الامة التي تركها النبي ﷺ بوفاته كان يمثل مسلمة الفتح، أي المسلمين الذين دخلوا الاسلام بعد فتح مكة وبعد ان أصبحت الرسالة الجديدة سيدة الموقف في الجزيرة العربية سياسياً وعسكرياً، وهؤلاء لم يتح للرسول الاعظم ﷺ أن يتفاعل معهم في الفترة القصيرة التي أعقبت الفتح الاً بقدر ضئيل، وكان جلّ تفاعله معهم بوصفه حاكماً بحكم المرحلة التي كانت الدولة الاسلامية تمرّ بها.

في اطار هذه الامور الستة نجد ان التربية النبوية انتجت إنتاجاً عظيماً، وحققت تحولاً فريداً، وأنشأت جيلاً صالحاً مؤهلاً لما استهدفه النبي من تكوين قاعدة شعبية صالحة للالتفات حول الزعامة القائدة للتجربة الجديدة واسنادها، ولذلك نجد ان ذلك الجيل كان يؤدي دوره كقاعدة شعبية صالحة مادامت الزعامة القائدة الرشيدة كانت قائمة في شخص النبي. ولو قدر لهذه الزعامة ان تأخذ مسارها الرباني لظلت القاعدة تؤدي دورها الصالح، غير ان هذا لا يعني بحال من الاحوال انها مهياة فعلاً لكى تتسلم هذه الزعامة، وتقود بنفسها التجربة الجديدة، لأن هذه التهيئة تتطلب درجة اكبر من الانصهار الروحي والايماني بالرسالة، واحاطة أوسع كثيراً

باحكامها ومفاهيمها ووجهات نظرها المختلفة عن الحياة، وتطهيراً أشمل لصفوفها من المنافقين والمندسين والمؤلفة قلوبهم الذين كانوا لا يزالون يشكلون جزءاً من ذلك الجيل له أهميته العددية ومواقفه التاريخية، كما ان له آثاره السلبية، بدليل حجم ما تحدث به القرآن الكريم عن المنافقين و مكائدهم ومواقفهم مع تواجد أفراد في ذلك الجيل قد استطاعت التجربة أن تبنيهم بناءً رسالياً رفيعاً وتصهرهم في بوتقتها كسلمان وأبي ذر وعمار وغيرهم.

اقول: ان تواجد هؤلاء الافراد ضمن ذلك الجيل الواسع لا يبرهن على ان ذلك الجيل ككل بلغ الى الدرجة التي تبرر اسناد مهام التجربة اليه على اساس الشورى، وحتى اولئك الافراد الذين مثلوا النقط الرفيع رسالياً من ذلك الجيل لا يوجد في اكثرهم ما يبرر افتراض كفايتهم الرسالية لزعامة التجربة من الناحية الفكرية والثقافية على رغم شدة إخلاصهم، وعمق ولائهم، لأن الاسلام ليس نظرية بشرية لكنى يتحدد فكرياً من خلال الممارسة والتطبيق وتبلور مفاهيمه عبر التجربة المخلصة، وانما هو رسالة الله التي حددت فيها الاحكام والمفاهيم وزودت ربانياً بكل التشريعات العامة التي تتطلبها التجربة فلا بد لزعامة هذه التجربة من استيعاب الرسالة بمحدودها وتفاصيلها، ومن وعي بكل احكامها ومفاهيمها، وإلا اضطرت الى استلهاهم مسبقاتها الذهنية ومرتكزاتها القبلية، وادى ذلك الى نكسة في مسيرة التجربة، وبخاصة إذا لاحظنا ان الاسلام كان هو الرسالة الخاتمة من رسالات السماء التي يجب ان تمتد مع الزمن، وتتعدى كل الحدود الزمنية والاقليمية والقومية الامر الذي لا يسمح بان تمارس زعامته التي تشكل الاساس لكل ذلك الامتداد تجارب الخطأ والصواب التي تتراكم فيها الاخطاء عبر فترة من الزمن حتى تشكل ثغرة تهدد التجربة بالسقوط والانهيار.

وكل ما تقدم يدل على ان التوعية التي مارسها النبي ﷺ على المستوى العام للمهاجرين والانصار لم تكن بالدرجة التي يتطلبها إعداد القيادة الواعية الفكرية



والسياسية لمستقبل الدعوة وعملية التغيير، وإنما كانت توعية بالدرجة التي تبنى القاعدة الشعبية الواعية التي تلتف حول قيادة الدعوة في الحاضر والمستقبل. وأي افتراض يتجه الى القول بأن النبي ﷺ كان يخطط لاسناد قيادة التجربة والقيومة على الدعوة بعده مباشرة الى جيل المهاجرين والانصار، يحتوي ضمناً اتهام أذكي وأبصر قائد رسالي في تاريخ العمليات التغييرية بعدم القدرة على التمييز بين الوعي المطلوب على مستوى القاعدة الشعبية للدعوة والوعي المطلوب على مستوى قيادة الدعوة وإمامتها الفكرية والسياسية.

### النقطة الثالثة:

ان الدعوة عملية تغيير، ومنهاج حياة جديدة وهي تستهدف بناء امة من جديد واقتلاع كل جذور الجاهلية ورواسبها من وجودها. والامة الاسلامية ككل لم تكن قد عاشت في ظل عملية التغيير هذه إلا عقداً واحداً من الزمن على أكثر تقدير، وهذا الزمن القصير لا يكفي عادة في منطق الرسائل العقائدية والدعوات التغييرية لارتفاع الجيل الذي عاش في كنف الدعوة عشر سنوات فقط الى درجة من الوعي والموضوعية والتحرر من رواسب الماضي، والاستيعاب لمعطيات الدعوة الجديدة تؤهله للقيومة على الرسالة وتحمل مسؤوليات الدعوة ومواصلة عملية التغيير بدون قائد، بل ان منطق الرسائل العقائدية يفرض ان تمرّ الامة بوصاية عقائدية فترة اطول من الزمن تهيؤها للارتفاع الى مستوى تلك القيومة.

وليس هذا شيئاً نستنتجه استنتاجاً فحسب وإنما يعبر أيضاً عن الحقيقة التي برهنت عليها الاحداث بعد وفاة القائد الرسول ﷺ وتجلت عبر نصف قرن أو اقل من خلال ممارسة جيل المهاجرين والانصار لامامة الدعوة والقيومة عليها، إذ لم يمض على هذه القيومة ربع قرن حتى بدأت الخلافة الراشدة والتجربة الاسلامية التي تولى جيل المهاجرين والانصار قيادتها تنهار تحت وقع الضربات الشديدة

التي وجهها أعداء الاسلام القدامى ولكن من داخل اطار التجربة الاسلامية لا من خارجها، إذ استطاعوا ان يستلوا الى مراكز النفوذ في التجربة بالتدريج، واستغلوا القيادة غير الواعية ثم صاروا بكل وقاحة وعنف تلك القيادة، وأجبروا الامة وجيلها الطبيعي الرائد على التنازل عن شخصيته وقيادته، وتحولت الزعامة الى ملك موروث يستهتر بالكرامات ويقتل الابرياء ويُبْعَثُ الاموال ويعطل الحدود ويجمّد الاحكام ويتلاعب بمقدرات الناس، واصبح الفيء والسواد بستاناً لقريش، والخلاقة كرة يتلاعب بها صبيان بني أمية.

فواقع التجربة بعد النبي، وما تمخض عنه بعد ربع قرن من نتائج يدعم الاستنتاج المتقدم الذي يؤكد ان اسناد القيادة والامامة الفكرية والسياسية لجيل المهاجرين والانصار عقيب وفاة النبي ﷺ مباشرة إجراء مبكر وقبل وقته الطبيعي، ولهذا ليس من المعقول ان يكون النبي قد اتخذ اجراءً من هذا القبيل.

### طريق التعيين

وتحدث رضوان الله عليه عن الطريق الثالث وهو طريق التعيين والاستخلاف لشخص يمتلك مقومات قيادة التجربة على خطى الرسول ﷺ ومنهجه فقال:

ان الطريق الثالث المفترض هو الايجابية ممثلة في اعداد ونصب من يقود الامة وهذا هو الطريق الوحيد الذي بقي منسجماً مع طبيعة الاشياء، ومعقولاً في ضوء ظروف الدعوة والدعاة، وسلوك النبي ﷺ وهو ان يقف النبي ﷺ من مستقبل الدعوة بعد وفاته موقفاً إيجابياً، فيختار بأمر الله سبحانه وتعالى شخصاً يرشحه عمق وجوده في كيان الدعوة، فيعده اعداداً رسالياً وقيادياً خاصاً لتمثل فيه المرجعية الفكرية والزعامة السياسية للتجربة، وليواصل بعده بمساندة القاعدة الشعبية الواعية من المهاجرين والانصار قيادة الامة وبناءها عقائدياً، وتقريبها باستمرار نحو المستوى الذي يؤهلها لتحمل المسؤوليات القيادية.

وهكذا نجد أن هذا هو الطريق الوحيد الذي كان بالامكان ان يضمن سلامة

مستقبل الدعوة، وصيانة التجربة في خط نموها وهكذا كان.

وليس ما تواتر عن النبي ﷺ من النصوص التي تدل على انه كان يمارس إعداداً رسالياً وتثقيفاً عقائدياً خاصاً لبعض الدعاة على مستوى يهيئه للمرجعية الفكرية والسياسية، وانه ﷺ قد عهد اليه بمستقبل الدعوة وزعامة الامة من بعده فكرياً وسياسياً، ليس هذا الا تعبيراً عن سلوك القائد الرسول ﷺ للطريق الثالث الذي كانت تفرضه وتدل عليه من قبل ذلك طبيعة الاشياء كما عرفنا.

ولم يكن هذا الشخص الداعية المرشح للاعداد الرسالي القيادي والمنسوب لتسلم مستقبل الدعوة، وتزعمها فكرياً وسياسياً إلا علي بن ابي طالب، الذي رشحه لذلك عمق وجوده في كيان الدعوة، وانه المسلم الاول والمجاهد الاول في سبيلها عبر كفاحها المرير ضد كل أعدائها، وكذلك عمق وجوده في حياة القائد الرسول ﷺ وانه ربيبه الذي فتح عينيه في حجره ونشأ في كنفه، وتهيأت له من فرص التفاعل معه والاندماج بخطه مالم يتوفر لأي انسان آخر.

والشواهد من حياة النبي والامام علي، على أن النبي ﷺ كان يعد الامام إعداداً رسالياً خاصاً كثيرة جداً، فقد كان النبي يخصه بكثير من مفاهيم الدعوة وحقائقها، ويبدؤه بالعطاء الفكري والتثقيف إذا استنفذ الامام اسئلته، ويحتلي به الساعات الطوال في الليل والنهار، يفتح عينيه على مفاهيم الرسالة ومشاكل الطريق، ومناهج العمل الى آخر يوم من حياته الشريفة.

روى المحاكم في المستدرک بسنده عن أبي اسحاق قال: سألت القاسم بن العباس: كيف ورث علي رسول الله؟ قال: لانه كان أولنا به لحوقاً وأشدنا به لزوقاً. وفي حلية الاولياء عن ابن عباس أنه يقول: كنا نتحدث ان النبي ﷺ عهد الى علي بسبعين عهداً لم يعهد الى غيره.

وروى النسائي في الخصائص عن الامام علي أنه يقول: كانت لي منزلة من رسول الله لم تكن لأحد من الخلائق، كنت ادخل على نبي الله كل ليلة، فان كان

يصلي سبّح، وان لم يكن يصلي أذن لي فدخلت.

وروى النسائي عن ام سلمة انها كانت تقول: والذي تحلف به أم سلمة ان اقرب الناس عهداً برسول الله ﷺ علي، قالت: لما كانت غداة قبض رسول الله، فارسل اليه رسول الله، وأظنه كان بعثه في حاجة، فجعل يقول: جاء علي؟ ثلاث مرات، فجاء قبل طلوع الشمس، فلما ان جاء عرفنا ان له اليه حاجة، فخرجنا من البيت، وكنا عند رسول الله يومئذ في بيت عائشة وكنت في آخر من خرج من البيت ثم جلست وراء الباب فكنت أدناهم الى الباب، فأكب عليه علي فكان آخر الناس به عهداً فجعل يساره ويناجيه.

وقال امير المؤمنين في خطبته القاصعة الشهيرة وهو يصف ارتباطه الفريد بالرسول القائد، وعناية النبي باعداده وتربيته: وقد علمتم موضعي من رسول الله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وانا ولد، يضمني الى صدره، ويكفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرقه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل... ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل لأثر امه، يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علماً، ويأمرني بالاعتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجتمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة.

ان هذه الشواهد، وشواهد اخرى كثيرة تقدّم لنا صورة عن ذلك الاعداد الرسالي الخاص الذي كان النبي ﷺ يمارسه في سبيل توعية الامام على المستوى القيادي للدعوة.

كما ان في حياة الامام علي عليه السلام بعد وفاة القائد الرسول ﷺ أرقاماً كثيرة جداً تكشف عن ذلك الاعداد العقائدي الخاص للامام علي عليه السلام من قبل النبي ﷺ بما تعكسه من آثار ذلك الاعداد الخاص ونتائجه فقد كان الامام هو المفرع والمرجع لحلّ أي مشكلة يستعصي حلها على القيادة الحاكمة وقتئذ. ولا

نعرف في تاريخ التجربة الاسلامية على عهد الخلفاء واقعة واحدة رجع فيها الامام الى غيره لكي يتعرف على رأي الاسلام وطريقة علاجه للموقف، بينما نعرف في التاريخ عشرات الوقائع التي أحست القيادة الاسلامية الحاكمة بضرورة الرجوع الى الامام علي رغم تحفظاتها في هذا الموضوع.

واذا كانت الشواهد كثيرة على ان النبي ﷺ كان يعدّ الامام إعداداً خاصاً لمواصلة قيادة الدعوة من بعده، فالشواهد على اعلان الرسول القائد عن تخطيطه هذا، واسناد زعامة الدعوة الفكرية والسياسية رسمياً الى الامام علي عليه السلام لا تقل عنها كثرة، كما نلاحظ ذلك في حديث الدار، وحديث الثقلين وحديث المنزلة، وحديث الغدير وعشرات النصوص النبوية الاخرى.<sup>(١)</sup>

من خلال هذه الدراسة المعمقة للسيد الشهيد الصدر عليه السلام لما يمكن ان يفعله النبي ﷺ في مرحلة ما بعد وفاته لضمان مستقبل مسيرة الاسلام نصل الى النتيجة المنطقية والطبيعية التي تؤكد انه ﷺ اعدّ علياً عليه السلام للخلافة، وقيادة مسيرة الاسلام من بعده.

### إعداد علي عليه السلام للخلافة

وعلى صعيد الواقع نجد لعلي عليه السلام دون سواه من الصحابة، زخماً هائلاً من الاحاديث النبوية الشريفة التي تشيد وتمجد بشخصيته من جوانبها المختلفة. يقول أحمد بن حنبل: ما جاء لأحد من اصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما جاء لعلي بن ابي طالب<sup>(٢)</sup>

وهي تمثل اشواط مرحلة الاعداد من ناحيتين: الاولى ما يتعلق بالشخصية القيادية لعلي عليه السلام، وثانياً اعداد الامة وتهيتها روحياً ونفسياً للعمل مع القيادة

(١) بحث حول الولاية للامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر / طبع دار التعارف بتصرف يسير.

(٢) مستدرک الصحيحين ج ١٠٧/٣.

الجديدة المكملة لمسيرة النبوة.

ومن البداية يجب أن نستبعد افتراض أن يكون سبب ذلك القرابة لرسول الله، المجردة عن أي استحقاق ديني ورباني، وأن ما صدر انما صدر بدافع القرابة المطلقة. أو أن ذلك بدافع الهوى أو العبت مثلاً.

ان هذا المنطق لايجوز افتراضه بشأن الرسول الاكرام الذي لا «ينطق عن الهوى» ان هو الاوحي يوحى<sup>(١)</sup> وانه «لو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين»<sup>(٢)</sup> فان الأمة الاسلامية مجمعة على الايمان بهذه الرؤية القرانية عن الرسول ﷺ وانه معصوم ولا يبلغ الا عن الله عزوجل فلا حاجة الى نقاش ذلك. وقد تقدم نظيره حينما بحثنا الاحتمالات المنطقية للروايات التي صدرت بحق الزهراء ﷺ، ونفس الكلام يأتي هنا.

وعلى هذا الاساس يجب ان تتناول الموضوع من زاويته الطبيعية والمنطقية، ونقيم الاحاديث التي وردت بحق الامام علي عليه السلام في اطار الحكمة والهدفية السامية، التي اتسم بها الاسلام ونبيه العظيم ﷺ بعيداً عن المؤثرات العقائدية والشخصية لاتباع المذاهب الاسلامية.

كما يجب ان نؤكد ان هذا اللون من البحث لا يعني التعريض بالصحابة، أو لعدد منهم، أو اهانتهم وذلك لاننا نعتقد ان المجتمع الذي بناه الرسول ﷺ كان يمثل القمة في الطهارة والنقاء. واذا صدر من هذا الصحابي أو ذاك شيء لا ينسجم مع صفنا لمجتمع الصحابة بالقداسة، ونستشهد به خلال بحثنا فلا نقصد من ذلك التعريض، او توجيه الامانة وانما ننظر للحادثة كواقع تاريخي يساعد على فهم النص واستيعاب محتواه الحقيقي، على ضوء الظروف والمؤثرات زمن الصدور.

كما ان عرضنا لواقع الامام علي عليه السلام ومكانته الكبيرة عند الله تعالى ورسوله لا

(١) النجم / ٤-٣.

(٢) الحاقة ٤٤-٤٦.

يعني التنكر لجميع ايجابيات مجتمع الصحابة التي اضاءت تاريخ الامة الاسلامية، بل نقصد معالجة واقعية ملتزمة لواقع عاشته الامة خلال القرون الماضية، ونحن هنا لا نبحث عن المناقبية بل عن الهدفية، ولا نبحث عن العثرة بل عن العبرة.

ان الالتزام بهذا المنهج يمكن ان يقربنا من الواقع بابعاده الكاملة، وصورته الحقيقية، وعلى هذا الاساس فحينما نستعرض بعض ابعاد شخصية الامام علي عليه السلام انما نقصد معايشة لظاهرة اسلامية كبيرة تكتنز في داخلها قضية دينية كبيرة، هي قضية الخلافة والحكم، والطريقة التي سلكها الرسول صلى الله عليه وسلم لتركيز خط الحكم والاستخلاف، والصعوبات التي ستواجه الخليفة المرتقب. وما كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أعدّه من معالجات لجميع العقبات التي تواجه مسيرة الاستخلاف.

ولا نريد ان نفرض رؤية معينة على القارئ ونقول ان النبي صلى الله عليه وسلم قد نصب علياً خليفة من بعده بناءً على أدلة كثيرة، منها حديث الغدير المتفق على روايته وتواتره، بل نقول ان دراسة ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم بشأن علي عليه السلام يشكل ظاهرة استثنائية تستحق الدراسة، ولا يمكن تفسيرها بـ (المناقبية) البحتة، وعزها عن الهدفية الواعية التي نعرفها في كل بصمات رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطواته على امتداد تاريخه المقدس. وسوف نلاحظ بعد قليل (الهدفية) في كل مراحل الاعداد التي قام بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي لا تقبل تفسيراً غير التفسير المنطقي الذي ينسجم مع هدفيه الدين نفسه. فالرسول اي رسول انما هو مبلغ لرسالات الله، وامين له في ارضه وعباده، وليس مدحاً لهذا أو ذاك (انما عليك البلاغ) وحين يصدر من الرسول القائد صلى الله عليه وسلم مدحاً لشخص يساويه فيه بنفسه في القيمة والقداسة، ويتجاوز حدود الاشادة الى مراحل حاسمه كقوله صلى الله عليه وسلم انت مني بمنزلة هارون من موسى، فهذا يجب ان نبحث عن الاطار الصحيح الذي ينبغي ان نضعه فيه من الدين. لان المسالة في هذه الحالة خرجت عن كونها اشادة وثناء، الى قضية دينية اساسية، يترتب عليها معظم ما يترتب على النبوة نفسها. وهذا الذي نعنيه بالهدفية،

وهو ما وقع من النبي ﷺ بشأن علي عليه السلام.

ولا اريد أن أتطرق الى سيرة علي عليه السلام في عبادته وتقواه وجهاده وامثال ذلك، وافترض انها المبرر القوي - وهي بلاشك وحدها تكفي لذلك - لاستحقاق الخلافة وانما اترك ذلك لمجاله، واتمسك بنوعين من النصوص:

اولاً: النصوص التي تثبت ان علياً عليه السلام يمتلك من الخصائص القيادية والدينية التي تميزه عن غيره ولا يمتلكها سواه، وثانياً: النصوص التي تعتبره نفس النبي ولكن من دون نبوة مع ذكر بعض الخصائص الاخرى التي تؤهله للخلافة دون غيره من الصحابة، وهذه الروايات يمكن تقسيمها الى طوائف.

### الطائفة الاولى:

وهي التي تؤكد على امتلاك الامام علي عليه السلام للخصائص التي يجب ان تتوفر في القائد، وتشكل معالم شخصيته القيادية الاسلامية والانسانية. واذ كان ما يجب ان نتحدث عنه كثيراً فاننا هنا سنتطرق الى الالهة منها فقط، وبما يساهم في اعطاء الصورة الكاملة للشخصية القيادية لعلي عليه السلام مع ملاحظة الاختصار مهما أمكن.

#### ١- علي أول وأعظم الناس ايماناً

وهي مجموعة من الروايات التي تتحدث عن علي عليه السلام باعتباره اعظم الناس ايماناً، وان الله عز وجل قد امتحن قلبه للايمان، وانه اول الناس ايماناً وأثبتهم عليه.

١- عن عمر بن الخطاب قال: أشهد على رسول الله ﷺ لسمعته وهو يقول: لو ان السماوات السبع وضعت في كفة ووضع ايمان علي في كفة لرجح ايمان علي<sup>(١)</sup>.

٢- عن ربعي بن حراش، حدثنا علي بن ابي طالب عليه السلام قال:

لما كان يوم الحديبية خرج الينا ناس من المشركين فيهم سهيل بن عمرو،

---

(١) الرياض النظرة ج ٢/ ٢٦٦ مطبعة الاتحاد بمصر.



وأناس من رؤساء المشركين فقالوا: يا رسول الله خرج إليك ناس من أبنائنا وأخواننا وأرقائنا وليس لهم فقه في الدين وإنما خرجوا فراراً من أموالنا وضياعنا فأرددهم إلينا.

قال: فإن لم يكن لهم فقه في الدين سنفقهم. فقال ﷺ: يا معشر قريش لنتنهن أوليبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين، قد امتحن الله قلبه على الايمان.

قالوا: من هو يا رسول الله؟ فقال ابو بكر: من هو يا رسول الله؟ وقال عمر: من هو يا رسول الله. قال هو خاصف النعل، وكان اعطى علياً عليه السلام نعله يخصفها...<sup>(١)</sup>  
٣- عن المأمون عن الرشيد عن المهدي عن المنصور عن أبيه عن عبد الله بن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول:

كفوا عن ذكر علي بن ابي طالب فلقد رأيت من رسول الله ﷺ فيه خصالاً لئن تكون لي واحدة منهن في آل الخطاب أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، كنت أنا وابو بكر وابوعبيدة في نفر من اصحاب رسول الله ﷺ فانتهيت الى باب ام سلمة وعلي قائم على الباب فقلنا: أردنا رسول الله ﷺ فقال: يخرج اليكم، فخرج رسول الله ﷺ فسرنا اليه فاتكأ على علي بن ابي طالب ثم ضرب بيده على منكبه ثم قال:

إنك مخاصم تخاصم انت أول المؤمنين إيماناً، واعلمهم بأيام الله، وأوفاهم بعهده، وأقسمهم بالسوية، وأرفهم بالرعية، واعظمهم رزية، وانت عاضدي وغاسلي ودافني والمتقدم الى كل شديدة وكريهة، ولن ترجع بعدي كافراً، وانت تتقدمني بلواء الحمد وتزود عن حوضي...<sup>(٢)</sup>

٤- اخرج ابو احمد وابن مندة وغيرهما من طريق اسحاق بن بشر الاسدي عن

(١) صحيح الترمذي ج ٢ وكذلك خصائص النسائي ص ١١، تاريخ بغداد ج ١/١٣٣.

(٢) كنز العمال ج ٦/٣٩٣.

خالد بن الحارث عن عوف عن الحسن عن ابي ليلي الغفاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

سيكون من بعدي فتنة فاذا كان ذلك فالزموا علي بن ابي طالب فانه اول من آمن بي، واول من يصافحني يوم القيامة، وهو الصديق الاكبر وهو فاروق هذه الامة، وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين<sup>(١)</sup>.

## ٢- علي اعلم الناس

كما انه يجب ان يتوفر في القائد الايمان المطلق والعميق بالرسالة، كذلك يجب ان تتوفر فيه المعرفة التفصيلية لكل آفاق الرسالة العقائدية والفكرية والفقهية، ومن دون ذلك لا يمكنه ان يمارس دوره في قيادة رسالة وهو يجهلها.

ونحن لا نبحث عن المعرفة الاجمالية التي يتمتع بها معظم الصحابة (رض) والذين تلقوا قسطاً منها في مدرسة النبوة، فهي مفيدة على الصعيد الشخصي كثقافة عامة، وانما نبحث عن المعرفة الشاملة المستوعبة لكل ابعاد الاسلام، ومختلف جوانب الحياة الانسانية، هذه المعرفة لم تتوفر لأحد كما توفرت لعلي عليه السلام ولنستعرض بعض النصوص التي تشهد لذلك:

١- عن علي عليه السلام قال:

علمني رسول الله ﷺ ألف باب، كل باب يفتح الف باب<sup>(٢)</sup>

٢- عن ابي المعتمر مسلم بن أوس وجارية بن قدامة السعدي انها حضرا علي بن ابي طالب عليه السلام يخطب وهو يقول: سلوني قبل ان تفقدوني فاني لا اسأل عن شيء دون العرش إلا اخبرت عنه<sup>(٣)</sup>

٣- عن عبدالله بن مسعود قال:

---

(١) الاصابة ج ٧ القسم ١ ص ١٦٧. طبعة مصر مأخوذة عن طبعة كلكتا.

(٢) كنز العمال ج ٦/ ٣٩٢.

(٣) كنز العمال ج ٦/ ٤٠٥.

إن القرآن انزل على سبعة احرف ما منها حرف إلا له ظهر وبطن، وان علي بن ابي طالب عنده علم الظاهر والباطن).<sup>(١)</sup>

وفي حلية الاولياء كذلك عن علي عليه السلام انه قال:  
والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت واين أنزلت، ان ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤلاً<sup>(٢)</sup>

وعن ابن الطفيل عامر بن وائلة قال:

شهدت علي بن ابي طالب عليه السلام يخطب فقال في خطبته:  
سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء يكون الى يوم القيامة إلا حدثتكم، سلوني  
عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا أنا اعلم أبليّل نزلت أم بنهار، أم في سهل نزلت أم  
في جبل<sup>(٣)</sup>

٤- عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: أنا مدينة الحكمة وعلي بابها فمن  
أراد الحكمة فليأت الباب).<sup>(٤)</sup>

وقال ﷺ: أنا دار الحكمة وعلي بابها<sup>(٥)</sup>

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:  
أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب<sup>(٦)</sup>

### ٣- علي أقضى الناس

لقد شهد كبار الصحابة لعلي عليه السلام انه أقضى الصحابة على الاطلاق، سواء في

---

(١) حلية الاولياء ج ١ / ٦٥.

(٢) حلية الاولياء، ج ١ / ٦٧.

(٣) كنز العمال ج ١ / ٢٢٨.

(٤) تاريخ بغداد ج ١١ / ٢٠٤.

(٥) صحيح الترمذي ج ٢ / ٢٢٩.

(٦) مستدرك الصحيحين ج ٢ / ١٢٦.

زمن النبي ﷺ أو بعده، وهذه الشهادة تعبير عن المعرفة الشاملة لتفاصيل الشريعة وموضوعات الحياة الفردية والاجتماعية، فقد اثبتت الوقائع التاريخية في مجال الممارسة للقضاء انه عليه السلام كان الى جانب معرفته التفصيلية بالاحكام الشرعية الواقعية يمتلك القدرة الهائلة على تشخيص القضايا والوقائع المتعلقة بالموضوع حتى عبر بعض الصحابة عن تلك الحالة بقوله (ما من معظلة الا ولها ابو الحسن) وما ذلك الا بسبب احاطته الشاملة ودقته المتناهية ومعرفته الواسعة للحكم والموضوع لدرجة أبهرت الصحابة، بل الطليعة منهم من الذين واكبوا مسيرة الاسلام منذ السنوات الاولى، وعاشوا معظم تاريخ التشريع في جوانبه المختلفة. ولنقف مع بعض تلك الاحاديث والشهادات:

- ١- صحيح البخاري في كتاب التفسير في باب قوله تعالى ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾ روى بسنده عن ابن عباس حديثاً قال فيه: قال عمر: وأقضانا علي).<sup>(١)</sup>
- ٢- عن أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ وأقضاهم علي بن أبي طالب<sup>(٢)</sup>
- ٣- عن ابن مسعود قال:
- كنا نتحدث ان أقضى اهل المدينة علي بن أبي طالب عليه السلام.<sup>(٣)</sup>
- ٤- وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ انه قال: أقضى امتي علي).<sup>(٤)</sup>
- وكان النبي ﷺ قد دعا له حينما بعثه الى اليمن ان يهدي قلبه، ويثبت لسانه، حيث روى ابن ماجه في صحيحه عن علي عليه السلام قال:
- بعثني رسول الله ﷺ الى اليمن فقلت: يا رسول الله تبعثني وانا شاب أقضي بينهم ولا ادري بالقضاء؟

(١) الاستيعاب ج ٢ / ٤٦١، الرياض النظرة ج ٢ ص ١٩٨.

(٢) صحيح ابن ماجه ص ١٤. طبع مطبعة الفاروقي في دهلي.

(٣) مستدرک الصحيحين ج ٣ / ١٣٥.

(٤) الرياض النظرة ج ٢ / ١٩٨.

قال: فضرب بيده في صدري ثم قال: اللهم أهد قلبه وثبت لسانه.  
قال: فما شككت بعد في قضاء بين اثنين<sup>(١)</sup>

وسجلت كتب السيرة والتاريخ نماذج من تلك الوقائع القضائية، التي تبرهن على امتلاكه ﷺ للخبرة والمعرفة الكاملة والنموذجية في مجال القضاء، ومن شاء التفصيل فليراجع: صحيح النسائي ج ٢ / ١٠٨، ومسند احمد بن حنبل ج ١ / ٧٧، والاستيعاب لابن عبد البر ج ٢ / ٤٦٢، وكنز العمال ج ٣ / ٥٣، والصواعق المحرقة لابن حجر ص ٧٣ وغيرها.

وهذه المعرفة والخبرة جعلت الصحابة وفي مقدمتهم ابوبكر وعمر يرجعون اليه في معضلات المشاكل القضائية والسياسية إبان فترة حكمهم، ولمعرفة التفاصيل يمكن الرجوع الى الرياض النظرية ج ٢ ص ٢٢٤، ١٩٥ وكنز العمال ج ٣ / ٣٠١ و ص ٩٩، ومسند احمد ج ١ ص ١٤٠ و ١٥٤ وموطأ مالك بن أنس كتاب الاشربة ص ١٨٦ ومستدرك الصحيحين ج ٤ / ٣٧٥ وغيرها من المصادر المعروفة.

والحقيقة ان هذا الجانب، وأعني امتلاك علي ﷺ للخصائص الدينية والمعرفية والقيادية، يستحق بحثاً شاملاً ودقيقاً وتفصيلاً، لانه يمثل احد المعالم التي انفردت بها شخصية الامام علي ﷺ عن بقية الصحابة خصوصاً والمسلمين عموماً، وما تقدم إنما هو على نحو الاشارة فقط.

## الطائفة الثانية

وهي مجموعة الاحاديث والنصوص التي ترسم المعالم الخاصة للشخصية القيادية والمرجعية لعلي ﷺ، وتحديد موقعه في الكيان العقائدي والتشريعي الاسلامي.

ولو اردنا ان نتحدث عن جميع تفاصيل هذا الموضوع لاستغرق منا مجالاً اوسع

---

(١) صحيح ابن ماجة باب ذكر القضاء، ص ١٦٨.

ولكننا نقتصر على الحد الأدنى مما يقتضيه البحث.

### ١- من أحب علياً فقد أحب الله

هناك الكثير من النصوص التي تُقرن بين حب علي عليه السلام وبين حب الله عز وجل ورسوله ﷺ، أو بين بغضه وبغض الله ورسوله فمن تلك النصوص:

١- ما عن ابن عباس قال: نظر النبي ﷺ الى علي عليه السلام فقال:  
يا علي أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة، حبيبك حبيبي، وحبيبي حبيب الله، وعدوك عدوي، وعدوي عدو الله، والويل لمن أبغضك بعدي<sup>(١)</sup>

٢- عن عوف بن أبي عثمان قال: قال رجل لسلمان: ما أشد حبك لعلي عليه السلام.  
قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أحب علياً فقد أحبني، ومن أبغض علياً فقد أبغضني<sup>(٢)</sup>

٣- عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ:  
من أحبني فليحب علياً، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله عز وجل ومن أبغض الله أدخله النار<sup>(٣)</sup>

وللاطلاع على المزيد من هذه النصوص يمكن الرجوع الى المصادر التالية: أسد الغابة ج ٤ / ٣٨٣، وكنز العمال ج ٦ / ١٥٨، ٣٩١، ١٤٠، والرياض النظرية ج ٢ / ٢١٣، ١٦٦، ٢٠٩، خصائص النسائي وغيرها.

وما يمكن ان نقوله في هذا الموضوع هو: ان الثابت على المستوى الفقهي عدم وجوب حب المؤمن وعدم حرمة بغضه قلبياً. وان كان حب المؤمن وعدم بغضه قلبياً يمثل الصورة النموذجية للايمان، أي هو المستحب الاكيد. والذي يمكن القطع به، هو ان الاسلام حفظ للمؤمن حقوقه على المؤمنين فلا يجوز ايذائه أو غشه أو

(١) مستدرک الصحيحين ج ٣ / ١٢٧.

(٢) مستدرک الصحيحين ج ٣ / ١٣٠.

(٣) تاريخ بغداد ج ١٣ / ٣٢. مطبعة السعادة بمصر.

التعرض لحرمة وعرضه وماله وامثال ذلك. اما هل يجب حبه حباً قلبياً، وهل يحرم بغضه قلبياً.

وبعبارة اخرى نقول لو ان مؤمناً أبغض مؤمناً قلبياً ولم يُظهر ذلك على جوارحه هل يكون آثماً مستحقاً للعقوبة؟

على ضوء القرآن والسنة وجميع اجتهادات المذاهب الاسلامية لا يوجد ما يثبت حرمة الفرض الاخير. نعم قد يحرمه من الثواب الجزيل ولكنه لا يحقق له العقاب.

ونجد هذه القاعدة تختزم بالنسبة للإمام علي عليه السلام فان الاحاديث صريحة بحرمة البغض القلبي فضلاً عن اظهار ذلك، فضلاً عن ايدائه أيضاً، فنرى النبي ﷺ على ما في كنز العمال يقول: اللهم من أحبه من الناس فكن له حبيباً، ومن أبغضه فكن له مبغضاً<sup>(١)</sup>

كما ان النصوص في كتب الفريقين متظافرة على وجوب حبه حباً قلبياً خالصاً لانه حب لله عز وجل وحب لرسوله ﷺ. وجاء في نصوص كثيرة ان حبه ايمان وبغضه نفاق كما عن ثابت ابن زر عن علي عليه السلام قال:

والذي فلق الحبة وبرأ النسمة انه لعهد النبي الأمي إلي ان لا يحبني الا مؤمن ولا يبغضني الا منافق<sup>(٢)</sup>.

ولا يتسع المجال لذكر كل ما جاء بشأن علي عليه السلام من نصوص تتعلق بنفس الموضوع وهي تدور في اطار التأكيد على وجوب محبته وحرمة بغضه.

ومنه نستفيد ان رسول الله ﷺ جعل حبّ علي وحرمة بغضه حتى على المستوى القلبى حكماً شرعياً مستقلاً فحكم بحرمة بغضه قلبياً ووجوب حبه كذلك وقس على ذلك الموارد المشابهة التي لم نبحثها توخياً للاختصار.

(١) كنز العمال ج ٦ / ٣٩٩.

(٢) صحيح الترمذي ج ٢ / ٣٠١.

ولا يشك عاقل في ان النبي ﷺ انما كان يستهدف - الى جانب ما لعل من مقام ومنزلة - ايجاد الارضية الطبيعية والمناسبة لبلورة الشخصية الدينية والقيادية لعل ﷺ وانه المصدر الشرعي والكيان القيادي بعد النبي ﷺ، ولم يكن الهدف محدوداً بحب علي ﷺ لمجرد الحب. ولا معنى لربط ذلك بحب الله عز وجل وبغضه. بالنحو الذي يترتب عليه دخول الجنة أو دخول النار. اليس ذلك يفسر لنا ان هذا الاعداد الرباني لعل ﷺ انما يتم في اطار اكمال الدين في مسيرته التشريعية والفكرية، وأنه الأمين على مستقبل الاسلام والحكومة الاسلامية التي اسسها خاتم الانبياء والمرسلين محمد ﷺ وليس لمجرد رغبة شخصية غير هادفة للنبي (حاشاه)؟

ونلاحظ بصورة جلية في لسان بعض النصوص التي وردت عن النبي ﷺ، الربط الأكيد، بين حب علي ومولاه، وبين التأكيد على انه ﷺ لا يخرجكم من هدى ولا يدخلكم في ضلال، فقد روى زيد بن ارقم عن النبي ﷺ انه قال: من يريد أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي فليتول علي بن ابي طالب فانه لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في ضلالة<sup>(١)</sup> فماذا يعني قوله ﷺ انه (لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في ضلالة) غير التأكيد على المعنى القيادي والتشريعي لشخصية علي ﷺ والا فكيف يمكن ان يتحقق ذلك من دون ان يكون له مركز قيادي ديني وحاكمية فعلية في المجتمع؟

## ٢- من سب علياً فقد سب الله ورسوله

وجاءت نصوص كثيرة في الربط المباشر بين سب علي ﷺ وبين سب الله ورسوله نذكر بعضها:

(١) مستدرک الصحيحین ج ٣ / ١٢٨. وهو صحيح الاسناد ورواه في الحلية ج ٤ / ٣٤٩ وكنز العمال ج ٦ / ١٥٥ وغيرهما كثير.



١- عن أبي عبد الله الجدلي قال: دخلت على أم سلمة فقالت لي: أيسب رسول الله ﷺ فيكم؟

فقلت: معاذ الله، أو سبحان الله، أو كلمة نحوها.

فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

من سبّ علياً فقد سبني<sup>(١)</sup>

٢- وعنه أيضاً قال:

حججت وأنا غلام فررت بالمدينة وإذا الناس عنق واحد فاتبعتهم فدخلوا

على أم سلمة زوج النبي ﷺ فسمعتها تقول: يا شبيب بن ربعي، فأجابها رجل

جلف جاف: لبيك يا اماء.

قالت: يسب رسول الله ﷺ في ناديكم؟

قال: وأنى ذلك؟

قالت: فعلي ابن ابي طالب؟

قال: انا لنقول اشياء نريد عرض الدنيا.

قالت: فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

من سبّ علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله<sup>(٢)</sup>

٣- وعن ابن عباس قال:

اشهد بالله لسمعت من رسول الله ﷺ يقول:

من سبّ علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله، ومن سب الله عز وجل أكبه

الله على منخريه<sup>(٣)</sup>

---

(١) مستدرک الصحيحین ج ١ / ١٢١.

(٢) مستدرک الصحيحین ج ٣ / ١٢١.

(٣) ذخائر العقبی ص ٦٦.

٤- وعن ابن عباس أنه مرَّ - بعدما حجب بصره - بمجلس من مجالس قریش وهم يسبون علياً عليه السلام .

قال: أيكم الساب لرسول الله ﷺ ؟

قالوا: سبحان الله من سبَّ رسول الله ﷺ فقد كفر .

قال: فأيكم الساب لعلي عليه السلام ؟

قالوا: اما هذا فقد كان .

قال: فأنا أشهد بالله لسمعت رسول الله ﷺ يقول:

من سبَّ علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سبَّ الله، ومن سبَّ الله عز وجل أكبه

الله على منخريه<sup>(١)</sup>

٥- عن ابي بكر بن خالد بن عرفة أنه أتى سعد بن مالك فقال:

بلغني انكم تعرضون على سبَّ علي بالكوفة فهل سببته؟

قال: معاذ الله والذي نفس سعد بيده لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول في

علي عليه السلام شيئاً لو وضع المنشار على مفريقي ما سببته ابداً<sup>(٢)</sup>

ان هذه النصوص تؤكد على حرمة سبَّ علي عليه السلام وتعتبر سبه سباً لله ورسوله،

وعلى هذا الاساس نرى الفرق بين سب الامام علي عليه السلام وبين سب المؤمن

الاعتيادي فالاول يعني الكفر الصريح، لانه سب لله عز وجل ورسوله ﷺ، اما

الثاني فبالرغم من كونه ذنباً عظيماً، ولكنه لا يصل الى حد الكفر والخلود في النار.

ومن هذا نعرف ان الرسول الاعظم ﷺ وتوجيه من السماء حدّد واحداً من

أهم المخطوط الحمراء عن شخصية الامام علي عليه السلام إذ لا معنى للمقارنة والربط بين

سبَّ علي عليه السلام وسب الله ورسوله لو لم تكن هناك حكمة بالغة في مسيرة الاعداد

(١) الرياض النضرة ج ٢ / ١٦٦.

(٢) مجمع الميمني ج ٩ / ١٢٩. طبع مكتبة القدسي عام ١٣٥٢ هـ.

لمستقبل الاسلام بعد وفاة الرسول الاعظم ﷺ. يضاف الى ذلك مجموعة من الروايات والنصوص التي تؤكد على ان ايداء علي عليه السلام ايداء لرسول الله ﷺ من تلك النصوص ما روي عن عمرو بن شاس الاسلمي - وكان من اصحاب المديبية - قال:

خرجنا مع علي عليه السلام الى اليمن فجفاني في سفره ذلك حتى وجدت في نفسي، فلما قدمت أظهرت شكايته في المسجد حتى بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: فدخلت المسجد ذات غداة ورسول الله في ناس من اصحابه فلما رآني أبدني عينيه - أي حدد إلي النظر - حتى اذا جلست قال: يا عمرو أما والله لقد آذيتني. فقلت: أعوذ بالله أن أؤذيك يا رسول الله. قال: بلى من آذى علياً فقد آذاني<sup>(١)</sup>

وكذلك روايات: ان من فارق علياً عليه السلام فقد فارق الله عز وجل، من تلك الروايات ما عن ابي ذر الغفاري قال: قال النبي ﷺ:

يا علي من فارقتي فقد فارق الله، ومن فارقتك يا علي فقد فارقتي<sup>(٢)</sup> والمفارقة تعني بُعداً عميقاً للشخصية العقائدية والقيادية لعلي عليه السلام تستحق بحثاً معمقاً وشاملاً، اذ ان هذا اللون من النصوص يشير الى كون شخصية علي عليه السلام أحد أسس الاسلام وقواعده.

ونظير هذه النصوص كثير، وهي كلها تؤكد على الشخصية المرجعية والقيادية لعلي عليه السلام في خطوة طبيعية لمرحلة الاستخلاف، وقيادة المسيرة التشريعية وسياسياً بعد النبي ﷺ.

### ٣- أنت مني بمنزلة هارون من موسى

وهنا مجموعة من النصوص تؤكد على ان منزلة علي عليه السلام من النبي ﷺ

(١) مستدرک الصحيحین ج ٣ / ١٢٢.

(٢) مستدرک الصحيحین ج ٣ / ١٢٣.

كمنزلة هارون من موسى عليهما السلام نذكر منها النماذج التالية:

١- عن ابراهيم بن سعد عن ابيه قال: قال النبي ﷺ لعلي عليه السلام:

اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى<sup>(١)</sup>

٢- عن عامر بن سعد بن ابي وقاص عن ابيه قال: قال رسول الله ﷺ:

لعلي عليه السلام: انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي.

قال: سعيد: فاحببت ان أشافه بها سعداً فلقيت سعداً فحدثته بما حدثني عامر

فقال: أنا سمعته. فقلت: أنت سمعته؟! فوضع إصبعيه على أذنيه فقال: نعم وإلا

فاستكتا<sup>(٢)</sup>. أي صُمتا.

٣- عن سعد بن ابي وقاص ان النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام:

انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي<sup>(٣)</sup>.

٤- عن جابر بن عبد الله ان النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام:

انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي ولو كانت لكتنته<sup>(٤)</sup>

٥- عن ابن اسحاق في حديث غزوة تبوك قال فيه: فلما سار رسول الله ﷺ

تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلف من المناققين واهل الريب وكان عبد الله بن أبي

اخا بني عوف بن الخزرج، وعبد الله بن نبيل اخا بني عمر وبن عوف ورفاعة بن

يزيد بن التابوت اخا بني قينقاع، وكانوا من عظماء المناققين، وكانوا ممن يكيد

الاسلام واهله - الى ان قال - انزل الله عز وجل ﴿لقد ابتغوا الفتنة وقلبوا لك

الامور...﴾ الآية قال: وقال ابن اسحاق:

وخلف رسول الله ﷺ علي بن ابي طالب عليه السلام وأمره بالاقامة فيهم...

(١) صحيح البخاري كتاب بدء الخلق.

(٢) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة.

(٣) صحيح الترمذي ج ٢/٣٠١.

(٤) تاريخ بغداد ج ٢/٢٨٨، صحيح الترمذي ج ٢ ص ٣٠١، ومسنند احمد ج ٣/٣٣٨.

فارجف المنافقون بعلي بن ابي طالب عليه السلام وقالوا: ما خلفه الا استثقلاً له وتخفيفاً منه. فلما قال ذلك المنافقون اخذ علي عليه السلام سلاحه ثم خرج حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالجرف فقال:

يا نبي الله زعم المنافقون انك انما خلفتني انك استثقلتني وتخففت مني.

فقال صلى الله عليه وسلم: كذبوا ولكني انما خلفتك لما ورائي فارجع فاخلفني في اهلي واهلك، افلا ترضى يا علي ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي.

فرجع علي عليه السلام الى المدينة ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره<sup>(١)</sup>.

ولا بد ان نفهم منزلة هارون من موسى كمقدمة لفهم النص النبوي الشريف. ان القرآن الكريم حدّد بوضوح مستوى العلاقة بين موسى وهارون فقال عزّ وجل:

﴿وَاجْعَلْ لِّي وَزِيْرًا مِّنْ اَهْلِيْ هَارُوْنَ اَخِيْ اَشَدُّ بِهٖ اُزْرِيْ وَاَشْرِكُهُ فِىْ اَمْرِىۚ﴾<sup>(٢)</sup>.

وحينما ينص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على أن علياً عليه السلام بمنزلة هارون من موسى لا نفهم منه غير مانص عليه القرآن الكريم بشأن هارون من كونه الوزير والشريك لموسى عليه السلام الا ما استشناه صلى الله عليه وسلم بقوله (الا انه لا نبي بعدي) لانه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين ورسالته خاتمه الرسالات. فعلى اساس ذلك يكون مراد الرسول صلى الله عليه وسلم ان علياً وزيره وشريكه وخليفته في وظائف النبوة كالتبليغ والحكم والتشريع المستند الى الرسول صلى الله عليه وسلم والذي يناسب المهمة.

اما القول بغير ذلك فلا يعني الا تفريغ النص - القرآن والنبوي - من محتواه

(١) تاريخ ابن جرير الطبري ج ٢ / ٣٦٨.

(٢) طه / ٢٩-٣٢.

وتحويله الى ما لم يقصد، وذلك لأن الرسول ﷺ إنما اختار التشبيه بموسى وهارون، لا لمستوى علاقة الاخوة أو المحبة التي تربطهما، حيث لم يبين القرآن ذلك، وإنما الذي بينه مستوى الشراكة بينهما في كل ما يتعلق بأمور الدين، باستثناء النبوة حيث لا نبوة بعد الرسول ﷺ. وما يؤيد هذه الرؤية قوله ﷺ: «الأنه لا نبي بعدي» فإنها يدل على استمرار دور النبوة - لا النبوة - بعلي بعد الرسول ﷺ، فهو المسؤول عن كل ما يتعلق بأمور الاسلام بعد الرسول ﷺ والآن فلا معنى لكلمة (بعدي) لو لم يكن يشير الى استمرار دور النبوة بعلي عليه السلام ولا يتحقق ذلك الا عن طريق الاستخلاف المباشر له من بعده ﷺ كما حصل هارون بعد موسى عليه السلام، حيث كان شريكه في حياته وخليفته بعد موته، ومن هذا المنطق جاء التشبيه بهارون عليه السلام.

#### ٤- من كنت مولاه فهذا علي مولاه

وهنا مجموعة من النصوص، تحكي حادثة غدير خم، حينما رجع النبي ﷺ من حجة الوداع، فأمر بجمع المسلمين، ثم خطب فيهم، وقال من كنت مولاه فعلي مولاه واليك غداذج منها:

١- عن البراء بن عازب قال: اقبلنا مع رسول الله ﷺ في حجته التي حج فنزل في بعض الطريق فأمر الصلاة جامعة فأخذ بيد علي عليه السلام فقال:

أأست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟

قالوا: بلى.

قال: أأست أولى بكل مؤمن من نفسه؟

قالوا: بلى.

قال: فهذا ولي من أنا مولاه، اللهم وال من والاه اللهم عاد من عاداه<sup>(١)</sup>

(١) صحيح ابن ماجه في باب فضائل اصحاب رسول الله ص ١٢.

٢- وعن البراء قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا بغدير خم فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرتين فصلى الظهر وأخذ بيد علي عليه السلام فقال:

ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟  
قالوا: بلى.

قال: ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن ومؤمنة من نفسه؟  
قالوا: بلى.

قال: فأخذ بيد علي عليه السلام فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه؟

قال: فلقبه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة<sup>(١)</sup>.

٣- عن زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن فقال:

كأنني دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله تعالى وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنها لن يفرقا حتى يردا علي الحوض - ثم قال - إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن، ثم أخذ بيد علي فقال:

من كنت مولاه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه<sup>(٢)</sup>

٤- وعن كنز العمال ما هذا نصه: يا أيها الناس إنه قد نبأني اللطيف الخبير أنه لن يعمر نبي إلا نصف عمر الذي يليه من قبله وإني قد يوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وانكم مسؤولون فماذا أنتم قائلون؟

(١) مسند احمد ج ٤ / ٢٨١. المطبعة الميمنية بمصر.

(٢) مستدرك الصحيحين ج ٣ / ١٠٩.

قالوا: نشهد أنك قد بلغت وجاهدت ونصحت.

قال: أليس تشهدون ان لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله وان جنته حق وناره حق، وان الموت حق، وأن البعث حق بعد الموت، وان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور؟

يا ايها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين اولى بهم من انفسهم، فمن كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه.

يا ايها الناس إني فرطكم وانكم واردون عليّ الحوض أعرض مما بين بصرى الى صنعاء، فيه عدد النجوم قدحان من فضة، واني سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيها، الثقل الاكبر كتاب الله عز وجل سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي فانه قد نبأني اللطيف الخبير انهما لن ينقضيا حتى يردا عليّ الحوض<sup>(١)</sup>

٥- عن زيد بن يشيع وغيره قالوا: سمعنا علياً عليه السلام يقول:

نشدت الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدیر ما قال لما قام، فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال: أأست اولى بالمؤمنين من انفسهم، قالوا: بلى يا رسول الله فاخذ بيد علي عليه السلام وقال:

من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وأنصر من نصره، وأخذل من خذله<sup>(٢)</sup>

ولسنا بحاجة للحديث عن خبر الغدير، بعد ان بحثه فطاحل العلماء، كالعلامة الحجة الشيخ الأميني رحمه الله، والامام الكبير السيد عبدالحسين شرف الدين رحمه الله، وغيرهما من الاعلام، وبينوا وجه الدلالة فيه على تنصيب علي عليه السلام، خليفة على المسلمين، من بعد النبي ﷺ، فمن شاء فليراجع تلك المصادر القيمة التي منها، كتاب الغدير، وكتاب المراجعات.

(١) كنز العمال ج ١ / ٤٨:

(٢) كنز العمال ج ٦ / ٤٠٣:



وما يجب ان نلاحظه في هذا المجال ان ماورد بشأن علي عليه السلام لم يرد نظيره بشأن أي من الصحابة والمقرين من رسول الله ﷺ، ولا نريد بهذا مصادرة ما ورد في الصحاح كصحيح البخاري ومسلم وغيرهما، من كلمات اجلال وتقدير واشادة بعدد كبير من الصحابة رضوان الله عليهم، فنحن مع الرسول في كل قول وموقف، فان اشاد أشدنا، وان سكت سكتنا، ولكن ما نريد التأكيد عليه من خلال فهمنا للنصوص ان النبي ﷺ كان بصدد اعداد علي عليه السلام للخلافة من بعده دون باقي الصحابة، ويشهد لذلك جميع النصوص التي سلف ذكرها، والنصوص الاخرى التي لم نذكرها، والتي تكرر فكرة الاستخلاف من خلال الاحاطة بجميع مقاييس الاستحقاق والأولوية، فان كان القدم في الاسلام والايمان، فان علياً هو اقدم الصحابة اسلاماً وايماناً، فقد قال رسول الله ﷺ وقد اشار اليه:

«ان هذا اول من آمن بي، واول من يضافني يوم القيامة، وهذا الصديق الاكبر، وهذا فاروق هذه الامة»<sup>(١)</sup>

واذا كان المقياس القرابة والصلة فهو ابن عم الرسول وزوج البتول وابو السبطين.

وهو عليه السلام من النبي ﷺ والنبي منه، بل هو نفس النبي ﷺ بنص القرآن ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا ونفوسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين﴾<sup>(٢)</sup> وأيضاً كما قال ﷺ: (هو عندي كنفي)، وهذا التعبير هو اصرح التعابير عن توحد الشخصيتين، من ناحية المضمون والمحتوى الديني والمعنوي. ومعناه ان الامة اذا ارادت لحياة نبيها ﷺ ان تمتد بعد موته، فعليها ان تختار علياً عليه السلام من بعده، لانه نفسه ومن طينته ويحمل في اعماقه ذات الخصائص النبوية والسمات المحمدية. وهذا ما لا ينطبق على أي من الصحابة مع ما لهم من مكانة كبيرة.

(١) الاصابة ج ٤ / ١٧١

(٢) ال عمران / ٦١.

وهكذا القول بالنسبة لكل الخصائص الاخرى التي أشار اليها الرسول ﷺ في احاديثه عن علي عليه السلام، ولم نذكرها هنا، فهي تؤكد وتكرس فكرة الأعداد لاستخلاف علي عليه السلام بأمر من الله عزوجل دون باقي الصحابة.

والحقيقة أن فكرة (الأعداد) لاستخلاف علي عليه السلام تستحق مدى أوسع من البحث والتحقيق لأستكشاف خطوات الرسول في هذا المجال ودراستها واحدة واحدة وبيان الحكمة والهدفية فيها، والفرق بين ما صدر من الرسول ﷺ بشأن علي عليه السلام وما صدر بشأن الصحابة. فوجدت ان ذلك سيستوعب موضوع البحث وهو يستحق بذاته بحثاً مستقلاً. لاحظ مثلاً حديث الغدير الذي تضمن من المعاني الهادفة التي لا يمكن ان نمرّ عليها مروراً عابراً أقوله ﷺ: (اني تركت فيكم الثقلين احدهما اكبر من الآخر كتاب الله تعالى وعترتي فانظروا كيف تحلفوني فيها فانها لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) وامثالها.

فن الواضح انها تؤكد على مرجعية اهل البيت عليهم السلام على التسلسل الذي يبدأ بامير المؤمنين علي عليه السلام ثم الحسن ثم الحسين، حتى تنتهي بالامام الحجة عجل الله تعالى فرجه اذ ماذا تعني كلمة (عترتي) أو (عترتي اهل بيتي) غير علي وآله المعصومين الذين قرنهم الله عزوجل بكتابه الخالد. وهذا القرن بالنحو الذي عبر عنه رسول الله ﷺ بانهما (لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) يعبر عن طريقة خاصة على الاستدلال على مرجعية اهل البيت، وذلك لأن قرنهم بالقرآن يعني الاتباع والانصياع والتمسك بهم، تبعاً للأمر باتباع القرآن والعمل بما فيه كما هو مفاد الكثير من الايات الكريمة، كما ان تعبيره ﷺ بانهما لن يفترقا، (ولن) تفيد التابيد، يعني ان القول بمرجعية القرآن دون مرجعية اهل البيت عليهم السلام لا يحقق الغرض من الشريعة، فلا بد من القرن بينهما كمصدر واحد لا يقبل التفريق. وان أي عملية تفريق بينهما تستوجب عقوبات مشددة في يوم الجزاء. وعلى هذا الضوء فان حديث الغدير في الوقت الذي نص على خلافة علي عليه السلام، نص كذلك على ولاية اهل البيت،

ومرجعيتهم التشريعية والفكرية والسياسية، اذ لا معنى لقرنهم بالقران من دون ذلك.

وعلى صعيد الواقع نجد ان الصحابة بعد وفاة الرسول الاعظم ﷺ اختاروا ابابكر خليفة على المسلمين، واهملوا علياً عليه السلام اهماً تماماً. وهنا نسأل: هل يُعقل ان تتجاهل الامة ما صدر من الرسول ﷺ بشأن علي عليه السلام بمجرد لحوقه بالرفيق الاعلى؟

واين ذهب عشرات الآلاف من الحجيج الذين رافقوا النبي ﷺ في حجة الوداع وسمعوا منه نص التنصيب (من كنت مولاه فهذا علي مولاه)؟  
واين اهل المدينة الذين كان صوت الرسول ﷺ يملأ اسماعهم بالوان من الاشادة بعلي ومكانته عند الله عز وجل وعند رسوله واهتمامه الخاص به دون غيره؟ ولماذا تجاهل المجتمع تاريخ علي عليه السلام وسابقته في الاسلام ومواقفه الجهادية، وهي وحدها تكفي - حتى لو لم يكن هناك نص - لتؤهله للخلافة، وتولي الامر بعد النبي ﷺ؟

وهل سجل اهل المدينة ومجتمع الصحابة على علي عليه السلام موقفاً سلبياً تجاه الاسلام أو الرسول استحق به هذا الحجم من التنكر والتجاهل والاهمال؟  
مما لا ريب فيه ان هذه القضية في اطار معالجتها، واستكشاف الاسباب الحقيقية التي كانت وراءها قد نالت قدراً وافراً من الاهتمام والبحث والتحقيق. ونحن هنا لانريد ان نعالج القضية بنفس المنطق، ونكرر ما قاله الأجلاء من العلماء والباحثين، من البحث في مداليل الالفاظ ومحتوى النص، وهل الولي هو المحبوب أو الحاكم مثلاً. أو نبحث الظروف التاريخية والاجتماعية لأبعاد علي واستخلاف ابي بكر، والاجواء السياسية التي رافقت ذلك الحدث كالسقيفة وامثال ذلك. لقد وقع ما وقع وليس امامنا اليوم الا الحدث بعد وقوعه، وما يهمننا الآن هو دور الزهراء وموقعها في اطار هذا الحدث ودورها في احقاق الحق واعادته الى اهله ضمن التخطيط النبوي

لاكمال مسيرة النبوة والاسلام، ولماذا أصرَّ ﷺ على اشراك الزهراء في عملية سياسية معقدة؟

وهل كانت الخيار الوحيد الممكن لتنفيذ أخطر مهمة نبوية بعد وفاته ﷺ؟ وللإجابة على ذلك يجب ان نشير الى حقيقتين:

الاولى تتعلق بالنص الشرعي هل يحقق - دائماً - الغرض والمصالح الدينية المقصودة منه، ام قد يُفرَّع من محتواه، أو يُهمل ويترك حسب الظروف السياسية أو المصالح الشخصية أو غيرهما؟

والثانية تتعلق بشخصية الامام علي عليه السلام وفهمه للاسلام وتربيته الرفيعة في مدرسة النبوة، التي جعلته على طول الخط، حازماً في الحق، شديداً في الله تعالى، لا يعرف المجاملة والمداهنة في دينه. ونظرة المجتمع وموقفه منه هل كان سلبياً أم ايجابياً؟ فن خلال بحث الحقيقتين السالفتين يمكن ان نفهم بدقة جوانب مهمة من تخطيط الرسول ﷺ لمرحلة ما بعد وفاته، وهذا ما سنبحثه في الفصل التالي.

## الفصل الثالث

### عقبات في طريق الاستخلاف

\* النص قد لا يحقق الغرض..

\* شخصية الامام علي..

\* الخصائص الذاتية..

\* العدل الاجتماعي والمالي..

\* نظرة العداء والحق..



## الحقيقة الأولى: النص قد لا يحقق الغرض

وهنا يجب ان نلاحظ من خلال الواقع التاريخي لرسالات السماء عموماً، وتاريخ الرسالة الاسلامية خصوصاً مقدار تأثير النص من جانب، والتحديات التي يواجهها من جانب آخر، ولا نستغرب النتائج التي ينتهي اليها البحث وذلك لأن مهمة الانبياء كانت في ابرز صورها هو الجهاد لتثبيت النص في واقع الحياة الانسانية، ومن أجله قاتلوا وقتلوا وعذبوا ونالهم من العذاب بما لا يحتاج الى بيان. وينبغي ان نبحت الموضوع من خلال الحقائق التالية:

الحقيقة الاولى: وهي هل ان النص يحقق الغرض المراد منه دائماً، أو لا؟  
إن الأداة الاولى للتبليغ والتشريع هو النص - الكتاب والسنة، فهو الوسيلة الاولى في كل الشرايع السماوية والارضية، ولكننا على صعيد الواقع نجد النص في بعض الاحيان، وفي ظل ظروف خاصة، يفقد تأثيره بعد عمليات تحوير وتاويل تقع عليه ففرعه من محتواه مع الاحتفاظ بشكله اللفظي، وصورته الظاهرية. وما من شك فان (النص) تاريخه الخاص من ناحية التأثير، ويمكن ان نفرق بين مرحلة اول النبوة، حيث حالة الشك والعناد والكبرياء، وبين مرحلة استقرار الاسلام في المدينة التي اتسمت بالاذعان والانقياد لرسول الله ﷺ، بعد أن أصبح الاسلام هو السلطة الوحيدة الحاكمة في الجزيرة العربية، فهو القاعدة وغيره

الاستثناء. وصار كلام الله عزوجل يتلا في كل مكان، واحكامه تطبق في أرجاء الجزيرة، واصبح الرسول ﷺ مطاعاً في كل بقاعها.

وتميز النص القرآني -الذي هو أقدس النصوص- بالأعجاز من ناحية المحتوى والتركيب اللغوي والبلاغي مما أضفى عليه قداسة كبيرة وتأثيراً بالغاً، فكانت الامة المسلمة تتجاوب معه من اعماقها، وتتأثر به غاية التأثير، لانها تدرك بعقلها ووجدانها انه كلام رب العالمين، ولا يمكن لبشر ان ياتي بمثله مهما كانت قدرته اللغوية والبيانية عالية.

ومن الملاحظ ان الانسان، على امتداد التاريخ، يبدأ صراعه مع النص حينما يقع التعارض أو التزاحم مع مصالحه أو عقائده، فيحاول ان يكتفه بما يخدم تلك المصالح، من خلال التأويل أو التفسير، الذي يفرغه من محتواه الحقيقي ويحوله الى اتجاه آخر.

لا بل تجد في احيان كثيرة ومن خلال تاريخ و مسيرة الانبياء مع امهم، ان المعجزة التي هي اهم وسائل الاقتناع، لا تحقق الأثر المطلوب في الامة المؤمنة فضلاً عن الكافرة.

ولنحاول عرض بعض المواقف التي تؤكد ذلك وتثبت ان النص وحده قد لا يحقق الغرض.

فن تاريخ الانبياء نجد صراعاً حامياً بينهم وبين المؤمنين بهم، لا بل مع المقربين منهم في تحدي النص الشرعي، وفي بعض الاحيان تحدي المعجزة القائمة، فيحصل الحجاج والنقاش في ذلك، وقد يقع عدم النقياد والاذعان لهما، وعلى سبيل المثال ما وقع لموسى عليه السلام مع قومه المؤمنين به وبرسالته حين غاب عنهم لميقات ربه، فقال عزوجل حاكياً عن انحرافهم وتركهم عبادته وطاعته وشكر نعمته:

﴿واذ اعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون. ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون. وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان



لعلكم تهتدون. واذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم ﴿١﴾

وحادثة اخرى تجسد حالة من العناد والعصيان لاوامر الله ورسوله في قصة ذبح البقرة فقال تعالى:

﴿واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا ألتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين. قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون.

قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال إنه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين. قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون.

قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون. وإذ قلتهم نفساً فاداءتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون. فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكهم آياته لعلكم تعقلون. ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون ﴿٢﴾

ان هاتين الحادثتين، كانتا من الناحية الزمنية، بعد معجزة عبورهم البحر، ونجاتهم من فرعون وجنوده، وهلاك عدوهم بالفرق في مشهد منهم، وهم ينظرون الى قدرة الله ورحمته، ومع ذلك فقد تحدوا النص والمعجزة في وقت واحد، وظهروا تكبراً وتحدياً، ولا أقل من خطابهم لموسى عليه السلام بقولهم ﴿ادع لنا ربك﴾ ولم يقولوا (ربنا).

(١) سورة البقرة الاية ٥١ - ٥٤.

(٢) سورة البقرة الاية ٦٧ - ٧٤.

ومن تلك الوقائع، ما حدث لعيسى عليه السلام مع قومه، ومنهم الحواريون، الذين هم صفوة القوم، والمقربين منه فقد قال الله عز وجل عنهم:

﴿واذ اوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون. إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين. قالوا نريد ان ناكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين. قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا واية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين.

قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذاباً لا أعذبه احداً من العالمين﴾<sup>(١)</sup>

يحدث هذا الامر الغريب من الحواريين، وهم الذين شاهدوا آيات الله تعالى تقع على يد عيسى عليه السلام، وتشهد له بالنبوة، كاحياء الموتى، وبراء الاكمه والابرص، والاخبار عن المغيبات، فما الذي جعلهم يطلبوا من عيسى انزال مائدة من السماء ل﴿تطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا﴾ لم يكتفوا باحياء الموتى وبراء الاكمه والابرص؟ اليس هذا يشهد ان مسألة الايمان الحقيقي الصادق قد لا يتحقق حتى بالمعجزة فضلاً عن النص! وان كل ما نراه ملاكاً تاماً لوجوب الازعان والتسليم بالمعجزة مثلاً قد لا يحقق الغرض.

وفي القرآن الكريم العديد من النماذج التي تؤكد هذا المعنى كقصة الناقة، وقصة سفينة نوح عليه السلام وامثالها، وهي كلها تشير الى مواقف تحدي النص او المعجزة، اما من قبل أمم او افراد ذا شأن منهم.

وفي تاريخ النبوة الخاتمة نجد العشرات من الامثلة التي تتحدث عن نفس الموضوع، وعن روح التعنت، ومخالفة الاوامر وتحديها، ونجد ان روح التحدي

(١) سورة المائدة الآية ١١١-١١٥.

والعناد لاتقف عند مخالفة أمرٍ من اوامر الرسول ﷺ يكتنفه شيء من الغموض يقتضي قدراً من الجهد في فهمه، مما قد يؤدي الى نوع من المخالفة لامره ﷺ، بل ان روح التحدي تتجاوز النص، لتصل الى الرسول نفسه، فتتمثل تارة بموقف على شكل اضراب عام، واتفاق على عدم الاستجابة له، رغم اصراره ﷺ على تنفيذ هذا الامر. وتارة يقوم اليه احد الصحابة فيعتته من ثيابه، لينعنه بالقوة من القيام بعمل من الاعمال. وتارة يُعترض عليه بروح المحاججة في خلفه للوعد، كما يزعم هذا الصحابي أو ذاك. ولتقف مع بعض تلك المواقف مؤكداً مرة اخرى ان الهدف ليس التعريض بأحد من صحابة الرسول ﷺ وانما لأن ما سنذكره حقائق تاريخية مروية في كتب الصحاح والسيرة والتاريخ وتشهد على ما نقول.

### الموقف الاول:

ما وقع لرسول الله ﷺ في صلح الحديبية بعد ان صدته قريش عن حج بيت الله الحرام في السنة السادسة من الهجرة، بعد بيعة الرضوان، التي احدثت هزة عنيفة في نفوس القرشيين، ودوياً هائلاً، ورعباً كبيراً في قلوبهم، لانهم علموا ان النبي ﷺ، مصمم على نشر الدعوة، واعلاء كلمة الحق، وان كلفه ذلك التضحية بحياته. فقد بلغ قريش انه ﷺ قال:

(يا ويح قريش نهكتهم الحرب فماذا عليهم لوخلوا بيني وبين العرب فان هم اصابوني كان الذي ارادوه، وان اظهرني الله عليهم دخلوا في الاسلام وافرين، وان ابوا قاتلوني وبهم قوة. فما تظن قريش فوالله الذي لا اله الا هو لا ازال اجاهد على الذي بعثني به ربي حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة<sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup>).

فلما علمت قريش بذلك استقر رأياها على الصلح والموادعة فارسلوا اليه عدة

(١) السالفة صفحة العنق كنى بذلك عن القتل.

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ / ٦٩٢.

من كبارهم كان على رأسهم سهيل بن عمرو بن عبد ود العامري، فتصالح مع رسول الله ﷺ، على أن يرجع النبي ﷺ بأصحابه من الحديبية، فإذا كان العام المقبل، تخرج قريش من مكة، فيدخلها الرسول ﷺ، مع المسلمين فيقيم بها ثلاثاً، وليس معه من السلاح سوى السيوف في القرب، وأن توضع الحرب بينه وبينهم عشر سنين، وأنه من أحب من العرب أن يدخل في عقد محمد ﷺ، وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وأنه من أتى محمداً من قريش ممن هو على دين محمد بغير إذن وليه رد إليه، ومن أتى قريشاً ممن كان مع محمد فارتد عن الاسلام لا ترده قريش إليه. وذكروا شروطاً أخرى تتعلق بالموادة.

ولا اظن ان مسلماً يشك في ان رسول الله ﷺ كان يعمل وفق وحي السماء، وما ينزل به جبريل من عند رب العالمين في هذا المورد بالذات. وحتى لو فرضنا ان النبي ﷺ قبل بهذه الشروط ابتداءً من دون وحي، فان ذلك يكفي للاذعان بما ارتضاه لانه المصدر الثاني للتشريع، وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امراً أن يكون لهم الخيرة من امرهم<sup>(١)</sup>

ولا معنى - على ضوء المنطق الايماني - للنقاش والاحتجاج بعد قبوله للصلح وفق الشروط المذكورة. وما يقتضيه الايمان والتسليم من الصحابة جميعاً، ان يقولوا رضينا بما رضى به رسول الله ﷺ، ولكن لنرى ماذا كان موقف الصحابة، والمبرزين منهم بالذات، فهل اذعنوا لرسولهم وسمعوا واطاعوا؟

يقول المؤرخون واصحاب الحديث، انه بعد ان كتب الامام علي عليه السلام كتاب الصلح قال ﷺ لاصحابه:  
قوموا فانحروا ثم احلّقوا.

قال: فوالله ما قام منهم رجل. حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقيم منهم أحد

دخل ﷺ خباءه ثم خرج فلم يكلم أحداً منهم بشيء حتى نحر بُدنة بيده، ودعا حالقه فحلق رأسه<sup>(١)</sup>

هذا هو موقف الصحابة في لحظة حرجة من تاريخ الدعوة الإسلامية تمثل باضراب عام عن طاعة الرسول ﷺ.

أما خواص الصحابة المحيطين بالرسول ليلاً ونهاراً، العارفين به وبحكمته وحرصه على الإسلام فلناخذ موقف النموذج الكبير، المتمثل بالخليفة الثاني عمر بن الخطاب، فقد روى البخاري في صحيحه الواقعة التالية:

قال عمر لرسول الله ﷺ: أأنت نبي الله حقاً؟

قال: بلى.

قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟

قال ﷺ: بلى.

قلت: فلم تعطي الدنيا في ديننا إذا؟

قال ﷺ: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري.

قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت نطوف به؟

قال ﷺ: بلى، أفأخبرت أنك أنا تأتيه العام؟

قلت: لا.

قال ﷺ: فانك آتية ومطوف به.

قال عمر: فأنت أبابكر فقلت:

يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً؟

قال: بلى.

قلت: السنا على الحق وعدونا على الباطل؟

---

(١) صحيح البخاري ج ٢ / ١٢٢ ط دار الكتب العربية.

قال: بلى.

قلت: فلماذا نعطي الدنية في ديننا إذا؟

قال: ايها الرجل انه لرسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره، فاستمسك بغيره فوالله انه لعلی الحق.

فقلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟

قال: بلى، أفأخبرك انك تأتیه العام؟

قلت: لا.

قال: فانك آتیه ومطوف به.

قال عمر فعملت لذلك عملاً<sup>(١)</sup>

وقد اشار الامام علي عليه السلام الى هذه الحادثة وغيرها من محاولات الاعتراض على رسول الله ﷺ بقوله: وقد علم المستحفظون من اصحاب محمد ﷺ أني لم أرد على الله ولا على رسول الله ﷺ ساعة قط..)

وعلق ابن ابي الحديد على ذلك بقوله (واعلم ان هذا الخبر صحيح لا ريب فيه، والناس كلهم زووه، وليس عندي بقبیح ولا مستهجن ان يكون سؤال هذا الشخص لرسول الله ﷺ عما ساله عنه على سبيل الاسترشاد، والتماساً لطمأنينة النفس فقد قال الله لخليله ابراهيم ﴿او لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ وقد كانت الصحابة تراجع رسول الله ﷺ في الامور، وتسأله عما يستبهم عليها وتقول له: أهذا منك ام من الله؟ وقال له السعدان - سعد بن معاذ وسعد بن عباد - رحمهما الله يوم الخندق، وقد عزم على مصالحة الاحزاب يبعض تمر المدينة: أهذا من الله أم رأي رأيته من نفسك؟ قال: بل من نفسي. قالوا: لا والله لا نعطيهم منها قمره واحدة وأيدينا في مقابض سيوفنا.

وقالت الانصار له يوم بدر، وقد نزل بمنزل لم يستصلحوه: أنزلت هذا المنزل

---

(١) صحيح البخاري ج ٢/ ح ١٢٢ ط دار الكتب العربية

عن رأي رأي أم بوحى أوحى اليك؟ قال: بل عن رأي رأيته. قالوا: انه ليس لنا بمنزل ارحل عنه فانزل بموضع كذا<sup>(١)</sup>

ونحن لا نشك ان الصحابة كانوا حريصين على الدعوة الاسلامية، وعلى اعلاء كلمة الله، ومحاربة الكفر والطاغوت، وارغام قريش - في ذلك الوقت - على الخضوع والاستسلام. ولكن ذلك لا يعني انهم احرص على الاسلام من رسوله ﷺ أولاً، كما انه لا يبرر لهم اتخاذ موقف موحد، أو اضراب عام، احتجاجاً على موقفه ﷺ ثانياً.

ان ما وقع ليس (نصاً) يحتمل التأويل وانما هي ممارسة حية لرسول الله ﷺ، وهو يرسم منعطفاً من اهم منعطفات الاسلام فكيف اعترض الخليفة الثاني ومعه الصحابة على رسول الله ﷺ فامتنعوا عن الذبح والحلق وهو حي بينهم؟ واذا كانت شهامة بعض الصحابة، وحرصهم على الاسلام، دفعهم الى اتخاذ هذا الموقف، فاذ لا نتوقع ان يحدث نفس الشيء لنصوص اكثر اهمية من صلح الحديبية فتغير، أو تُهمل، أو تُخالف بدافع الغيرة والحرص والشهامة على الاسلام، في فترة ما بعد الرسول؟

ويشهد على وقوع المخالفة ندم الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فيما بعد - أي في فترة خلافته - حيث قال: ما زلت أصوم وأتصدق وأصلي واعتق مخافة كلامي الذي تكلمت به<sup>(٢)</sup> أي في قصة صلح الحديبية.

### الموقف الثاني:

ونرى هنا مشهداً ونموذجاً من عدم التسليم والاذعان لرسول الله ﷺ والذي يُفترض بالصحابة انهم اكثر تفاعلاً واستجابة للرسول ﷺ ولكن

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٠ / ١٨٠.

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ / ٧٠٦.

سنلاحظ التباين بين النظرية والتطبيق في مجال الممارسة العملية وذلك حينما يشير النبي ﷺ الى ظاهرة ايمانية مزيفة وهي التي عبر عنها القرآن الكريم بـ (النفاق) ويطلب من الصحابة اجتثاث احد رموزها الخبيثة والقضاء عليه. فهل استجاب الصحابة لأمر واضح صدر من الرسول ﷺ بقتل منافق متستر بالدين والشعائر الاسلامية؟

والقصة كما يلي:

يروى أنس فيقول:

كان في عهد رسول الله ﷺ رجل يعجبنا تعبده واجتهاده، وقد ذكرناه لرسول الله ﷺ بأسمه فلم يعرفه، فوصفناه بصفته فلم يعرفه، فبينما نحن نذكره إذ طلع الرجل علينا فقلنا: هو هذا.

قال ﷺ: انكم لتخبروني عن رجل إن في وجهه لسفعة من الشيطان. فأقبل حتى وقف عليهم ولم يسلم.

فقال له رسول الله ﷺ: أنشدك الله هل قلت حين وقفت على المجلس: ما في القوم أحد افضل مني أو خير مني؟ قال: اللهم نعم.

ثم دخل يصلي فقال رسول الله ﷺ: من يقتل الرجل؟ قال ابوبكر: أنا، فدخل عليه فوجده يصلي فقال سبحان الله أقتل رجلاً يصلي وقد نهى رسول الله عن قتل المصلين!

فخرج فقال رسول الله ﷺ: ما فعلت؟

قال: كرهت ان اقتله وهو يصلي وقد نهيت عن قتل المصلين.

قال رسول الله ﷺ: من يقتل الرجل؟

قال عمر: أنا. فدخل فوجده واضعاً جبهته. قال عمر: ابوبكر افضل مني.

فخرج فقال النبي ﷺ مهيم؟



قال: وجدته واضعاً جهته لله فكرهت ان اقتله. فقال ﷺ من يقتل الرجل؟ فقال علي: أنا.

فقال ﷺ: أنت ان ادركته. فدخل عليه فوجده قد خرج.

قال ﷺ: لو قتل ما اختلف من أمتي رجلان<sup>(١)</sup>

هذا الرجل الذي أمر رسول الله ﷺ بقتله هو ذو الشدية ويسمى بذي الخويصرة التيمي حرقوص بن زهير، وهو الذي قال لرسول الله ﷺ - كما اخرجهم مسلم في صحيحه - حينما كان يقسم المال: يا رسول الله اعدل! فقال له: ويلك من يعدل إذا لم أعدل.

وهو رأس الخوارج وقد ذكره رسول الله ﷺ في اخبار المغيبات فقال: آيتهم رجل اسود احدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر، ويخرجون على حين فرقة من الناس.

قال ابوسعيد: فأشهد اني سمعت هذا الحديث من رسول الله، واشهد ان علي بن ابي طالب قاتلهم وانا معه، فأمر بذلك الرجل فأتى به حتى نظرت اليه على نعت النبي ﷺ الذي نعت<sup>(٢)</sup>

فهل فعل النص شيئاً تجاه الظاهرة المزيفة المتلبسة بالدين، والرسول فيهم يامرهم بقتل رأسها والقضاء عليه؟ ان تحليلاً بسيطاً لما جرى سيؤكد ان تأثر الصحابة ببعض اساليب المنافقين وتسترهم بلباس التقوى والورع واداء بعض الشعائر كان أقوى في تأثيره من الرسول ﷺ نفسه، رغم علمهم انه ﷺ المقياس الحقيقي للالتزام الحقيقي بالاسلام.

(١) الاصابة لابن حجر ج ١ / ٤٨٤ ط السعادة، وحلية الاولياء ج ٢ / ٣١٧.

(٢) صحيح البخاري ج ٤ / ٢٤٣ ط مطابع الشعب، وصحيح مسلم ج ٢ / ٧٤٤.

### الموقف الثالث:

ما وقع من خالد بن الوليد الصحابي المعروف بمواقفه الكثيرة، نجد هذا الصحابي في موقف له يتجاهل النص ويتجاوز به بصراحة وجراً على ما يروي صاحب الاستيعاب في قصة بطشه ببني جذيمة وخلاصة القصة:

ان النبي ﷺ بعث خالداً في ثلاثمائة من المهاجرين والانصار بعد فتح الحديبية الى بني جذيمة داعياً الى الاسلام، ولم يبعثه مقاتلاً - وكان بنو جذيمة قتلوا في الجاهلية عمه الفاكه بن المغيرة - فلما جاءهم بمن معه قال لهم: ضعوا اسلحتكم فان الناس قد اسلموا. فوضعوا اسلحتهم، وأمر بهم فكتفوا، ثم عرضهم على السيف فقتل منهم مقتلة عظيمة فلما انتهى الخبر الى النبي ﷺ رفع يديه الى السماء فقال: اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد، اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد<sup>(١)</sup>

ثم ارسل ﷺ علياً عليه السلام ومعه مال وأمره أن ينظر في أمرهم، فودى لهم الدماء والاموال حتى انه ليدي ميلغة الكلب<sup>(٢)</sup>.

ففرى هنا خالد بن الوليد - وهو من طليعة الصحابة - لا يتحدد بالنص ولا يلتزم به بل ويعمل بخلافه تماماً إذ ان الرسول ﷺ لم يبعثه مقاتلاً وانما بعثه داعياً الى الاسلام، ومع ذلك فانه بدأهم بالقتل، وهم آمنون بدعوته لهم بالقاء السلاح.

### الموقف الرابع:

وفي هذا الموقف نعيش مع لحظة غضب للخليفة الثاني عمر بن الخطاب دعت الى جذب الرسول من ثوبه مستنكراً عليه عملاً قام به لمصلحة الاسلام والمسلمين، ثم هو بعد سنوات يندم على ذلك كما سنرى وخلاصة القصة كما جاءت في صحيح

(١) الاستيعاب بهامش الاصابة ج ١ / ١٥٣.

(٢) المصدر السابق، والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ / ٥٣.

البخاري وكنز العمال كما يلي:

قال عبد الله بن عمر: لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه فقال: يا رسول الله أعطني قيصك أكفنه فيه، وصل عليه واستغفر له.

فاعطاه قيصه - وقد قيل له لم أعطيته قيصك؟! فقال ﷺ ان قيصي لم تغن عنه من الله شيئاً، واني ارجو ان يدخل به في الاسلام خلق كثير - وقال له: اذا فرغت منه فاذنا به، فجاء ﷺ ليصلي عليه فجذبه عمر فقال له: أليس قد نهاك الله ان تصلي على المنافقين فقال لك (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم)؟.

فقال ﷺ: أخر عني يا عمر إني خيرت، قيل لي ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ فلو اعلم اني زدت على السبعين غفر الله له لزدت. ثم صلى عليه ومشى خلفه<sup>(١)</sup>

وقد أسلم بعد ذلك من قوم عبد الله بن أبي ألف رجل تأثراً بموقف الرسول. وكان ﷺ قد صلى على عبد الله بن أبي قبل نزول قوله تعالى ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾.

وبعد سنوات من ذلك وبعد وفاة الرسول ﷺ ندم عمر بن الخطاب على موقفه فقال:

أصبت في الاسلام هفوة ما أصبت مثلها قط، اراد رسول الله ﷺ ان يصلي على عبد الله بن أبي فأخذت ثوبه فقلت: والله ما أمرك الله بهذا لقد قال الله لك ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ فقال رسول الله: خيرني ربي فقال: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ فاخترت<sup>(٢)</sup>

من الصعب ان نبرّر موقف الخليفة الثاني في هذه الواقعة بغير تحدي النص، إذ

(١) كنز العمال ج ١ / ٢٤٧، الكامل في التاريخ ج ٢ / ٦٦١ ط دار الكتب العلمية.

(٢) كنز العمال الحديث رقم ٤٤٠٤.

ليس من المعقول ان يكون عمر أأو الناس اجمعين احرص من الرسول ﷺ ، على كيان الاسلام أو حفظ مصالحه، فما هو السبب الذي جعل عمر يجذب الرسول ﷺ من ثوبه، هل كان لحكمة لا يعرفها الرسول، ام هو خطأ وقع فيه ﷺ وهو الذي لا ينطق عن الهوى؟.

ان مقتضى القاعدة ان يتجاوب عمر والمسلمون مع الرسول ﷺ في موقفه اذعانا لقوله تعالى ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ ويدع عمر اجتهاده وحرصه جانباً ويتمسك بروح العبودية والطاعة، وكذلك يجب ان يفعل كل مسلم آمن بالله تعالى ورسوله ﷺ . فهل يمكن بعد هذا ان نفترض ان النص يمكن ان يؤدي الغرض، ويحقق النتيجة دائماً، ونحن نرى خير الخلق يُجذب من ثوبه - اعترافاً عليه - لمنعه من القيام بعمل ما؟.

#### الموقف الخامس:

وهو المعروف برزية يوم الخميس، حيث كان رسول الله ﷺ على فراش الموت، فاراد ان يحسم أمر الخلافة والحكم من بعده، فطلب دواة وصحيفة ليكتب للامة كتاباً لن تضل بعده أبداً، وخلاصة ما جرى كالتالي:

اخرج البخاري في صحيحه بسنده الى عبيد الله بن عبد الله بن مسعود عن ابن عباس قال: لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبي ﷺ: هلم اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده.

فقال عمر: ان النبي قد غلب عليه الوجد وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف اهل البيت فاختصموا، منهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبي كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما اكثروا اللغو والاختلاف عند النبي قال لهم رسول الله ﷺ:

قوموا عني.

فكان ابن عباس يقول: ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين ان

يكتب ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم<sup>(١)</sup> وفي روايات اخرى جاءت العبارة بصيغة:

(هجر رسول الله).

او (ان النبي يهجر).

ومهما يكن الامر، وهل قال عمر ان النبي غلبه الوجد، أو ان النبي يهجر، فاننا نعتقد ان رسول الله ﷺ في صحته أو مرضه على حد سواء، فهو رسول رب العالمين في الصحة والمرض، وان ما يصدر منه من قول أو عمل في مرضه، يمتلك نفس الحجية فيما لو كان قد صدر منه في صحته، لا فرق عندنا في ذلك، وهو اجماع الامة الاسلامية بكل مذاهبها وفرقها الا من شذ منهم، وما يهمننا الآن هو فهم الاسباب والظروف التي تحجم النص الشرعي، وتحرّفه عن إتجاهه وتجعله في بعض الاحيان عديم الجدوى.

والذي يظهر من نصوص واقعة (آتوني اكتب لكم كتاباً) وهي كثيرة ان النبي ﷺ فاجأ الجميع بقوله (آتوني بدواة وصحيفة اكتب لكم كتاباً) بارادة مباشرة الكتابة بخط يمينه، وليس املاءً، كما كان يفعل في الامور الاخرى، بما في ذلك القران الكريم نفسه.

وهذه هي المرة الوحيدة في جميع كتبه ومراسلاته، وفي جميع مراحل حياته بعد النبوة يطلب فيها الكتابة بهذا النحو يشهد لذلك قوله ﷺ (آتوني.. اكتب لكم كتاباً) أو (اتوني بكتاب اكتبه لكم) فانه يدل على انه ﷺ اراد مباشرة الكتابة بيده الكريمة وإلاّ فإنّ بإمكانه ان يقول ما كان يريد كتابته امام الحاضرين، أو أن يأمر من كان يقرأ ويكتب من الحاضرين بكتابة ما يريد من دون حاجة الى ان يقول (آتوني...).

---

(١) الكامل في التاريخ ج ٢ / ١٨٥ ط دار الكتب العلمية، صحيح البخاري ج ٧ / ٩ ط دار الفكر، مسند احمد ج ٤ / ٣٥٦ دار المعارف بمصر.

ويشهد لذلك ايضاً قول الموافقين للكتابة كما في صحيح البخاري حيث جاءت  
العبارة هكذا (قربوا يكتب لكم) فلمن يقربون الدواة والصحيفة اذا لم يكن هو الذي  
اراد مباشرة الكتابة؟

وهذا الامر هو الذي جعل عمر بن الخطاب يتفاجيء من قول الرسول ﷺ  
فقال كلمته المشهورة انه يهجر، أو غلبه الوجع لان الطلب كان غريباً، فهو يعتقد كما  
هو حال باقي المسلمين ان الرسول لا يقرأ ولا يكتب، فكيف يقول آتوني بدواة  
وصحيفة اكتب لكم كتاباً. ويشهد لصحة هذه الرؤية من ان الرسول ﷺ اراد  
مباشرة الكتابة بنفسه ما جاء في الصحيحين أيضاً خرجاه معاً عن ابن عباس انه  
كان يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكى حتى بلّ دمعته الحصى فقلنا: يا ابن  
عباس وما يوم الخميس؟ قال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه، فقال: آتوني بكتاب  
اكتبه لكم -ولفظ مسلم- ائتوني اكتب لكم كتابا لا تظلوا بعدي أبداً. فتنازعوا. فقال  
قائل: ما شأنه؟ أهجر؟ استفهموه. فذهبوا يعيدون عليه: فقال: دعوني والذي أنا فيه  
خير من الذي انتم فيه..<sup>(١)</sup>

فما معنى (استفهموه! فذهبوا يعيدون عليه) أو (آتوني بكتاب اكتبه لكم) غير  
الذي ذكرناه.

ولو افترضنا صورة عكسية لما وقع وقلنا مثلاً ان الرسول ﷺ كان يقرأ  
ويكتب، والناس تعرف ذلك ثم طلب ﷺ وهو على فراش الموت دواة وصحيفة  
ليكتب كتاباً فهل سيكون طلباً غريباً يستوجب ان يقول احد (انه يهجر) أو  
(استفهموه)؟ ولم نجد أي اعتراض على طلبات النبي ﷺ الاخرى التي رافقت  
طلب كتابة الكتاب كقوله ﷺ: قوموا عني، فقاموا أو اكرام الوفود أو اخراج  
المشركين من الجزيرة أو تجهيز جيش اسامة وغير ذلك، ولم يقل احد انه هجر،  
فلماذا في هذا المورد بالذات أنهم النبي بانه هجر؟

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ / ٥٤

من هنا استطاع عمر ان يوجد في داخل الجماعة المتواجدة في البيت النبوي، تياراً يؤيد رؤيته، فقالوا معه حسبنا كتاب الله، مستفيداً من غرابة طلب الرسول ﷺ بالكتابة، اذ ليس من المعقول ان يتمكن عمر من استحصال تأييد كبير، أو قل اتجاه واسع في صفوف الحاضرين من دون وجود محفز ظاهري مشير، فعمر لم يكن يملك تأثيراً على المسلمين ولم يذكر المؤرخون انه كان يتمتع بقوة مادية، ولا رصيد اجتماعي، للتأثير على الحاضرين للحد الذي يستطيع ان يحول بين النبي ﷺ وكتابة الكتاب. خاصة وان الرسول ﷺ في هذه الفترة من حياته كان يتمتع باحترام جميع المسلمين على اختلاف دوافعهم للاحترام، بينما لا يملك عمر ذلك.

اما الدافع الحقيقي الذي دفع عمر للتصريح بكلمته هذه، فهو ما بينه وبينه نفسه فيما بعد، إذ يروي ابن ابي الحديد عن عمر فيقول: «ان رسول الله ﷺ اراد ان يذكره - لعلي - للأمر في مرضه، فصدته عنه خوفاً من الفتنة وانتشار امر الاسلام»<sup>(١)</sup>

وروي ايضاً عن ابن عباس رضي الله عنه قال:

دخلت على عمر في اول خلافته، وقد ألقى له صاع من تمر على خَصْفَةٍ، فدعاني الى الاكل، فأكلت ثمرة واحدة، وأقبل يأكل حتى أتى عليه، واستلقى على مرفقة له، وطفق يحمد الله، يكرر ذلك، ثم قال: من اين جئت يا عبدالله؟

قلت: من المسجد.

قال: كيف خلفت ابن عمك؟

- فظننته يعني عبدالله بن جعفر -

قلت: خلفته يلعب مع اترابه.

قال: لم أعن ذلك، وانما عنيت عظيمكم اهل البيت.

قلت: خلفته يمتح بالغرب - أي بالدلو - على نخيلات من فلان وهو يقرأ القرآن.

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١٢ / ٧٩.

قال: يا عبدالله عليك دماء البدن إن كتمتها، هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟

قلت: نعم.

قال: أيزعم أن رسول الله ﷺ نصّ عليه؟

قلت: نعم، وازيدك سألت ابي عما يدعيه فقال: صدق.

فقال عمر: لقد كان من رسول الله ﷺ في أمره ذرؤ، - أي طرف - من قول لا يثبت حجة ولا يقطع عذراً، ولقد كان يربّع في أمره وقتاً ما، ولقد اراد في مرضه أن يصرح باسمه فمنعت من ذلك إشفاقاً وحيطة على الاسلام، لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها لانتقضت عليه العرب من اقطارها، فعلم رسول الله ﷺ أنني علمت ما في نفسه فأمسك، وأبى الله الا امضاء ما حتم<sup>(١)</sup>.

اما الذين قالوا: قربوا يكتب لكم كتاباً، فهم يرون ان الذي بعثه مؤيداً بالآيات والبيّنات والمعجزات، قادر على الهامة القراءة والكتابة في لحظة واحدة فيكتب ما يريد كتابته ولو على نحو الاعجاز.

ومن هنا سيكون هذا الكتاب - اضافة الى محتواه الكبير في تحديد مستقبل الخلافة ونظام لحكم - مقروناً بآخر واجمل معجزة - باستثناء القرآن - لرسول الله ﷺ وستأخذ طريقها الى قلوب المسلمين والمؤمنين الى قيام يوم الدين، وسوف لن تضل الامة بعده ابداً، لانه سيحدّد خط الامامة والخلافة من بعده فلا يقع اختلاف ولا ضلال.

وعلى كل حال فإنّ عمر بن الخطاب حرص على منع رسول الله ﷺ من كتابة الكتاب، ووافقه على ذلك عدد كبير من الصحابة.

هذا كله والرسول ﷺ حي يرزق وهو بكامل خصائصه الانسانية والدينية مما أثار غضبه ﷺ فخاطب الحاضرين بكلمته المشهورة (قوموا عني). ولم نعهد

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١٢ / ٢٠.



من صاحب الخلق العظيم حدة أو ألماً دعاه الى ردة فعل اكثر من السكوت، أو في اشد الحالات ظهور علامات عدم الارتياح على وجهه، اما ان يغضب فيقول قوموا عني فهي المرة الاولى، والاخيرة في حياته ﷺ.

ومما يجب ان نشير اليه في النهاية هو اننا من خلال استقراء امثال الوقائع التي ذكرناها نلاحظ ان النص الشرعي ينال التقديس والاحترام اذا كان يتعلق بالامور العبادية ذات الطابع الشخصي كالصلاة والصيام وأمثالها فلا نجد في امثال هذه المواضيع اى شكل من اشكال الاعتراض أو النقاش أو التحدي.

واما النص الذي يتعلق بالامور الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية فانه كثيراً ما يواجه مصاعب في مجال الازعان أو التطبيق، ومعه تبدأ محاولات التغيير، كالحرص على عدم تفرق الامة، أو خوف الفتنة، أو الحيلة على الاسلام، وامثال ذلك من المبررات الحق، التي لا يراد بها الحق، لاننا لا يمكن ان نفترض احداً في الدنيا احرص من رسول الله ﷺ على الاسلام ووحدة الامة الاسلامية.

### الحقيقة الثانية: شخصية الامام علي عليه السلام

والحديث في هذا الموضوع يتم من خلال محاور ثلاثة:

١- الخصائص الذاتية لشخصية الامام علي عليه السلام.

٢- العدل المطلق في حياة علي عليه السلام.

٣- تركيبة مجتمع الصحابة وموقع علي عليه السلام فيها.

### المحور الاول: الخصائص الذاتية.

الخصائص الذاتية لعلي عليه السلام بقدر ما تحمل من عظمة سببت له مشاكل و مصاعب بنفس المستوي رافقته في جميع مراحل حياته، وافرزت له قطاعات واسعة من الاعداء، حركهم الحسد والغيرة والمصالح الذاتية للانتقام منه بمختلف الوسائل. ان الامام علي عليه السلام ربيب النبوة، والتلميذ الاول لرسول الله ﷺ تلقى على

يديه الكريمتين، جميع مكارم الاخلاق والعلم والمعرفة، يقول صلوات الله وسلامه عليه:

(وقد علمتم موضعي من رسول الله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولدٌ يضمني الى صدره، ويكفني في فراشه ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمسح الشيء ثم يلقمينه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل. ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل لأثر امه، يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علماً، ويأمرني بالاعتداء به..)<sup>(١)</sup>

ويقول عليه السلام ايضاً:

ما نزلت على رسول الله ﷺ آية إلا أقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله ان يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله تعالى وعلماً أملاه عليّ وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك رسول الله علماً علمه الله من حلال أو حرام، ولا أمر ولا نهى كان أو يكون إلا علمنيه وحفظته، ولم أنس حرفاً واحداً منه..)<sup>(٢)</sup>

هذه الميزات الفريدة في تربية النبي ﷺ له وتعليمه، وإشارته له من دون باقي الصحابة، وأثنائه على سره وأمره، وتزويجه ابنته الصديقة فاطمة، واهتمامه البالغ به، وغير ذلك مما يشاكل هذه الامور استوجب حسدهم له، وغيضهم منه. ولم يبق ذلك حبس نفوسهم وساكن سرهم بل طفحت من بعضهم نيران الحسد، وظهر منهم الحقد والغضب، فاتهموا رسول الله ﷺ بأنه يحابي علياً عليه السلام بدافع القرابة والمصاهرة، حتى بدت الكراهة في وجوه الصحابة لذلك، فعن جابر قال ناجى رسول الله ﷺ علي بن ابي طالب يوم الطائف فأطال مناجاته، فرأى الكراهة في

(١) نهج البلاغة الخطبة رقم ١٩٢.

(٢) نهج البلاغة الخطبة ٢١٠.

وجوه رجال، فقالوا قد أطل مناجاته منذ اليوم. فقال: ما انا انتجيته ولكن الله عزوجل انتجاه<sup>(١)</sup>.

فاكن من الصعب على بعضهم ان يجدوا لرسول الله ﷺ نظيراً له في خلقه وعدله وتنمره في ذات الله تعالى، وحرصه على الاسلام، وبطشه بعروش الكفر وعادات الجاهلية.

وكان الجميع يعلم ان علياً عليه السلام لو ولي الخلافة ما كان ليعدل عن سنة رسول الله ﷺ قيد أنملة، ولعمل بما كان يعمل به ﷺ ولسار على هديه وشريعته. وهذا ما لم يكن يرق لعدد كبير من المستسلمين، من ذوي الجاه والسلطان والحكم والرياسة، من الذين لم تكن صدورهم تتسع لشخص آخر كمحمد ﷺ بعدله وحزمة في تطبيق الحق والعدل.

ان الامام علي عليه السلام يمثل الامتداد الحقيقي لرسول الله ﷺ، لانه عدل نفسه بنص الرسول ﷺ، اذ يروي ابن ابي الحديد ان النبي ﷺ حينما هدّ بني وليعة قال لهم:

لتنهن يا بني وليعة أو لا بعثن عليكم رجلاً عدل نفسي يقتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم. قال عمر بن الخطاب: فاتميت الامارة إلا يومئذ وجعلت انصب له صدري رجاء ان يقول: هو هذا، فاخذ بيد علي وقال: هو هذا<sup>(٢)</sup>

هذا التمثيل الحقيقي لرسول الله ﷺ، وانه عدل نفسه سبب لعلي عليه السلام مشكلة حقيقية امتدت معه امتداد العمر، وعانى من تبعاتها في حياته وبعد موته، بل وامتدت الى آله وذريته، فكان الحاقدون الموتورون من رسول الله ﷺ يرون في الانتقام من علي عليه السلام انتقاماً من رسول الله ﷺ يقول عليه السلام:

كل حقدٍ حقدته قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله أظهرته فيّ،

(١) النوادر في جمع الاحاديث للمول محسن الكاشاني / ١٠٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ / ٢٩٤.

وَسُتْظَهَرُ فِي وَلِيدِي مِنْ بَعْدِي، مَالِي وَلَقْرِيشُ! اِنَّا وَتَرْتَهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ رَسُولِهِ، أَفْهَذَا  
جَزَاءُ مَنْ اطَاعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كَانُوا مُسْلِمِينَ<sup>(١)</sup>  
وَيَقُولُ أَيْضاً:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قَرِيْشٍ، فَانْهَمْ أَضْمُرُوا لِرَسُولِكَ ﷺ ضَرْباً مِنْ  
الشَّرِّ وَالْغَدْرِ، فَجَزَوْا عَنْهَا، وَحُلَّتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَنَا، فَكَانَتْ الْوَجْبَةُ بِي، وَالِدَائِرَةُ  
عَلَيَّ»<sup>(٢)</sup>

وَلَا نَسْتَغْرِبُ ذَلِكَ لِأَنَّ وَاقِعَ الْحَالِ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ كَشَفَ عَنْ حَقِيقَةِ مَرَّةٍ،  
وَهِيَ أَنَّ شَطْرَ مَنْ (الْمُسْلِمِينَ) كَانَ اعْتِنَاقَهُمْ لِلْإِسْلَامِ اسْتِسْلَاماً لِلْوَاقِعِ، بِحُكْمِ أَنَّ  
التَّيَّارَ الْعَامَّ كَانَ لِمَصَالِحِ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّ التَّظَاهَرَ بِغَيْرِ ذَلِكَ يَهْدِدُ مَصَالِحَهُمُ الشَّخْصِيَّةَ،  
وَهُمْ فِي حَقِيقَتِهِمْ لَا زَالُوا يَحْمِلُونَ فِي أَعْمَاقِهِمْ أَفْكَارَ الْجَاهِلَةِ وَعَادَاتِهَا وَتَقَالِيدَهَا  
وَكَانَتْ نَظَرَتِهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَرَسُولِهِ الْقَائِدِ ﷺ نَظَرَةً مَادِيَّةً بِحُجَّتِهِ، وَأَنَّ مَا حَقَّقَهُ  
لَيْسَ إِلَّا مُجْدِأً شَخْصِيّاً اسْتَطَاعَ بِذِكَاثِهِ أَنْ يَقِيْمَهُ عَلَى انْقِاضِ الْمَجْتَمَعِ الْعَرَبِيِّ الْمُتَفَكِّكَ،  
لَا عِلَاقَةَ لَهُ بِوَحْيِي وَلَا نَبْوِهِ يَقُولُ أَبُو سَفْيَانَ لِعِثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ بَعْدَ أَنْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ: يَا بَايَ  
أَنْتَ أَنْفَقَ وَلَا تَكُنْ كَأَبِي حَجْرٍ، وَتَدَاوَلُوها يَا بَنِي أُمَيَّةٍ تَدَاوَلُ الْوُلْدَانُ الْكُرَّةَ، فَوَاللَّهِ  
مَا مِنْ جَنَّةٍ وَلَا نَارٍ<sup>(٣)</sup>، وَإِذَا يَشْهَدُ لِذَلِكَ حَرَكَةُ الْإِرْتِدَادِ الْوَاسِعَةِ الَّتِي وَقَعَتْ بَعْدَ  
وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ مُبَاشَرَةً يَقُولُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْكَامِلِ:

فَتَوَفَّى النَّبِيَّ ﷺ وَلَمْ يَسِرَّ الْجَيْشُ وَارْتَدَّتِ الْعَرَبُ أَمَّا عَامَّةٌ أَوْ خَاصَّةٌ مِنْ كُلِّ  
قَبِيلَةٍ، وَظَهَرَ النِّفَاقُ وَاشْرَأَبَتْ يَهُودُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ<sup>(٤)</sup>  
وَقَدْ أَفْرَدَ فِي الْكَامِلِ فَصْلاً مُسْتَقِلاً لِأَخْبَارِ الرَّدَّةِ وَرَغْمَ تَحْفِظِنَا عَلَى بَعْضِهِ لِأَنَّ

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢٠ / ٢٢٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢٠ / ٢٩٨.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ / ٤٥.

(٤) الكامل لابن الأثير ج ٢ / ١٩٩.

شعار الردة استُعمل في بعض الاحيان كشعار سياسي لتصفية المعارضة، أو لتحقيق اغراض شخصية، الاّ أنه على كل حال يكشف عن ان شطراً كبيراً من المجتمع كان مستسلماً فقط<sup>(١)</sup>.

ومن الطبيعي في ظل وضع من هذا القبيل ان تنقلص الفرص، ان لم نقل تنعدم لوصول علي عليه السلام الى الحكم، إذ كيف يقبل المرتدون حاكماً هو كرّسول الله ﷺ الذي ثقلت نفوسهم به، فهو يُمثل لهم (مأساة) حقيقة ضاقت بها صدورهم. ويصف لنا علي عليه السلام الحالة المؤسفة للوضع الذي كان عليه المجتمع في ذلك الوقت وقد قال له قائل: يا امير المؤمنين، أرايت لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله ترك ذكراً قد بلغ الحلم، وأنس منه الرشد، أكانت العرب تسلم إليه أمرها؟ فقال عليه السلام: لا، بل كانت سقتله إن لم يفعل ما فعلت، ان العرب كرهت أمر محمد صلى الله عليه وآله وحسدته على ما آتاه الله من فضله، واستطالت أيامه حتى قذفت زوجته، ونفرت به ناقته، مع عظيم إحسانه إليها، وجسيم منته عندها. واجمعت مذكان حياً على صرف الأمر عن أهل بيته بعد موته. ولولا ان قريشاً جعلت اسمه ذريعة إلى الرياسة، وسُلماً إلى العز والأمرة، لما عبدت الله بعد موته يوماً واحداً، ولا ردت في حافرتها، وعاد قارحها جذعاً، وبازلها بكراً، ثم فتح الله عليها الفتوح، فأثرت بعد الفاقة، وتمولت بعد الجهد والمخمصة، فحسُن في عيونها من الاسلام ما كان سمجاً، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطرباً وقالت: لولا انه حق لما كان كذا، ثم نسبت تلك الفتوح الى آراء ولاتها وحسن تدبير الامراء والقائمين بها...

---

(١) بالنسبة لأخبار الردة يمكن بحثها على عدة اصعدة وعلى مستويات مختلفة، فقد تُفسر على انها ارتداد عن الاسلام ورجوع الى الكفر. وقد حصل هذا ووقع في بعض مراحل الاحداث. وقد تُفسر على انها ارتداد، بمعنى عدم قبول الكثير من العرب لخلافة ابي بكر، ومثال ذلك ما هو معروف عن مالك بن نويرة الذي اعتُبر مرتداً لانه امتنع عن دفع الزكاة للخليفة. وعلى ضوء ذلك ترتب نتائج متباينة لسنا بصدد مناقشتها.

وما عسى ان يكون الولد لو كان! إن رسول الله صل الله عليه وآله لم يقربني ما تعلمونه من القرب للنسب واللحمة، بل للجهاد والنصيحة، أفتراه لو كان له ولد هل كان يفعل ما فعلت! وكذلك لم يقرب ما قربت، ثم لم يكن عند قريش والعرب سبباً للحظوة والمنزلة، بل للحرمان والجفوة.

اللهم انك تعلم اني لم أرد الأمرة، ولا علو الملك والرياسة، وانما اردت القيام بحدودك، والأداء لشرعك، ووضع الامور في مواضعها، وتوفير الحقوق على أهلها، والمضي على منهاج نبيك، وارشاد الضال الى أنوار هدايتك<sup>(١)</sup>

### المحور الثاني: العدل المطلق في حياة علي عليه السلام.

لقد تربى الامام علي عليه السلام على يد المعلم الأكبر للانسانية ﷺ فتشربت روحه بتعاليم الاسلام واحكامه واخلاقه، وعزز تلك التربية انه عليه السلام عاش تجربة الاسلام مع رسول الله ﷺ وعاش العدالة المطلقة حينما كان ﷺ يمارسها في كل مرافق الحياة الاجتماعية والسياسية، فذاق حلاوة ذلك وعشق تلك التجربة وجسدها في كل مناحي حياته، فاصبح كرسول الله ﷺ في حرصه ودأبه وأمانته على تلك المبادئ. وتجلّى للجميع ان شخصاً بهذه المواصفات والسمات إن خلف رسول الله ﷺ في حكم الامة وادارة شؤونها كافة فسيسير على نفس السيرة وينهج ذات النهج فلا يفضل شريفاً على مشروف، ولا عربي على أعجمي، ولن يبذل بيت مال المسلمين على هذا وذاك ليصانعههم ويذل لهم لسلطانه، وانما سيسير بهم بما سار عليه رسول الله ﷺ.

ولم يكن اشراف القوم واعيانهم ليرغبوا بالعدل المطلق الذي عايشوه في حياتهم العملية زمن رسول الله ﷺ فكانت النفوس تتوق الى ساعة من الرخاء والاسترخاء بعيداً عن مرارة الحق وغصة العدل.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢٠ / ٢٩٨.

واذا كانت هذه الرؤية واضحة لعدد من الصحابة دون معظم الناس في زمن الرسول ﷺ، فقد تجلّت للجميع بعد ذلك في فترة خلافته، حيث تفرق الناس عنه مما اضطر مالك الاشتهر وحرصاً منه على الخلافة ان يقول له:

«وانت تأخذهم بالعدل وتعمل فيهم بالحق، وتنصف الوضع من الشريف، فليس للشريف عندك فضلٌ منزلة على الوضع، فضجت طائفة ممن معك من الحق إذ عُمُوا به، واغموا من العدل إذ صاروا فيه، ورأوا صنائع معاوية عند اهل الفناء والشرف، فتاقت انفس الناس الى الدنيا، وقلّ من ليس للدنيا بصاحب، واكثرهم يجتوي الحق ويشترى الباطل ويؤثر الدنيا، فان تبذل المال يا امير المؤمنين تمّل اليك اعناق الرجال، وتصف نصيحتهم لك»

فاجابه عليه السلام:

اما ما ذكرت من عملنا وسيرتنا فانّ الله عزوجل يقول ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ وأنا من أن أكون مقصراً فيما ذكرت أخوف.

واما ما ذكرت من ان الحق ثقلٌ عليهم ففارقونا فقد علم الله أنهم لم يفارقونا من جور، ولا لجأوا إلى عدل، ولم يلتمسوا الا دنيا زائلة عنهم كان قد فارقوها، وليسألن يوم القيامة ألدنيا أرادوا أم الله عملوا؟

واما ما ذكرت من بذل الاموال واصطناع الرجال فانه لا يسعنا أن نؤتي امراً من النية اكثر من حقه وقد قال الله سبحانه وتعالى وقوله الحق ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين﴾ وقد بعث الله محمداً ﷺ وحده، فكثّره بعد القلة، وأعزّفته بعد الذلة، وان يرد الله ان يولنا هذا الامر يذل لنا صعبه، ويسهل لنا حزنه..<sup>(١)</sup>

وهذا هو علي عليه السلام يقول لعبد الله بن جعفر ابن ابي طالب حينما طلب منه معونة

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٢ / ١٩٧.

أو نفقة يقول له: لا والله ما أجد لك شيئاً إلا أن تأمر عمك أن يسرق فيعطيك<sup>(١)</sup>  
وهو الذي يقول لاهل الكوفة:

يأهل الكوفة إذا أنا خرجت من عندكم بغير راحلتي ورحلي وغلامي فلان  
فانا خائن»<sup>(٢)</sup>

ويقول عليه السلام لأمرأة مسلمة عربية طلبت منه مالاً - وكان قد أعطى لأمرأة  
أعجمية نفس العطاء - قالت له: إني امرأة من العرب وهذه من العجم؟! محتجة على  
تساويهما في العطاء.

فقال: إني والله لا أجد لبني اسماعيل في هذا النية فضلاً على بني اسحاق<sup>(٣)</sup>  
ويقول عليه السلام لعلقة بن علقمة وكان رآه يأكل كسر خبز يابس مع لبن حامض  
فقال له: يا امير المؤمنين أأكل مثل هذا؟ فقال عليه السلام:

يا أبا الجنوب كان رسول الله يأكل أيبس من هذا ويلبس أخشن من هذا -  
وأشار الى ثيابه - فان لم آخذ بما اخذ به خفت ألا ألحق به<sup>(٤)</sup>

ويروي علي بن ابي سيف المدائني أن طائفة من اصحاب علي عليه السلام مشوا اليه  
فقالوا: يا امير المؤمنين أعط هذه الاموال وفضل هؤلاء الاشراف من العرب  
وقريش على الموالى والعجم، واستمل من تخاف خلافة من الناس وفراره - وانما  
قالوا له ذلك لما كان معاوية يصنع في المال -

فقال لهم: أتأمروني أن أطلب النصر بالجور، لا والله لا أفعل ما طلعت شمس  
وما لاح في السماء نجم، والله لو كان المال لي لواسيتُ بينهم، فكيف وانما هي  
أموالهم..<sup>(٥)</sup>

(١) المصدر السابق ص ٢٠٠.

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق

(٥) المصدر السابق ص ٢٠٣.



ان من الطبيعي لمن ينهج هذا النهج في تطبيق العدالة الاجتماعية المطلقة بحيث لا يرى لابناء اسماعيل على ابناء يعقوب ميزة، ولا يرى لعربي على اعجمي فضلاً، ولا للاشراف ميزة على غيرهم في العطاء ولا في غيره، ولا يرى كذلك للسابقين في الجهاد فضلاً على غيرهم من المسلمين يستوجب تمييزهم عن غيرهم في أمر العطاء، ان شخصاً يتمسك بهذه المبادئ بشكل مطلق من دون هوادة في مجتمع يتمسك بنفس القوة بالقيم الاجتماعية القائمة على اساس الطبقية والفوارق الاجتماعية والقومية والقبلية والتي عاشها فترة زمنية تفوق الفترة التي عاشها في ظل الاسلام والتي دعت بعض الصحابة الى اضافة شرط جديد لتولي علي عليه السلام للخلافة وهو ان يسير بسيرة الشيخين. ولا يعني هذا الشرط الا ان يقرّ بالفوارق الطبقية والتمييز المالي والاجتماعي بين المسلمين، مما دعاه الى رفض الاستخلاف بعد مقتل عمر بن الخطاب، وأصرّ على العمل بكتاب الله عز وجل وسنة وسيرة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فقط باعتبارهما مصدر التشريع الاسلامي وهي بطبيعتها ترفض كل ألوان التمييز. وهو الذي يقول:

«واني لعالم بما يصلحكم، ويقيم أودّكم ولكني لا ارى اصلاحكم بافساد ديني». ان شخصاً بهذا المستوى من الحرص على تطبيق الاحكام الأولية للاسلام لن يلقّ ترحيباً في مجتمع أحب الانفلات من حياة العدل المطلق الى حياة الامتيازات الطبقية والقومية والقبلية التي اعتادها قبل الاسلام، وسوف يجد في طريقه مئات العقبات والصعاب وما لا يحصى من المشاكل.

وهذا هو الذي حدث لعلي عليه السلام على امتداد مسيرته الطويلة مع الدعوة الاسلامية سواء في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو فيما بعد ذلك.

ولم يكن - بحسب النصوص السابقة - خافياً على علي عليه السلام هذا الأمر، فكان من اهم اهدافه بعد ان تولى الخلافة اصلاح هذا الواقع واعادته الى ما كان عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الأمر الذي حرّمه من تحقيق إنجازات كبيرة وحيوية

للاسلام على المستوى الجغرافي وهو ما يعبر عنه بالفتوحات الاسلامية، ودخل في صراعات عسكرية وسياسية لتغيير المجتمع وبناءه على اساس الاسلام وقيمه السامية.

### المحور الثالث: نظرة العداء والحقد

كما نلاحظ ان قطاعات كبيرة من المجتمع، كانت تنظر الى علي عليه السلام نظرة حقد وعداء، وتحمل له ضغائن في قلوبها، لانه على حد تعبيرهم (قاتل الاحبة) رغم ان السيف الذي قطع تلك الرؤوس، لم يكن يحمل لهم حقداً شخصياً، وانما كان اداة لواجب الجهاد في سبيل الله، ودفاعاً عن الاسلام، وتشبيهاً لاركانه، واعلاءً لكلمة الله تعالى، وان الذين قتلهم كانوا كفاراً عتاتاً، طالما وقفوا بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاربوه وآذوه، وحاربوا دعوته ورسالته.

وقد سجل التاريخ نماذج كثيرة للحالة الحاقدة أو المتوترة على علي عليه السلام، تعكس مدى ما كان القوم يحملون له في قلوبهم من بغض وكرهية، فمن ذلك ما رواه ابن ابي الحديد قال:

ان عثمان بن عفان وسعيد بن العاص حضرا عند عمر في ايام خلافته، فجلس سعيد بن العاص حجرة - اى ناحية - فنظر اليه عمر فقال:

ما لي اراك معرضاً كأني قتلت أباك! إني لم اقتله ولكنه قتله ابو حسن.  
وكان علي عليه السلام حاضراً فقال:

اللهم غفراً ذهب الشرك بما فيه، ومحا الاسلام ما قبله، فلماذا تهاج القلوب؟! فسكت عمر<sup>(١)</sup>

ومن خلال نظرة سريعة الى هذه الصفحة من تاريخه عليه السلام وتاريخ معارضيه، نجد ان التلة المتضررة تلة مهمة لها موقعها ووقعها في المجتمع. كما انها تمتلك خبرة

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١٤ / ١٤٤.

الممارسة السياسية وكيفية استعمال المفردات السياسية وتسخيرها بالنحو الذي يغير من المعادلات والموازن الشرعية، ولعل من اهم مصاديق هذا التيار معاوية بن ابي سفيان - داهية العرب - القادر على استعمال أي ورقة سياسية - بغض النظر عن مشروعيتهما - فقد قتل الامام علي عليه السلام حنظلة أخاه، والوليد بن عتبة وهو خاله و غيرهما من بني امية و عبد شمس.

يقول عنه ابن ابي الحديد:

وكان معاوية على أس الدهر - أي قدم الدهر - مبغضاً لعلي عليه السلام، شديد الانحراف عنه، وكيف لا يبغضه وقد قتل اخاه حنظلة يوم بدر و خاله الوليد بن عتبة، وشرك عمه في جده وهو عتبة، أو في عمه وهو شيبة على اختلاف الرواية، وقتل من بني عبد شمس نفراً كثيراً من اعيانهم وأماثلهم<sup>(١)</sup> و يروى كذلك انه:

اجتمع عند معاوية في بعض ليالي صفين عمرو بن العاص، وعتبة بن ابي سفيان، والوليد بن عتبة، ومروان بن الحكم، وعبد الله ابن عامر، وابن طلحة الطلحات الخزاعي فقال عتبة: ان امرنا وأمر علي بن ابي طالب لعجيب ما فينا الا موتور مجتاح، اما انا فقتل جدي عتبة بن ربيعة واخي حنظلة وشرك في دم عمي شيبة يوم بدر. واما انت يا وليد فقتل اباك صبراً. واما انت يا ابن عامر فصرع اباك يوم الجمل وايم اخوتك..<sup>(٢)</sup>

ويقول ابن ابي الحديد ايضاً:

«وقد عرفت ان اعظم غزاة غزاها رسول الله ﷺ واشدها نكاية في المشركين بدر الكبرى، قُتل فيها سبعون من المشركين، قتل علي نصفهم وقتل المسلمون والملائكة النصف الاخر. واذا رجعت الى مغازي محمد بن عمر الواقدي

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ / ٣٣٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٦ / ٣١٤.

وتاريخ الاشراف ليحيى بن جابر البلاذري وغيرهما علمت صحة ذلك، دع من قتله في غيرها كأحدٍ والخندق وغيرهما، وهذا الفصل لا معنى 'للاطناب فيه لانه من المعلومات الضرورية كالعلم بوجود مكة ومصر ونحوهما»<sup>(١)</sup>

ولا يعدم علي عليه السلام من يعاديه حتى في داخل البيت النبوي الشريف فقد مثلت ام المؤمنين عائشة نموذجاً آخر للخلاف معه، وما وقع بينهما اشهر من ان يذكر، لقد قتل علي عليه السلام ابناء عمها في بدر، ولم يمنعها من عدائه ما كانت تسمعه أو تراه من اهتمام النبي ﷺ به، وحب له، واستثناسه به، ومع ذلك لم تتمكن من تحجيم دوافعها النفسية، وبقيت ضده بالرغم من انها لم تجد منه موقفاً سلبياً تجاهها لا في حياة النبي ﷺ ولا بعد وفاته.

وقد استغلت المعارضة ما في قلب عائشة ضده من عدا، وما لعائشة من مكانة وهالة قدسية باعتبارها زوجة النبي ﷺ فجروها الى معارضة علنية انتهت الى مشاركتها في معركة الجمل، ومع ذلك لم تجد منه علياً الاً جميلاً بعد هزيمة الجيش الذي كانت تقود.

وخذ كذلك سعد بن ابي وقاص الذي يقول عنه ابن ابي الحديد: «فاما الرواية التي جاءت بان طلحة لم يكن حاضراً يوم الشورى، فان صحت فذو الضغن هو سعد بن ابي وقاص، لان أمه حمية بنت سفيان بن امية بن عبد شمس، والضعينة التي عنده علي عليه السلام من قبل اخواله الذين قتل صناديدهم وتقلد دماءهم»<sup>(٢)</sup>

ويتواصل الحقد ويتوارث ليصل الى ولده عمر بن سعد الذي قتل الحسين عليه السلام في واقعة الطف عام ٦١ هـ والحقيقة ان المجتمع آنذاك كان يضم عناصر نافذة ومتمرسة في السياسة شكلت

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ / ٢٤.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ / ١٩٠.

معارضة قوية للامام علي عليه السلام لم يكن من السهل تجاوزها بالاساليب الطبيعية المشروعة، فلم يكن امامه عليه السلام إلا أحد خيارين اما التمسك بالمبادئ والثبات عليها، واما ان ينهج ما يفعله السياسيون المنحرفون من المداينة والخداع والكذب. وهذا ما كانت تأباه روح علي عليه السلام كما سنرى بعد قليل.

#### المحور الرابع: التمسك بالمبادئ.

اثبت تاريخ علي عليه السلام بما لا يدع مجالاً للشك انه رجل المبادئ، المضحي من اجلها، المتمسك بها وان الاسلام هدفه الاكبر وغايته المقدسة، وان كل موقف يحقق له مكاسب قيادية أو مادية ويتعارض ولو جزءاً مع مبادئ الاسلام، والقيم التي تعلمها من الرسول ﷺ مرفوض مهما كانت مبرراته. ولم يسجل التاريخ انه داهن أو خادع أو استعمل الاساليب التي اعتادها السياسيون في تحقيق اهدافهم.

وهذه الحسنة التي لعلي عليه السلام كانت تُرعب كل الذين ارادوا تحويل الحكم الاسلامي الى سلطان شخصي أو مكسب مادي لانهم في ظل هذه الأجواء سوف لن يحصلوا على مواقع في الحياة السياسية الاسلامية تحقق لهم مكاسب شخصية فثلاً حينما جاء ابوسفيان لعلي وقد كان عليه السلام بأمس الحاجة الى النصير قال له بعد بيعة ابي بكر:

وَلَيْتُمْ عَلَىٰ هَذَا الْأَمْرَ أَذِلَّ بَيْتٍ فِي قَرِيشٍ، أَمَا وَاللَّهِ لَأَنْ شِئْتُ لَأَمْلَأَنَّهَا عَلَىٰ أَبِي فُضَيْلٍ خَيْلاً وَرَجُلًا - يعني علي ابي بكر-.

فقال عليه السلام: طالما غششت الاسلام وأهله فما ضررتهم شيئاً، لا حاجة لنا الى خيلك ورجلك<sup>(١)</sup>

لم يقبل الامام نصرة من لا يحمل في اعماقه مبادئ الاسلام وقيمه. ولا تحركه الا مصالحه وأطماعه المادية التي تسوقه حيث تشاء وكان المفروض على ضوء

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ / ٤٥.

المنطق السياسي المادي ان يجمع كل القوى المضادة أو المصلحية في تكتل كمي وكيفي ليتجاوز به المرحلة الصعبة.

ولكنه عليه السلام أبى ان يفعل ذلك، لأن هدفه لم يكن الخلافة وانما المبادئ التي هي هدف الخلافة الحقيقية؟ وابو سفيان - على هذا الضوء - لا موقع له فيها. ولم يطل الوقت على ابي سفيان حتى غير موقفه، وتحول الى جانب ابي بكر من نفس المنطق المصلحي بعد ان أشار عمر بن الخطاب على الخليفة الاول بان يهب اموال الزكاة لابي سفيان كسباً لمودته ودفعاً لشهره، فرضي ابو سفيان فمال الى جانب ابي بكر. (١)  
وابو سفيان هو الذي يقول لعثمان: بأبي انت أنفق ولا تكن كأبي حجر، وتداولوها يا بني امية تداول الولدان الكرّة، فوالله ما من جنة ولا نار.. (٢)

ومن الحقائق التي تصبّ في هذا المجال وتؤكد على ان رجل المبادئ المؤمن بها لا يقع تحت تأثير المبررات والعناوين الثانوية على حساب المبادئ مهما كانت النتائج مؤثرة ما ذكر من انه لما بُوع بالخلافة واصبح حاكماً وخليفة على المسلمين واجهته مشكلة بقاء أو عزل معاوية بن ابي سفيان.

ولم تكن المهمة سهلة يسيرة، ولن تمر عملية العزل دون مشاكل وصعاب، وذلك لأن معاوية استغل الفرصة منذ ان توفي النبي ﷺ وحتى يوم مبايعة الامام علي عليه السلام لتكريس نفوذه الشخصي ككيان مستقل عن الخلافة الاسلامية، واعتبر نفسه - عملياً - مصدراً تشريعياً وفكرياً ومرجعاً قيادياً للأمة، وسخر لتحقيق ذلك كل وسائل التبليغ والدعاية، وجعل بيت مال المسلمين في خدمة هذا الغرض بعد ان وليّ الشام، وسلك معاوية - كما ينص التاريخ - سياسية: المال حين يكون المال اداة لكسب الولاء والطاعة، والقوة حين يتطلب الامر القوة، والدين والقيم حين تقتضي الظروف ذلك.

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٢/ ٤٤.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٢/ ٤٥.

أضف الى ذلك ما كان يتمتع به معاوية من دهاء وقدرة سياسية، وانفلات في رؤيته العقائدية للاسلام ونبوة الرسول ﷺ التي كان يراها لباقة شخصية، وذكاء اتاح له ﷺ ان يحكم الجزيرة العربية، ويصبح ملكاً عليها، ولا علاقة لذلك بوحى ولا سماء. فهو بنظر الى الاشياء بنفس المحتوى المادي الكامن في اعماقه وتشكلت منه شخصيته الحقيقية، ويفسرها كذلك بنفس التفسير المادي المركوز في اعماقه.

ومن الناحية الاخرى كان الامام علي عليه السلام عند وصوله الى الخلافة بحاجة الى الاستقرار السياسي الذي يحقق له القدرة على ممارسة دوره بشكل يحكم بين اهل التوراة بتوراتهم وبين اهل الانجيل بانجيلهم، وبين اهل اقرآن بقرآنهم، فكيف يمكن ان يتم ذلك وقد ورث علي عليه السلام مشاكل معقدة كان من أهمها واطورها الوجودات الملحدة، المؤمنة بالاسلام ظاهراً المنكرة له واقعاً، هل يمكن بهولاء ان يحقق الهدف الاسلامي الكبير بتطبيق حكم الله عزوجل كما يريد، ام لابد من عزلهم وتطهير التشكيل القيادي الاسلامي منهم! ولعلاج هذه المشكلة لم تكن الخيارات لديه كثيرة، فهو اما ان يقبل بالامر الواقع، هذا الامر الذي كان يقتضي ان يبقى كل شيء على ما كان ريثما تُتاح الفرصة المناسبة لعملية التغيير، وهو ما كان اصحاب علي عليه السلام يرونه صحيحاً من زاوية حرصهم على الاسلام وحبهم لعلي عليه السلام فقد جاء في الكامل لابن الاثير:

وقال ابن عباس: اتيت علياً بعد قتل عثمان عند عودي من مكة فوجدت المغيرة بن شعبة مستخلياً به فخرج من عنده فقلت له:  
ماذا قال لك هذا؟

فقال: قال لي قبل مرّته هذه «إن لك حق الطاعة والنصيحة، وانت بقية الناس، وان الرأي تحرز به ما في غد، وان الضياع اليوم يضيع به ما في غد، أقرر معاوية وابن عامر وعمال عثمان على اعمالهم حتى تاتيكم بيعتهم ويسكن الناس، ثم اعزل من

شئت) فأبيت عليه ذلك وقلت: لا أداهنُ في ديني، ولا اعطي في الدنية أمري. قال: -  
يعني المغيرة بن شعبة - فان كنت أبيت عليَّ فانزع من شئت واترك معاوية فان في  
معاوية جرأة وهو في اهل الشام يُستمع منه ولك حجة في اثباته كان عمر بن  
الخطاب قد ولاه الشام. فقلت: لا والله لا استعمل معاوية يومين»<sup>(١)</sup>

واما الخيار الاخر فهو القيام بعزل معاوية بن ابي سفيان مع تحمّل كافة النتائج  
السلبية التي ستترتب عليه والتي من اهمها التضحية بالاستقرار السياسي الذي كان  
علي عليه السلام بأمرس الحاجة اليه.

ولم يتردد سلام الله عليه في اتخاذ قرار العزل فقد ارسل كتاب العزل مع سبرة  
الجهني فسلمه الكتاب فلم يزد معاوية على قوله:

أدم إدامة حصني أو خذا بيدي حرباً ضروساً تشبُّ الجزل والضرما  
في جاركم وابنكم اذ كان مَقْتَلُهُ شنعاء شبيت الاصداع واللحما  
أعيا المسودُّ بها والسيدون فلم يوجد لنا غيرنا مولى ولا حكما

حتى اذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر دعى معاوية رجلاً من بني  
عبس يدعى قبيصة فدفع اليه طوماراً مختوماً عنوانه - من معاوية الى علي - وقال له  
اذا دخلت المدينة - الى ان قال - فقال للرسول: ما وراءك؟ قال: آمن انا؟ قال: نعم  
ان الرسول لا يقتل.

قال: ورأيي اني تركت قوماً لا يرضون الآ بالقود.

قال: بمن؟

قال: من خيط رقبتك..»<sup>(٢)</sup>

وهكذا تسببت السياسية المبدئية الحازمة لعلي عليه السلام لتطهير الخلافة الاسلامية  
ومصدر القرار من هذه العناصر في خلق معارضة من السياسيين المتمرسين لم يكن

(١) الكامل لابن الاثير ج ٣/ ٨٦.

(٢) الكامل في التاريخ ج ٣/ ٩٣.



من السهل تجاوزهم من دون دفع ثمن باهظ. وهو ما حدث له عليه السلام بعد ان تولى الخلافة إثر مقتل عثمان بن عفان حيث توالى عليه الفتن من كل جانب وصوب. ولم يكن عليه السلام غافلاً عن كل تلك المشاكل بل كانت رؤيته واسعة الافق، مستوعبة لكل تفاصيل الحالة المستقبلية لما يمكن ان يقع له، ليس فقط من خلال المنظور الغيبي الذي اخبره به النبي ﷺ وانما ايضا من خلال تقييمه للواقع وعلمه بكل تفاصيله، ومعرفته بسنن التاريخ وقوانينه.

ففي اطار الرؤية الغيبية لما سيقع له بعد وفاة النبي ﷺ يقول عليه السلام:  
(إن مما عهد إلي النبي ﷺ أن الأمة ستغدر بي بعده) <sup>(١)</sup>  
ويقول أيضاً:

(قال لي رسول الله ﷺ ان الأمة ستغدر بك بعدي، وانت تعيش على ملتي وتقتل على سنتي، من احبك أحبني، ومن ابغضك ابغضني، وان هذه ستخضب من هذا - يعني لحيته من رأسه -) <sup>(٢)</sup>

وجاء في كنز العمال عن علي عليه السلام ان النبي ﷺ اجهش بالبكاء يوماً فقال له علي عليه السلام: يا رسول الله ما يبكيك؟ قال: ضغائن في صدور اقوام لا يُبدنوها لك الا من بعدي. قلت: يا رسول الله في سلامة من ديني؟ قال: في سلامة من دينك <sup>(٣)</sup> وهذا يجعلنا نجزم ان كل الاسباب التي ذكرناها كمشاكل واجهت علي عليه السلام منذ بداية خلافته كانت في روحها سابقة على مرحلة ما بعد الاستخلاف المباشر للنبي ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يعلم ذلك واخبر علياً به كما هو واضح من الكثير من النصوص التي سبق ذكرها. وهذا الامر جعل النبي ﷺ يحتاط في اتخاذ كل ما يمكن من اساليب ووسائل لتكريس مفهوم استخلاف علي عليه السلام من بعده.

(١) مستدرك الصحيحين ج ٣ / ١٤٠

(٢) مستدرك الصحيحين ج ٣ / ١٤٢

(٣) كنز العمال ج ٦ / ٤٠٨

ومن هذا المنطلق جاءت خطوات الرسول ﷺ لتتخذ شكلاً متميزاً في إطار الاستخلاف المباشر له وذلك بتهيئة الزهراء عليها السلام لتقود المسيرة السياسية في مهمة واضحة تتمثل أولاً: بالتأكيد على أن علياً هو الخليفة الشرعي للرسول ﷺ، وثانياً: أن كل كيان سياسي، أو خيار قيادي حتى لو كان منتخباً من قبل الأمة - أن كان وقع انتخاب - يتجاوز علياً عليها السلام إلى غيره يُعتبر غير شرعي. وهذا ما سوف نلمسه في كلمات الزهراء وخطاباتها بعد وفاة النبي ﷺ.

## الفصل الرابع

### مرحلة المواجهة

- \* لماذا فاطمة..
- \* الزهراء الدليل الحسي على الخليفة والخلافة..
- \* أداء الامانة..
- \* حجة الله بعد أبيها..
- \* الدعوة للوقوف الى جانب علي عليه السلام..
- \* عدم أهلية الحاكم والحكومة..
- \* الاحتجاب الساخط..
- \* نتيجة البحث..



## لماذا فاطمة؟

وقد يطرح هذا السؤال نفسه: لماذا اختار الرسول ﷺ ابنته فاطمة عليها السلام هذه المهمة؟

والحقيقة أنّ هناك أكثر من مبرر لهذا الاختيار، وأكثر من سبب يدعو لذلك، وسنقتصر على بعضها:

١- كون الزهراء عليها السلام بنتاً لرسول الله ﷺ ووريثته وذكره وامتداده في الحياة، وشبهته في خلقه وخلقه، وما توفر في شخصيتها من سمات أبيها وما كان يحمله ﷺ من خصائص انفرد بها عن الخلق أجمعين. هذه الخاصية اكتسبتها زحماً عاطفياً كبيراً. وكان المفروض أن يتيح لها ذلك تأثيراً فعالاً على شرائع كبيرة من المجتمع، يهيئهم روحياً ونفسياً لتقبل ما تقوله الزهراء عن مستقبل الدعوة الإسلامية بعد وفاة النبي ﷺ وما كان قد خطط للخليفة المقبل.

وعلى صعيد الواقع حينما تبنت الزهراء عليها السلام الدفاع عن حق علي عليه السلام في الخلافة، فخرجت إلى المسجد، وخاطبت المسلمين بما هو معروف تاريخياً - وسنذكر بعضه فيما بعد - أحدثت هزة عنيفة في نفوسهم مما دعى الخليفة الثاني لاستعمال اللين والعاطفة في تعامله معها في بداية الأمر، والشدة والخشونة بعد أن أصبح تأثيرها غير متحمّل، وهددت حركتها الوضع السياسي القائم بعد أن أو شك الانصار على

الثورة ضد الخليفة إثر خطاب لها في مسجد النبي ﷺ وسياتي توضيح ذلك.

٢- ان الزهراء عليها السلام تمثل القدر المتيقن المتفق على قبوله في كل اوساط الامة كأظهر وانق واثق من يعرف المجتمع المدني من النساء والرجال، فهي سيدة نساء الدنيا والاخرة، فهل يرقى اليها الريب، أو تشوب دعواها الشكوك، وهي التي طالما تحدث عنها المصطفى ﷺ من على منبره، أو في مسجده، أو بين اصحابه. وهل يعقل ان لا تكون كذلك وهي التي قرن الله عزوجل رضاه برضاها وسخطه بسخطها، واذا كانت السياسة قد حولت حسنات علي عليه السلام الى سيئات، ومواقفه الكريمة في خدمة الاسلام وتضحياته الجبارة في سبيل ذلك الى تبعات، يجب ان يدفع ثمنها بمجرد موت النبي ﷺ، فان ما كان يؤاخذ به علي عليه السلام لا يرد على الزهراء عليها السلام، ولا يمكن لمعارض علي عليه السلام وصفها بكل ما عوقب عليه علي عليه السلام، ولم نجد للسلطة من حجة عليها في كل فصول معارضتها لابي بكر وعمر سوى قول بعضهم بانها زوجة علي عليه السلام، فهي تجر النار الى قرصها، وما سوى ذلك فان المعارضة وجمت وعجزت عن المساس بصحة موقف الزهراء، أو التشكيل بمصداقيتها.

٣- الشجاعة الفريدة التي اتسمت بها والتي اتاحت لها ان تقف بوجه الخلافة موقفاً حازماً، بل في أعلى مراتب الحزم، في حين لم يفعل ذلك الكثير ممن كان الى جانب علي عليه السلام أو من كان غير مقتنع بما وقع من استخلاف بعد النبي. ولو لاحظنا حركة المسيرة الفاطمية بعد النبي ﷺ لتجلى لنا ذلك بوضوح.

ومن المؤكد ان النبي ﷺ كان يعرف سجايا الزهراء والتي منها الشجاعة، التي كانت مهمة الاستخلاف بحاجة كبيرة لها. وما يؤكد هذا الموضوع الحقائق التاريخية الكثيرة التي اعطت صورة عن الاجواء الأمنية والسياسية التي سبقت او أعقبت بيعه الخليفة الثاني، والتي تؤكد ان العنف كان هو المنطق السائد، مما أدى الى امتناع الكثيرين من اتخاذ مواقف تناسب الحدث وخطورته.

٤- احاطة الزهراء الكاملة بموضوع الاستخلاف من جانبين، الجانب الاول اهمية ان يكون علي عليه السلام هو الخليفة المباشر بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والتاثير الايجابي لذلك علي مستقبل الاسلام، وانه السبيل الوحيد لضمان سلامة المسيرة الاسلامية تشريعياً وفكرياً وسياسياً. والجانب الثاني خطورة الاوضاع التي ستنتج بسبب إبعاده عن الخلافة، وتأثيرها علي مسيرة الاسلام وحركته في الحياة. ونحن لانشك ان الزهراء عليها السلام قد واكبت حركة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم في مهمة الاعداد لاستخلاف علي عليه السلام مواكبة تفصيلية، وتعرفت علي أهمية الموضوع وخطورته، فكان من الطبيعي ان تتبنى هذا الموضوع وتدافع عنه دفاع العارف باهميته، المدرك لضرورته.

وعلي هذا الاساس يكون اختيار فاطمة عليها السلام امرأ طبيعياً، بل يمكن ان نقول ان اختيارها لهذا الدور تفرضه اكثر من ضرورة. وسنرى فيما بعد انها هي التي استطاعت ان تحدّد معالم الطريق الحق بالنسبة لموضوع الاستخلاف بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

### الزهراء الدليل الحسي علي شرعية الخليفة والخلافة

من خلال جميع ما تقدم نصل الى حقيقة تقول: ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد نصّ علي تنصيب علي عليه السلام من بعده، وهى كل أسباب تمكينه من ذلك سواء من ناحية بناء شخصيته القيادية وما تستلزمه من علم ومعرفة وخبرة، أو من ناحية تمهيد الارضية المناسبة لتمكينه من ممارسة دوره القيادي.

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يعلم ان النص الشرعي، أو ما يسمى بـ (الدليل اللفظي) يمكن بسهولة تجاوزه أو تحديه بمختلف المبررات، لان قضية الحكم والخلافة بما فيها من اغراءات مادية ومعنوية، أو علي احسن التقادير بدوافع صالحة ولكنها غير صحيحة لتجاوز الدليل اللفظي، كالحرص علي وحدة الامة، وعدم تفرقها وامثال ذلك، هذه الامور تفرض اتخاذ وسائل اكثر فاعلية علي تكريس واقع النص

وتحويله الى ما يشبه المعلم المادي الذي لا يمكن ان يُبدّد محتواه بالمبررات التي تواجه الدليل اللفظي، ومن هنا جاء التأكيد على الزهراء عليها السلام لتأخذ طابعاً متميزاً من خلال النصوص التي قرّن الله رضاه برضاها وسخطه بسخطها، لتكون هي الدليل والمعلم على مشروعية الحاكم والحكم، فوقفها وقولها لا يقبل التبرير والتأويل بأي شكل من الاشكال لانها في وضعية المباشر لما يجب ان يكون، فاما ان يقبل اولياء الامر قولها بان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اوصى بالخلافة لعلي عليه السلام، ويدعنوا بذلك، وهو ما كان يتوخاه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واما ان يكذبوا الزهراء عليها السلام بأي نحو من الانحاء فتسخط عليهم، ومعنى سخطها ان الله عزوجل هو الذي سخط عليهم، فكيف يُقيم شرع الله من سخط الله عليه؟ وكيف يؤتمن على دين الله ومعالم شريعته من غضب الله عليه؟ وهل الدين إلا الطاعة الخالصة له سبحانه وتعالى؟ ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾<sup>(١)</sup> فهل يمكن - على ضوء ذلك - ان نعتبر الحكم حكماً شرعياً صالحاً، والحاكم خليفة الله في ارضه وولياً للمسلمين له حق الطاعة عليهم ورب العالمين عليه ساخط؟.

ولا نستغرب هذا اللون من الاستدلال بعد ان نصّ عليه القرآن، بل هو من صميم المنهج القرآني في تأكيد المبادئ والقيم، ومدى تفاعل الامم معها، وفي النهاية تمييز الخط الصحيح من الخط المنحرف.

ولعل من ابرز تطبيقات هذا المنهج ما ذكره عزوجل من قصة طالوت قال سبحانه:

﴿فلما فصل طالوت بالجنود قال إنّ الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشرّبوا منه إلا قليلاً منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين



يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ﴿١﴾

وخلاصة القصة ما ذكره القرطبي في تفسيره قال: قال وهب بن منبه: فلما فصل طالوت قالوا له ان المياه لا تحملنا فادع الله ان يجري لنا نهراً، فقال لهم طالوت: ان الله مبتليكم بنهر، وكان عدد الجنود - في قول السدي - ثمانين ألفاً. وقال وهب: لم يتخلف عنه إلا ذو عذر من صغر أو كبر أو مرض.

ومعنى هذا الابتلاء أنه اختبار لهم، فمن ظهرت طاعته في ترك الماء عُلِمَ أنه مطيع فيما عدا ذلك، ومن غلبته شهوته في الماء وعصى الامر فهو في العصيان في الشدائد أحرى، فروي انهم أتوا النهر وقد نالهم عطش وهو في غاية العذوبة والحسن، فلذلك رُخِّص للمطيعين في العَرَفَة ليرتفع عنهم أذى العطش بعض الارتفاع وليكسروا نزاع النفس في هذه الحال. وبين أن العرفَة كافّة ضرر العطش عند الحزْمَة الصابرين على شطف العيش اللذين همهم في غير الرفاهية... وانما وقع هذا الابتلاء ليطمئن الصادق من الكاذب... ﴿٢﴾

فما معنى ان يُجعل المؤشر الحقيقي للايمان غرفة من ماء، أليس هو مؤشر مادي حسي لمعرفة المؤمن من غيره، أو المطيع من العاصي فما المانع من ان تكون الزهراء بنت رسول الله التي يرضى الله لرضاها ويسخط لسخطها المؤشر الحسي الحقيقي لكون المسيرة السياسية بعد ابيها تسير في الاتجاه الصحيح أو الضال؟.

وتطبيق آخر للمنهج في قوله تعالى:

﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين﴾. ﴿٣﴾

(١) سورة البقرة / ٢٤٩.

(٢) تفسير القرطبي ج ٣ / ٢٥٠.

(٣) سورة البقرة / ٥٨.

في هذه القضية جعل الله عز وجل دخول الباب، مع قول (حطة) - أي اللهم حط عنا الذنوب واغفرها - المؤشر الحقيقي للايمان. قال القرطبي في تفسيره: قلت يحتمل أن يكونوا تعبدوا بهذا اللفظ بعينه، وهو الظاهر من الحديث. روى مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة يغفر لكم خطاياكم فدخلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا حبة في شعرة...

وقال: وكان قصدهم خلاف ما أمرهم الله به فعصوا وتردوا واستهزءوا، فعاقبهم الله بالرجز وهو العذاب..<sup>(١)</sup>

والباب الذي أمروا بدخوله كما قال القرطبي: هو باب في بيت المقدس يعرف اليوم بـ (باب حطة) أو باب القبة التي كان يصلي اليها موسى وبنو إسرائيل.

وروي عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت النبي ﷺ يقول: انما مثل اهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، وانما مثل اهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر الله له<sup>(٢)</sup>

وكذلك قوله ﷺ فيما أخرجه الدارقطني عن ابن عباس قال ﷺ علي بن ابي طالب باب حطة من دخل منه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً<sup>(٣)</sup>

وينطبق على ما نحن فيه ايضاً التمثيل بسفينة نوح ﷺ التي ركبها المؤمنون وأبى ذلك الكافرون فكانت هي المقياس أو المؤشر على صحة الطريق وسلامة المسير. وبعد ذلك نقول هل يعني دخول (باب) غير اعتباره الدليل الحسي على الايمان والاذعان، فلماذا لا يكون رضا حبيبة المصطفى ﷺ هو المؤشر الحقيقي الصادق على وجهة الخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ هل تسير في الاتجاه الصحيح أولاً خاصة

(١) تفسير القرطبي ج ١ / ٤١١ ؟

(٢) مجمع الميمني ج ٩ / ١٦٧.

(٣) الجامع الصغير للسيوطي ج ٢ / ٥٦ ط اليمنية بمصر، والصواعق المحرقة ص ٧٥ ط اليمنية بمصر.

وانّ الزهراء في قيمتها الدينية ومكانتها عند الله عز وجل وعند رسوله ﷺ اعظم خطراً واكبر شأناً من باب أو نهر أو سفينة، وكيف لا وهي بضعة المصطفى وروحه التي بين جنبيه، وشجته من النبوة فهي الدليل الحى، والحق الذي يمشي ويتكلم بلسان النبوة وعقبها، ذخرها أبوها لتكمل مسيرة الاسلام من بعده، فحملت بامانة مهمة من اصعب المهام، والتي تمثلت بتثبيت خط الامامة وارساء قواعدها.

### أداء الامانة

مرض النبي ﷺ في صفر من سنة إحدى عشرة من الهجرة، وكان قد أمر بتجهيز جيش اسامه بن زيد الى البلقاء في الاردن، واهتم بتسيير الجيش ولعن من تخلف عنه، على التفصيل المذكور في كتب الحديث والسيرة.

وكان ﷺ قد تنبأ بما سيقع بعد وفاته فذهب الى البقيع فقال:

السلام عليكم يا اهل القبور، ليهنكم ما أصبحت فيه مما اصبح الناس فيه، اقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع اولها آخرها.

ثم قال لاصحابه: «إنّ جبريل كان يعارضني القرآن في كل عام مرّة، وقد عارضني به العام مرتين، فلا اراه الاّ لحضور أجلي»<sup>(١)</sup>

فلما اشتد به المرض طلب ان يقربوا له دواة وكتف، ليكتب لهم كتاباً لن يظلو بعده ابداً. فاراد ﷺ ان يحسم أمر الخلافة كما اشار الى ذلك عمر بن الخطاب فاختلف الصحابة وتباينوا في طاعته، وقد تقدم تفاصيل بعض ذلك فيما سبق.

ومرت الايام ثقيلة كئيبة على اهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، فما هي الاّ ايام قليلة حتى التحق اكرم رسول الله في الارض بالرفيق الاعلى، بعد ان جاهد في الله حق جهاده، وانقذ الامة من شفا جرف هار، فجعلها خير امة اخرجت للناس. وجاءت الساعة الأليمة ليختار الرسول ﷺ لقاء ربه وجوار رحمته. ويصف

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١٠ / ١٨٣.

لنا امير المؤمنين عليه السلام تلك اللحظات فيقول:

«ولقد قبض رسول الله ﷺ وإن رأسه لعلى صدري وقد سالت نفسه في كفي، فأمررتها على وجهي ولقد وُلّيتُ غُسله ﷺ والملائكة أعواني، فضجت الدار والافنية، ملاءٌ يهبط وملاٌ يعرج، وما فارقت سمعي هينمة منهم، يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه، فمن ذا أحقُّ به مني حياً وميتاً»

ثم قام صلوات الله عليه بتأيينه بابلغ ما يكون من الوصف والثناء والتبجيل فقال:

«بابي انت وامي، طبت حياً وطبت ميتاً، انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد ممن سواك من النبوة والأنباء.

ولولا أنك أمرت بالصبر، ونهيت عن الجزع لانفذنا عليك ماء الشؤون، ولكان الداء ممطلاً، والكمد محالفاً وقللاً لك، ولكنه ما لا يملك ردة ولا يستطيع دفعه. بابي أنت وأمي أذكرنا عند ربك، واجعلنا من بالك»<sup>(١)</sup>

وقبل ان يدفن النبي ﷺ انقسم الصحابة الى قسمين: القسم الاول كان مع علي عليه السلام، وهم القلة الذين واسوه في مصابه، وشاركوه في تجهيز نبيهم ﷺ. والقسم الثاني: ذهبوا الى سقيفة بني ساعدة ليختاروا الخليفة الذي سيتولى الامر بعده ﷺ على التفصيل المذكور والمعروف في كتب الرواية والتاريخ، والذي لاحاجة الى ذكره هنا بتفاصيله وانما سنذكر فقط ما تمس الحاجة اليه توخياً للاختصار.

وخلاصة ما وقع على ما يروي ابن ابي الحديد عن البراء بن عازب قال: لم أزل لبني هاشم محباً، فلما قبض رسول الله ﷺ خفت ان تتألاً قريش على اخراج هذا الامر عنهم، فأخذني ما يأخذ الواله العجول، مع ما في نفسي من الحزن لوفاة رسول الله ﷺ، فكنت اتردد الى بني هاشم وهم عند النبي ﷺ في

(١) نهج البلاغة الخطبة رقم ٢٣٥.

الحجرة، واتفقد وجوه قريش، فاني كذلك إذ فقدت أبا بكر وعمر، واذا قائل يقول: ان القوم في سقيفة بني ساعدة. واذا قائل آخر يقول: قد بُوع ابو بكر. فلم البث واذا أنا بأبي بكر قد أقبل معه عمر وابو عبيدة وجماعة من اصحاب السقيفة، وهم محتجزون بالآزر الصناعية لايمرون بأحدٍ إلاّ خطبوه وقدموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه، شاء ذلك أو أبي. فانكرت عقلي وخرجت أشدد حتى انتهيت الى بني هاشم، والباب مغلق، فضربت عليهم الباب ضرباً عنيفاً وقلت: قد بايع الناس لأبي بكر بن ابي قحافة. فقال العباس: تَرَبَّتْ أيديكم الى آخر الدهر، اما إني قد أمرتكم فعصيتُموني.

فكثت اكابد ما في نفسي، ورأيت في الليل المقداد وسلمان وأبازر وعبادة بن الصامت و ابا الهيثم بن التيهان وحذيفة وعماراً وهم يريدون أن يعيدوا الامر شورى بين المهاجرين.

وبلغ ذلك ابا بكر وعمر فارسلا الى ابي عبيدة والى المغيرة بن شعبة، فسألاهما عن الرأي، فقال المغيرة: الرأي ان تلقوا العباس فتجعلوا له ولولده في هذه الأمرة نصيباً. ليقطعوا بذلك ناحية علي بن ابي طالب.

فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة حتى دخلوا على العباس، وذلك في الليلة الثانية من وفاة رسول الله ﷺ فحمد ابو بكر الله واثني عليه وقال:

ان الله ابتعث لكم محمداً ﷺ نبياً، وللمؤمنين ولياً، فَنَ الله عليهم بكونه بين ظهرانيهم، حتى اختار له ما عنده، فخلّى على الناس امورهم ليختاروا لانفسهم متفقين غير مختلفين، فاختروني عليهم ولياً، ولا مورههم راعياً فتوليت ذلك، وما أخاف بعون الله وتسديده وهناً ولا حيرة ولا جبناً، وما توفيقى إلاّ بالله عليه توكلت واليه أنيب، وما انفك يبلغني عن طاعن يقول بخلاف قول عامة المسلمين، يتخذكم لجأ فتكونوا حصنه المنيع، وخطبه البديع، فاما دخلتم فيما دخل فيه الناس، أو صرفتموهم عما مالوا اليه، فقد جئناك ونحن نريد ان نجعل لك في هذا الامر نصيباً

ولمن بعدك من عقبك إذ كنت عمّ رسول الله ﷺ وان كان المسلمون قد رأوا مكانك من رسول الله ﷺ ومكان أهلك، ثم عدلوا بهذا الأمر عنكم، وعلى رسلكم بني هاشم فان رسول الله ﷺ منا ومنكم.

فاعترض كلامه عمر، وخرج الى مذبذبة في الخشونة والوعيد وإتيان الأمر من أصعب جهاته فقال:

أي والله، واخرئى إنا لم نأتكم حاجة إليكم، ولكن كرهنا أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم فيتفاقم الخطب بكم وبهم فانظروا لانفسكم ولعامتهم. ثم سكت.

فتكلم العباس فحمد الله واثني عليه ثم قال: ان الله ابتعث محمداً نبياً كما وصفت، وولياً للمؤمنين فنّ الله به على امته حتى اختار له ما عنده، فخلّى الناس على أمرهم ليختاروا لأنفسهم، مصيبين للحق مائلين عن زيغ الهوى، فان كنت برسول الله طلبت فحقنا أخذت، وان كنت بالمؤمنين فنحن منهم، ما تقدمنا في أمركم فرطاً، ولا حللنا وسطاً، ولا نزعنا شطجاً، فان كان هذا الامر يجب لك بالمؤمنين، فما وجب إذ كنا كارهين وما أبعد قولك إنهم طعنوا من قولك أنهم مالوا إليك، واما ما بذلت لنا فان يكن حقك اعطيتناه فامسكه عليك، وان يكن حق المؤمنين لك بيعضه دون بعض، وان يكن حقنا لم نرض لك بيعضه دون بعض. وما اقول هذا أروم صرفك عما دخلت فيه، ولكن للحجة نصيبها من البيان واما قولك: ان رسول الله ﷺ منا ومنكم، فان رسول الله ﷺ من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها. واما قولك يا عمر انك تخاف الناس علينا، فهذا الذي قدمتموه أول ذلك وبالله المستعان<sup>(١)</sup>

وعلى كل حال فقد افرزت احداث الساعات القليلة التي تلت وفاة رسول الله ﷺ البيعة لابي بكر، وابعاد علي عليه السلام عن الخلافة والحكم، وعن حقه الشرعي في اكمال المسيرة النبوية المقدسة بعد رسول الله ﷺ.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١/ ٢١٩.

ولم تكن الخيارات كثيرة امامه، فهو اما ان يترك جثمان الرسول ﷺ مسجاً من دون ان يقوم بما يجب من تغسيل وتكفين، وما يليق برسول الله ﷺ من احترام وتقديس، ويدخل معترك الصراع السياسي في أمر الخلافة والحكم. واما ان يستعمل القوة والعنف واراقة الدماء، وحينئذ ماذا ستكون النتيجة؟ ستكون معركة غير متكافئة اولاً، وصدمة للتجربة الاسلامية الجديدة التي يهددها ما لا يحصى من الاخطار.

وقد تجنب ﷺ كل ذلك لانه يتناقض ويتنافى مع المبادئ التي آمن بها صغيراً، ونشأ عليها وعاشها كبيراً، فهل يسمح ايمان علي وقلبه بترك رسول رب العالمين مسجى ليذهب وراء الخلافة والحكم؟ وهل علي ﷺ إلا هذه القيم والمبادئ؟ يقول ﷺ:

(أكنت اترك رسول الله ميتاً في بيته لا اجهزه واخرج الى الناس أنازعهم سلطاناً) (١)

ثم هل من المعقول ان يلجأ الى القوة والاكراه والعنف والشدة، وهو يعلم ان اول مقومات الخلافة الرشيدة هو ايمان الامة بها، ايماناً حقيقياً يؤهلها لممارسة دورها باخلاص وتفاني، لانها أمة تحمل اعظم رسالة للانسانية كلها، فهل يمكن لامة مقهورة فارغة تماماً من المحتوى الاسلامي ان تحكم نفسها أو تحكم العالم بغير القهر والرعب والخوف يقول ﷺ: «واني لعالم بما يصلحكم، ويقيم أودكم، ولكني والله لا ارى إصلاحكم بافساد نفسي» (٢) ويقول كذلك:

(لقد علمتم اني احق الناس بها من غيري ووالله لأسلمن ما سلمت امور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا علي خاصة التماساً لاجر ذلك وفضله وزهداً فيما تنافسوه من زخرفه وزبرجه)

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٣/٦.

(٢) نهج البلاغة الخطبة رقم ٦٨.

وهل يمكن لعلي عليه السلام ان يساوم على حساب دينه وقيمه، وعلى حساب بيت مال المسلمين وحقوقهم السياسية والاجتماعية، فيتقاسم النفوذ والحكم فيعطي هذا ولاية ليرضى، ويهب لذاك ثغراً ليسكت، ويفرغ بيت المال في جيوب أصحاب النفوذ واللسان ليكونوا معه في سبيل تحقيق مكاسب شخصية زائلة، وهو الذي يقول لعبد الله بن عباس وكان عليه السلام يخصف نعله ما قيمة هذا النعل؟ فقال له: لاقيمة لها، فقال عليه السلام والله هي أحبُّ إليَّ من إمرتكم، إلا ان أقيم حقاً، أو أدفع باطلاً.

اجل ليس بوسع علي عليه السلام ان يفعل ذلك، ولو أراد ان يفعل لقدر، فكل من يعرف علي عليه السلام وتاريخه يدرك انه لو اراد ان يستعمل القوة الشخصية الفردية لاطاح بكل المستبطلين الذين انتزعوا الخلافة منه، اليس هو الذي يقول: والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها، ولو امكنت الفرص من رقاها لسارعت اليها ويقول: إني والله لو لقيتهم واحداً وهم طلاعُ الارض كُلِّها ما باليتُ ولا استوحشت<sup>(١)</sup> فن يرقى الى شجاعة علي عليه السلام قاتلِ الابطال والشجعان، وكاشف الكرب عن رسول الله ﷺ، ورجل المواقف الصعبة، وكل هؤلاء الصحابة خبروا علياً في بدر وأحدٍ والاحزاب، وكل المعارك التي خاضها الرسول ﷺ والى جانبه علي عليه السلام، وكلها تشهد ان المواقف الفردية لعلي، والبطولة الرائعة التي ميزته هي التي تقلب الموازين، وتحدد نهاية المعارك الى صالح الاسلام، فمن يمكن ان يقف امامه لو اراد، وما قيمة بضعة افراد امام يد في كفها ذو الفقار، لولا كتاب سبق، ووصية من رسول الله ﷺ بالصبر على استعمال القوة حرصاً منه على الاسلام ومسيرته من الانحراف. يقول له رسول الله ﷺ ان الامة ستغدر بك بعدي فيقول له: في سلامة من ديني، فيقول له: نعم في سلامة من دينك. ويجهش رسول الله ﷺ بالبكاء فيقول له: يا رسول الله ما يبكيك؟ فيقول له: ضغائنٌ في صدور رجال عليك

(١) نهج البلاغة الخطبة رقم ٦٨.



لن يبدوها لك إلا من بعدي<sup>(١)</sup>

وكان الخيار الاخير ان يستعمل منطق الانبياء ووحى السماء، فيستعمل الحجة تلو الحجة، والنصيحة تلو النصيحة، ويذكرهم بما كان رسول الله ﷺ أو صاهم به. فحري بامة محمد ﷺ ان تفي له بالوصية، بعد ان وفي لها بالنصيحة. وهنا جاء دور الزهراء عليها السلام، بضعة المصطفى وروحه التي بين جنبيه، تفوح منها رائحة النبوة التي كانت الامة بالأمس القريب تشمها من رسولها ﷺ، هذه بضعته وريحانته التي شابهته في خلقه وخلقه وصدق لهجته، جاءت لتكون الدليل الحي على ان الخلافة كمسؤولية لعلي دون سواه، وان الخلافة القائمة ليس لها نصيب من الشرعية.

### حجة الله بعد أبيها

وكما ذكرنا فقد تمخضت اجتماعات السقيفة عن تعيين ابي بكر، وجرّ الناس الى بيعته، على النحو المذكور في كتب السيرة والتاريخ. ورسم لنا امير المؤمنين علي عليه السلام صورة تنبض بالحياة والحيوية لتلك البيعة، وموقفه منها فقال في خطبته الشقشقية:

أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة، وانه ليعلم أنّ محلي منها محل القطب من الرجا، ينحدر عني السيل، ولا يرقى إليّ الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كسحا، وطفقت أرثي بين ان أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها المؤمن حتى يلقي ربه، فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجاً، ارئى تراثي نهياً) وكان لعمر بن الخطاب الدور الاكبر في تحقيق البيعة وتكريس الخلافة لابي بكر، يقول ابن ابي الحديد:

«عمر هو الذي شيّد بيعة أبي بكر، ورقم المخالفين فيه فكسر سيف الزبير لما

(١) كنز العمال ج ٦ / ٤٠٨ ط دائرة المعارف النظامية.

جرده، ودفع في صدر المقداد، ووطىء في السقيفة سعد بن عباد، وقال: اقتلو سعداً  
قتل الله سعداً، وحطّم أنف الحباب بن المنذر الذي قال يوم السقيفة: أنا جُذيلها  
المحكك وعُذيقها المرجب. وتوعد من لجأ الى دار فاطمة عليها السلام من الهاشمين  
وأخرجهم منها. ولولاه لم يثبت لابي بكر أمر، ولا قامت له قائمة»<sup>(١)</sup>  
وامتنع علي عليه السلام مع عددٍ من الصحابة عن بيعة ابي بكر، وجلسوا مع علي عليه السلام  
في دار فاطمة، وقاطعوا مجالس القوم وندواتهم، فسأل ابوبكر فقال: اين الزبير؟  
ف قيل عند علي وقد تقلّد سيفه فقال: قم يا عمر، قم يا خالد بن الوليد انطلقا حتى  
تاتيا بي بهما.

فانطلقا، فدخل عمر وقام خالد على باب البيت من خارج، فقال عمر للزبير:  
ما هذا السيف فقال: نبايع علياً، فاخرطه عمر فضرب به حجراً فكسره، ثم أخذ  
بيد الزبير فأقامه ثم دفعه وقال: يا خالد دونكه فامسكه، ثم قال لعلي: قم فبايع لابي  
بكر، فتلكأ واحتبس، فاخذ بيده وقال: قم فأبى ان يقوم، فحمله ودفعه كما دفع  
الزبير فاخرجه.

ورأت فاطمة ما صنع بهما، فقامت على باب الحجرة وقالت: يا ابا بكر ما اسرع  
ما اغرتم على اهل بيت رسول الله! والله لا اكلم عمر حتى التقي الله.<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>  
ومن هذه اللحظة بدأت الزهراء عليها السلام مسيرتها الجهادية، لانها حجة الله، فكان  
لابد من أن تُلقي الحجة، ولا بد أن تقوم بالدور الذي رسمه لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو  
دور من اهم الادوار في تاريخ الاسلام كما سنرى.

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ / ١٧٤ ط دار احياء الكتب العربية.

(٢) ان النصوص التي تحكي هذه الحادثة كثيرة جداً، وهي غالباً تتفق من حيث المضمون، وقد  
تختلف من حيث اللفظ، وكان لابد من الاختصار على نموذج واحد منها فان ذكرها جميعاً يخل  
بالاختصار، كما ان انتقاء مقاطع معينة من هذا النص او ذاك قد يخل بالموضوعية فتركته لذلك فن  
شاء فليراجع شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٢ / ٥٦ وما بعدها.

(٣) نهج البلاغة الخطبة ج ٢ / ٥٦.

عملت الزهراء عليها السلام على محاور ثلاثة ميزت حركتها:  
 المحور الاول وتمثل بدعوة المهاجرين والانصار للوقوف الى جانب علي عليه السلام،  
 واختياره خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحكم.  
 والمحور الثاني وتمثل بتبنيه الامة على ان الحكم الحالي لا يتمتع بالشرعية التي  
 تمكنه من قيادة الامة ومواصلة المسيرة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.  
 والمحور الثالث يتمثل باتخاذ موقف سلبي من شخص الحاكم بالذات والمجتمع  
 المدني عموماً. وسنستعرض المحاور الثلاثة فيما يلي:

### المحور الاول: الدعوة للوقوف الى جانب علي عليه السلام

كان الدور الاول للصديقة الكبرى: دعوتها المهاجرين والانصار للوقوف الى  
 جانب علي عليه السلام حتى بعد ان تمت البيعة لأبي بكر، فقد روى ابن ابي الحديد عن احمد  
 بن عبدالعزيز الجوهري قال: ان علياً حمل فاطمة على حمار، وسار بها ليلاً الى بيوت  
 الانصار يسألهم النصر، وتسألهم فاطمة الانتصار له. فكانوا يقولون: يا بنت  
 رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، لو كان ابن عمك سبق الينا أبا بكر ما عدلنا  
 به. فقال علي: أكننت أترك رسول الله ميتاً في بيته لا أجهزه وأخرج الى الناس  
 أنازعهم في سلطانه؟! وقالت فاطمة: ما صنع أبو حسن إلا ما كان ينبغي له، وصنعوا  
 هم ما الله حسبهم عليه<sup>(١)</sup>

وفي روايات اخرى كان يصحبها الحسن والحسين عليهم جميعاً الصلاة  
 والسلام، فكانت تمر على بيوتهم تدعوهم الى نصرته علي عليه السلام والوقوف الى جانبه.  
 ومن المؤكد ان الزهراء دعت المهاجرين والانصار الى ذلك، ولاكتنا نتحفظ  
 على بعض التفاصيل التي تتعلق بأساليب الدعوة واشكالها.  
 والذي يجب ان ننتبه اليه هو ان حركة الزهراء عليها السلام لم تكن حلقة في حركة

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٦/ ١٣.

انتخابية قادها علي عليه السلام لكسب الامة الى جانبه، وانما كانت دعوة للثورة لأصلاح الامور واعادتها الى نصابها الصحيح، ومكانها الطبيعي.

والملاحظ كذلك ان التاريخ أغفل التفاصيل المهمة لهذه الحركة اغفالاً تاماً، وحجم تأثيرها على الأمة، باستثناء إشارات بسيطة، إلا ان الزهراء عليه السلام كشفت عن الجو العام من خلال عدة خطابات لها، بالرغم من ان خطاباتهما لم تتضمن تفاصيل التحرك وانما حملت نتائج الحركة، ومواقف الامة منها. وقد تميزت خطاباتهما بالصراحة التامة والشدة والعنف، فلم تدع مجالات وسطى بل كانت حازمة وقوية في كل كلمة قالتها.

يروى ابن ابي الحديد قال: لما قبض رسول الله ﷺ أقبلت فاطمة الى ابي بكر في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيوها، ما تحرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ حتى دخلت على ابي بكر وهو في حشد من المهاجرين والانصار وغيرهم، فنيطت - أي وصلت وعلقت - دونها ملاءة، ثم أنت أنه أجهش لها القوم بالبكاء وارتج المجلس، ثم امهلت هنيهة حتى اذا سكن نشيج القوم، وهذأت فورتهم، افتتحت كلامها بالحمد لله عز وجل والثناء عليه والصلاة على رسول الله ﷺ، ثم قالت:

﴿لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ فان تعزوه تجدوه ابي دون آبائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، فبلغ الرسالة صادعاً بانذار مائلاً عن سنن المشركين، ضارباً ثبجهم، يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، آخذاً بكظام المشركين، يهشم الاصنام، ويفلق الهام، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، حتى تفرى - أي انشق - الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقائق الشياطين، وتمت كلمة الاخلاص، وكنتم على شفا حفرة من النار، بهزة الطالع، ومذقة الشارب، وقبسة العجلان، وموطأ الاقدام، تشربون الطرّق - أي الماء الذي بولت الابل فيه - وتقتاتون القِدّ، أدلة خاسئين، يتخطفكم الناس من حولكم، حتى انقذكم الله

برسوله ﷺ بعد اللتيا والتي، وبعد ان مني بهم الرجال وذؤبان العرب ومردة اهل الكتاب و (كلما اوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله) أو نجم قرن الشيطان، او فغرت فاغرة - أي فتحت فاهها - قذف أخاه في لواتها، ولا ينكفي حتى يطا صماخها باخمسه، ويطنى عادية لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، وانتم في رفاهية فكهون آمنون وادعون، حتى اذا اختار الله لنبيه دار أنبيائه، ظهرت حسيكة النفاق، وشمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبع خامل الآفكين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، واطلع الشيطان رأسه صارخاً بكم، فدعاكم فالفاكم لدعوته مستجيبين، ولقربه متلاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إيلكم، ووردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، انما زعمتم ذلك خوف الفتنة ﴿ألا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ فهيأت! وأنى بكم، وأنى تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم، زواجره بينة، وشواهد لائحة، وأوامره واضحة.

أرغبة عنه تريدون؟ أم لغيرة تحكمون؟ بشس للظالمين بدلاً، ﴿ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ ثم لم تلبثوا إلا ريث ان تسكن نفرتها، تُسرون حسوا في ارتغاء، ونحن نصبر منكم على مثل حز المدي..<sup>(١)</sup> فن خلال الأمعان في هذه الخطبة الشريفة نلاحظ ماييلي:

اولاً- استطاعت عليه السلام ان تحشد زخماً عاطفياً هائلاً هيأت فيه النفوس لدرجة عالية من التلقي والاذعان، فالانسان في مثل هذه الحالة يكون عادة اسرع الى التقبّل والتلقي، وكما تقول الرواية فانها عليه السلام (أنت أنتة) والأنة تعبير عن الألم، وكان الحاضرون يعرفون انها اصدق الناس لهجة فلا يمكن ان تفتعل الحالات النفسية العاطفية الكاذبة، وانما تعبّر بأنتها عن الألم والمرارة التي تعيش في قلبها، بسبب سرعة رجوع الناس عن منهج المصطفى ﷺ.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦/ ٢٤٩.

ومن المؤكد أن أئمتنا ليس للميراث، ولا للخلافة كخلافة، فما القيمة المادية لكل ذلك، وهي تعلم انها اول الناس لحوقاً برسول الله ﷺ، وماذا يمكن ان تجنيه مادياً إن صار علي عليه السلام خليفة؟! نعم ما كان يؤلمها هو الاخطار التي ستتحقق بمستقبل الاسلام، وما سيتعرض له من كوارث هائلة في حال عدم تمكن علي عليه السلام من استخلاف رسول الله ﷺ. وهذا ما يشهد له تاريخ الاسلام منذ يوم السقيفة والى اليوم.

وان استطاعت ان تحرك الانصار فهتفوا باسم علي عليه السلام وبدأت الامور تتخذ مساراً جديداً نحو تغيير الوضع السياسي، فيروى ان ابا بكر لما سمع خطبتها شق عليه مقالتها، فصعد المنبر وقال:

«أيها الناس ما هذه الرعة الى كل مقالة، اين كانت هذه الاماني في عهد رسول الله ﷺ ألا من سمع فليقل، ومن شهد فليتكلم، انما هو ثعالة شهيد ذنبه - أي ثعلب يشهد له ذيله تشبيه لعلي وفاطمة!! - مُربَّبٌ لكل فتنة، هو الذي يقول: كروها جذعة بعد ما هرمت، يستعينون بالضعة، ويستنصرون بالنساء، كأما طحال أحب أهلها اليها البغي، ألا اني لو شئت أن أقول لقلت، ولو قلت لبحت، اني ساكت ما تركت. ثم التفت الى الانصار فقال: قد بلغني يا معشر الانصار مقالة سفهاكم، وأحق من لزم عهد رسول الله ﷺ أنتم فقد جاءكم فأوتم ونصرتهم، الا اني لست باسطاً يداً ولا لساناً على من لم يستحق ذلك منا. ثم نزل، فانصرفت فاطمة عليها السلام الى منزلها.

يقول ابن ابي الحديد: قرأت هذا الكلام على النقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصري وقلت له: بمن يعرض؟ فقال: بل يصرح. قلت: لو صرح لم أسألك. فضحك وقال: بعلي بن ابي طالب عليه السلام. قلت: هذا الكلام كله لعلي يقوله؟ قال: نعم انه الملك يا بني<sup>(١)</sup>

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١٦ / ٢١٤.

ثانياً- ذكّرهم بماضيهم القريب وما كانوا عليه من تدهور عقائدي واجتماعي واقتصادي، وما كان يحيق بهم من اخطار حقيقية. فانقذهم الله عزوجل بابيها ﷺ. وهم كلهم شهود على ما قالت، لانهم عاشوا وعاصروا تلك الفترة، فلا يمكن لأبي منهم ان ينكر هذه الحقيقة. وارايت بهذا ان تؤكد، على ان الذي بنى الامة وسجل لها هذا التاريخ، وشيد لها هذا الكيان، إنما هو بيت النبوة الطاهر بما فيه من بناء حقيقيين في مقدمتهم علي بن ابي طالب الذي قرروا عزله عن الساحة السياسية بمختلف المبررات الواهية، ولو لا سيفه لما دخل اكثر هؤلاء الاسلام.

ثالثاً- وجهت للجميع تهمة تحدي المبادئ والقيم، واتباع الشيطان (وأطلع الشيطان رأسه صارخاً بكم فدعاكم فألفاكم لدعوته مستجيبين ولقربه متلاحظين ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً واحمشكم فالفاكم غضاباً) ثم قالت: «فهيأت وأنى بكم، وأنى تؤفكون وكتاب الله بين أظهركم زواجه بينه وشواهد لأئمة وأوامره واضحة أرغبة عنه تريدون ام لغيره تحمكون بئس للظالمين بدلا - من يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين -».

ورغم خطورة هذه الادانة لم نجد نصاً يتحدث عن اعتراضهم عليها، خاصة وان الكلام موجه للجميع بمن فيهم كبار الصحابة. لا يقال ان جلالة الموقف، وما تتسم به شخصية الزهراء من قدسية منع الحاضرين من الاعتراض، فان الخليفة الاول أصّر على منعها فذكاً والميراث وسهام الخمس لحديث سمعه وحده من رسول الله ﷺ دون باقي الصحابة، وهذا الامر اقل اهمية مما ادانتهم به عليّ فكان الأولى ان يعترض على ما ادانتهم به من الردّة والخيانة والنكوص عن الاسلام.

اضافة الى ذلك فان من منع الزهراء ميراثها عدة قليلة من الصحابة، وكانت طبيعة الامور تقتضي توجيه الكلام لهم فقط، ولكن ما لاحظناه هو الشمولية المطلقة حتى للذين لا علاقة لهم بمنعها الميراث، مما يدل على ان الادانة كانت بسبب تخلفهم عن نصرة عليّ ﷺ وتحاذلهم عن الوقوف معه في ساعة الحسم، حيث كان يجب

عليهم ان يواصلوا المسيرة بعد رسول الله ﷺ تحت راية علي عليه السلام التي هي راية المصطفى ﷺ.

ويتصاعد الموقف ليتخذ طابعاً ثورياً حازماً فقد دعت الانصار الى رفع السلاح والثورة لتصحيح المسيرة وتوجيهها الى ما كان يريده الله تعالى ورسوله ﷺ فقالت:

يا معشر البقية، وأعضاء الملة، وحضنة الاسلام، ما هذه الفترة عن نصرتي، والونية عن معونتي، والغزوة في حقي، والشنة عن ظلامي، اما كان رسول الله ﷺ يقول: المرء يحفظ في ولده! سرعان ما أحدثتم، وعجلان ما أتيتم، الآن مات رسول الله ﷺ أتم دينه، ها ان موته لعمرى خطب جليل استوسع وهنه، واستبهم فتقه، وفقد رائقه، واظلمت الارض له، وخضعت الجبال، وأكدت الامال، أضيع بعد الحريم، وهتكت الحرمه، وأذيلت المصونة، وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله قبل موته، وأنباكم بها قبل وفاته فقال ﴿وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين﴾.

إيها بني قيله! اهتضم ثراث أبي، وأنتم بمرأى ومسمع، تبلغكم الدعوة، ويشملكم الصوت، وفيكم العدة والعدد، ولكم الدار والجئن، وانتم نخبة الله التي انتخب، وخيرته التي اختار.

باديتم العرب، وبادهتم الامور، وكافحتم اليهم، حتى دارت بكم رَحَى الاسلام، ودرّ حلبة، وخبت نيران الحرب، وسكنت فورة الشرك، وهدأت دعوة الهرج، واستوثق نظام الدين.

أفتأخرتم بعد الاقدام، ونكصتم بعد الشدة، وجبنتم بعد الشجاعة، عن قوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون.



ألا وقد أرى أن قد أخلدتم الى الخفض، وركنتم الى الدعة، فجحدتم الذي وعيتم، وسُغتم الذي سَوَّغتم، وإن تكفروا أنتم ومن في الارض جميعاً فإن الله لغني حميد.

ألا وقد قلت لكم ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم، وخور القناة، وضعف اليقين، فدونكموها فاحتووها مدبرة الظهر، ناقبة الخف، باقية العار، موسومة الشعار، موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة، فبعين الله ما تعملون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون<sup>(١)</sup>

ان النقاط التي احتوتها هذه الخطبة الشريفة كثيرة والحديث عنها جميعاً يحتاج الى مجال اوسع، ولكننا فقط نشير الى ما يمس الموضوع الذي نحن بصدد.

لقد وجهت الزهراء عليها السلام خطابها للانصار، فذكرتهم بتأريخهم المجيد، ومواقفهم الشجاعة في نصرة الاسلام، ونُصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبكلمة موجزة ذكرتهم بدورهم الجهادي حينما كانت المرحلة تستوجب حمل السلاح، والتضحية بالروح والدم، وأكدت لهم ان المرحلة الراهنة تستوجب نفس الموقف وتتطلب نفس الدور لماذا؟ لان الاحداث التي وقعت وزوت عليها عليها السلام عن دوره تعني (الآن مات رسول الله صلى الله عليه وآله وأتم دينه، ها إن موته لعمرى خطب جليل استوسع وهنه واستبهم فتقه، وفقد راتقه، وأظلمت الارض له، وخشعت الجبال، وأكدت الآمال، أضيع بعده الحريم، وهتكت الحرمه، وأذيلت المصونة..)

ثم قالت لهم: ان لا عذر لكم عن النصرة وانتم تمتلكون العدة والعدد، والقوة الكافية لأعادة الامور الى نصابها (إيها بني قيلة! اهتضم تراث أبي، وانتم بمرأى ومسمع، تبلغكم الدعوة، ويشملكم الصوت، وفيكم العدة والعدد، ولكم الدار والجَنَن..)

فلماذا تهاونتم عن قتال ﴿قوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦/ ٢١٢.

دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم..»

ولا يوجد بيان أكثر وضوحاً للدعوة إلى الثورة المسلحة من هذا البيان، خاصة إذا أخذنا بنظر الاعتبار المنظور العقائدي الذي تتميز به الزهراء، ويشكل معالم شخصيتها فهي ليست من هذه الناحية كأى امرأة من المسلمين، كيف وقد قرن الله تعالى رضاه برضاها وسخطه بسخطها، فهل يمكن أن تتخذ هذا الموقف المتشدد والواضح من دون أن يكون له خلفية ربانية تكسبه الشرعية التامة. بل هل يسوغ القول بأن موقفها هذا لأجل فذك كارض زراعية، أو ما تركه رسول الله ﷺ من اموال وعقار - أن كان ترك مثل ذلك - أو من اجل سهام الخمس التي نصّ عليها القرآن الكريم. وبكلمة: من اجل مكاسب مادية محدودة؟

ان كل شيء في سيرتها يجيب بالنفي، فالزهراء كانت اكبر من ذاك ومن غيره، لقد حددت بوضوح تام ان ما وقع هو مفهوم (أتمه دينه) هذا المفهوم الخطير الذي يستحق التضحية بكل شيء، وعلى الانصار باعتبارهم الطليعة المجاهدة ان يدركوا ذلك، ويتفهموا صرخة الرسول ﷺ ودعوته على لسان الزهراء، انها صرخة السماء والنبوة، فقدك هي: الخلافة الرشيدة الواعية الممتدة من النبوة المتصلة بها، ولم تخسر الزهراء (فذك المزرعة) ولم تخسر الارث المادي، ولا سهام الخمس، لانها لم تكن تتمتع بالمرود المادي لكل تلك الامور، لا في حياة الرسول، ولا بعد وفاته، فقد كانت تنفقها على المسلمين، وسواء عادت لها فذك أو لم تعد، فان الزهراء ﷺ ستبقى في حياتها المادية على مستوى واحد من العيش<sup>(١)</sup> وانما كان الهدف الحقيقي

---

(١) من المعروف ان خديجة عليها السلام كانت من اثرياء العرب، وقد بذلت اموالها بسخاء لنشر الدعوة الاسلامية حتى قال ﷺ قام الاسلام بسيف علي واموال خديجة ولم يذكر المؤرخون تفاصيل ذلك وجعلوها صفحة منسية من التاريخ في الوقت الذي اشادوا فيه بمواقف بعض الصحابة الذين كانت لهم مساهمات مالية لا ترقى الى مساهمة خديجة ﷺ. وما يؤكد عليه هنا: ان الزهراء ﷺ لم تكن بحاجة الى المال والثروة بعد ان ورثت مع ابيها ﷺ اموال خديجة و ثروتها، وما قد نجده في بعض النصوص من انها

من عدم اعتراف الخليفة بأن النبي كان قد منحها فدياً، هو سلب حجية الزهراء، في كلامها وقولها ودعواها. وهذا ما حدث - بأدب - في بعض الاحيان، ومن دونه في احيان اخرى، فتارة يخاطبها ابو بكر بقوله (يا خيرة النسوان، وابنة خير الآباء...) حينما قال لها اني سمعت رسول الله ﷺ يقول: نحن معاشر الانبياء لانورث ما تركناه صدقه، واخرى يصعد المنبر ليقول: (ايها الناس ما هذه الرعة التي كلّ مقالة! اين كانت هذه الاماني في عهد رسول الله ﷺ ألا من سمع فليقل، ومن شهد فليتكلم، انما هو ثعالة شهيد ذنبه! - أي ثعلب يشهد له ذيله - مُرب لكل فتنة، هو الذي يقول كروها جذعة بعد ما هرمت، يستعينون بالضعة، ويستنصرون بالنساء كأم طحال أحب اهلها إليها البغي...) (١)

وتمكنت الخلافة من تحقيق نجاح مؤقت تمثل بعدم قبول دعوى الزهراء عليها السلام التي وقف معها القران في ايات الارث، وعلي عليها السلام وام ايمن، في مقابل ما قال ابو بكر انه سمعه من النبي ﷺ انا معاشر الانبياء لانورث.

### المحور الثاني: عدم أهلية الحاكم والحكومة

الواضح من حركة الزهراء عليها السلام انها كانت تستهدف أمرين في غاية الاهمية والخطورة.

الامر الاول: العمل على تنفيذ أمر الله عز وجل، ورسوله ﷺ بتنصيب

---

عليها السلام أوصت ببعض بساطتها واملاكها لذريتها قد يكون مصدرها الاموال الموروثة من امها عليها السلام إذ لا يوجد نص يشير الى ان النبي ﷺ نحلها غير فديك، او اشترى لها هذه البساتين من اموال الخمس، ولو كان الامر كذلك لما كان معنى لاستثناء الخليفة الاول لها، ولصار حالها حال فديك في تطبيق سياسة (نحن معاشر الانبياء لانورث). فاذا ثبت هذا فيجب ان نتحفظ بالنسبة للنصوص التي تُظهر الزهراء بصورة الحريص على نفسها وذريتها الخائفة من الفقر والجوع وامثال ذلك. وانما نقلنا تلك النصوص في طيات هذا الكتاب تمثيلاً مع (الرواية التاريخية) وتجنباً للأسلوب الانتقائي الذي قد يكون في بعض الاحيان مغلاً بالموضوعية.

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١٦ / ٢١٤.

علي عليه السلام خليفة لرسول الله ﷺ وذلك بتغيير الواقع الذي افرزته اجتماعات السقيفة.

والامر الثاني: التأكيد - اذا لم يتحقق الامر الاول - على عدم شرعية نظام الحكم، وطريقة تعيين الخليفة، وشخص الحاكم.

واستعملت عليه السلام لذلك ادوة الصراع الثلاثة فذك، وسهام الخمس، والميراث. وقد بحث ذلك بتفصيل وتحقيق عدد من العلماء الاعلام في مقدمتهم السيد الشريف المرتضى في كتابه (الشافى)، ولسنا هنا بصدد بحث ذلك، وانما الذي يهمنا هو البحث فيما كانت تستهدفه الزهراء من طرح فذك والسهام والميراث، ليس في اطار قضائي بحت، وانما في بُعد ديني وسياسي مقرون بالصراحة والحدة البالغة، فها هي صلوات الله وسلامه عليها تحاطب المسلمين الذين بايعوا ابا بكر بقولها:

«حتى إذا اختار الله لنبيه دار أنبيائه، ظهرت حسيكة النفاق، وشمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الآفكين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه صارخاً بكم، فدعاكم فالفاكم لدعوته مستجيبين، ولقربه متلاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فالفاكم غضاباً، فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير شربكم...»<sup>(١)</sup>

وتقول لابي بكر وهو حينئذ الحاكم المبسوط اليد (يا ابن أبي قحافة أترث أباك ولا أترث أبي، لقد جئت شيئاً فرياً، فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعود القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون...) <sup>(٢)</sup> وفي رواية انها عليها السلام دخلت على ابي بكر بعدما استخلف فسألته ميراثها من ابيها، فمنعها، فقالت له: لئن مُتَّ اليوم من كان يرثك؟ قال: ولدي وأهلي. قالت: فلم ورثت أنت رسول الله صلى الله عليه واله دون ولده وأهله؟ قال: فما فعلت يا بنت

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦ / ٢٥١.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦ / ٢٣٢.

رسول الله ﷺ، قالت: بلى إنك عمدت إلى فذك وكانت صافية لرسول الله صلى الله عليه وآله وأله فأخذتها، وعمدت إلى ما أنزل الله من السماء فرفعته عنا. فقال: يا بنت رسول الله ﷺ لم افعل، حدثني رسول الله ﷺ ان الله تعالى يطعم النبي ﷺ الطعمة ما كان حياً، فاذا قبضه الله اليه رفعت<sup>(١)</sup>

وروي كذلك انها قالت لابي بكر ان ام أيمن تشهد لي أن رسول الله ﷺ أعطاني فذكاً، فقال لها: يا ابنة رسول الله، والله ما خلق الله خلقاً أحب إلي من رسول الله ﷺ أبوك، ولوددت ان السماء وقعت على الارض يوم مات أبوك، والله لئن تفتقر عائشة أحب إلي من ان تفتقري، أتراني أعطي الأحمر والأبيض حقه وأظلمك حقك، وانت بنت رسول الله ﷺ، إن هذا المال لم يكن للنبي ﷺ وإنما كان مالاً من اموال المسلمين يحمل النبي به الرجال، وينفقه في سبيل الله، فلما توفي رسول الله ﷺ وليته كما كان يليه.

قالت: والله لا كلمتك أبداً، قال: والله لا هجرتك أبداً. قالت: والله لادعون الله عليك. قال: والله لادعون الله لك.

فلما حضرتها الوفاة أوصت ألا يصلي عليها، فدفنت ليلاً، وصلى عليها عباس بن عبدالمطلب، وكان بين وفاتها ووفاة أبيها اثنان وسبعون ليلة<sup>(٢)</sup> ويروي أنس بن مالك ان فاطمة رضي الله عنها أتت ابا بكر فقالت:

لقد علمت الذي ظلمتنا عنه اهل البيت من الصدقات وما أفاء الله علينا من الغنائم في القرآن من سهم ذوي القربى، ثم قرأت عليه قوله تعالى ﴿واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذوي القربى﴾ الآية.

فقال لها ابوبكر: بأبي انت وامي ووالد ذلك السمع والطاعة لكتاب الله ولحق رسول الله ﷺ منه، ولم يبلغ علمي منه أن هذا السهم من الخمس يسلم اليكم كاملاً.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦ / ٢٣٢

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦ / ٢١٤.

قالت: أفلك هو ولأقربائك؟

قال: لا، بل أنفق عليكم منه وأصرف الباقي في مصالح المسلمين.

قالت: ليس هذا حكم الله تعالى!...

وعن أبي الاسود عن عروة قال: أرادت فاطمة أبا بكر على فذك وسهم ذوي

القربي، فابى عليها وجعلها في مال الله تعالى<sup>(١)</sup>.

لقد جاءت نصوص كثيرة بهذا المعنى، وهي جميعها تؤكد منع الخليفة الاول، ومعه عمر بن الخطاب، الزهراء فذكاً والميراث وسهام الخمس، وان كانت النصوص قد اختلفت جزئياً في بعض الصياغات والتعبيرات التي تفاوتت بين اللين الشديد والقسوة البالغة، ولكن المهم هو تأكيدها على ذات الواقعة، وان قضية المنع قد وقعت قطعاً.

وما يمكن ان نستنتجه من ذلك كثير، يستحق البحث والتحقيق، ولكننا سنقتصر على ما يتطلبه البحث وتقتضيه الحاجة.

ان اول ما يلفت النظر، ان الزهراء عليها السلام دخلت ساحة الصراع بأسلوب لا يعرف اللين والمجاملة، اسلوب المواجهة الصريحة الغاضبة، فمجرد ان تبين لها ان الخليفة يرفض الادعان لمطالبها، وقفت موقف من لا يخشى في الله لومة لائم.

وحرصت كذلك على ان تكون محاججاتها مع ابي بكر وعمر في مسجد الرسول ﷺ أي في مرأى ومسمع المسلمين، ولم تحاججه في بيتها أو بيته، وكان بإمكانها ان تفعل ذلك، وكان من الممكن ان يحقق لها ذلك الحصول على كل مطالباتها في فذك والميراث والسهام، لأن هذه الموارد ليس لها تأثير كبير على بيت مال المسلمين، إذ أن الامور كانت تسير على ما يرام في زمن الرسول ﷺ حين كانت فذك وسهام ذوي القربى خارج نطاق بيت المال، لأنها كانت (طعمة) على حد تعبير الخليفة الاول - أي انها كانت ملكاً للنبي ﷺ أو على اقل تقدير كانت في حيازته وليس

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦ / ٢٣٠.

في بيت مال المسلمين - فلما توفي الرسول ﷺ عادت الى بيت المال. ولما عادت لم ينعكس تأثيرها على اوضاع المسلمين بشكل ملحوظ. بل ان المأثور تاريخياً ان المصدر الاساسي لبيت مال المسلمين كان في الدرجة الاولى الزكاة لا الخمس، والزكاة - بمعنى الصدقة الواجبة - محرمة على رسول الله ﷺ وعلى آله، فلم يكن له ولهم فيها نصيب. وتأقي واردات الاراضي الزراعية المفتوحة كمصدر آخر من مصادر الدولة. ولم يكن للخمس دور كبير في ميزانية الدولة الاسلامية في ذلك الوقت، وكان الخليفة الاول يدرك ذلك تماماً، ويعرف ان مطالبات الزهراء عليها السلام لاتعني شيئاً من الناحية المادية وكان بوسعه ان يعترف لها بذلك ويحسم القضية بهدوء تام، ولكنه رفض وأصرّ على انه سمع النبي ﷺ يقول: نحن معاشر الانبياء لانورث إلاّ ان الزهراء عليها السلام أصرّت على ان تكون مطالبتها علنية وامام المسلمين جميعاً، فخرجت من خدرها وطالبت بحقها في مركز الخلافة مسجد أبيها. ولم يكن هذا من عادة مخدرات أهل البيت عليها السلام. ونحن على يقين ان الف فدك لن تغرّ الزهراء بالخروج من بيتها، للمطالبة بها من رجال ما كان يمكن ان يكون لهم شأن ولا قيمة لولا المصطفى ﷺ، الذي انقذهم من شفا حفرة من النار، وهي تعلم ان هؤلاء لم يكن لهم تاريخ قبل الاسلام، ولم يكن المجتمع العربي يعيرهم اهمية ولا يحتفظ لهم بمكانة. وتعلم انها من شجرة النبوات الباسقة، وبيوتات العرب السامقة، بل هي ذروتها من دون ريب، وهذا يكفي لمتنع عن المطالبة بفدك وغيرها حتى لو انها كها الجوع، وهي التي لم تعرف الشبع حينما كانت فدك نخلتها وسهام الخمس بين يديها. لانها كانت تتصدق بكل ذلك وتنفقه على المسلمين، وحتى لو ارجع لها الخليفة فدكا وسهام الخمس، فانها ستنفقها بالنحو الذي كان المصطفى ﷺ ينفقها في حياته، فلماذا خرجت الزهراء؟ ولماذا وقفت تطالب بحقها؟ وكان الاولى ان يفعل ذلك بدلاً عنها العباس عمها، أو على زوجها، أو قثم أو غيرهم من بني هاشم؟ ماذا كانت تستهدف الزهراء بذلك؟ وماذا كانت تريد ان تقول؟

من الوضع لمن يتتبع حركة الزهراء عليها السلام، هذه الحركة التي اتسمت بالشجاعة والجرأة، والمواجهة الحدية للسلطة، ولشخص الخليفة، انها عليها السلام ارادت ان تثبت للأمة عدم شرعية الحاكم والحكومة، فكما قلنا كان بإمكانها ان تطالب الخليفة بحقوقها وهي في بيته أو بيتها، وتحصل على ما تريد، ولكنها خرجت الى المسجد واسمعت المسلمين دعوتها، وسجلت على الخليفة عدة مخالفات لكتاب الله، في آيات الأثر وآية الخمس، فكان الموقف من كلا الطرفين - الزهراء وابوبكر - يستهدف معنى سياسياً اعمق من ظاهر دعواهما، فابوبكر اراد ان يقطع الطريق على علي عليه السلام بتحجيم الزهراء عليها السلام واخراجها من دائرة الصراع، وارادت الزهراء ان تثبت للأمة عدم شرعية الخليفة، الذي خالف المحكم من كتاب الله العزيز، وبمواجهته لبنت رسول الله ﷺ التي يرضى الله لرضاها ويسخط لسخطها. وبدون هذا الافتراض لا يمكن ان نفهم المبرر الذي دعا عمر بن الخطاب لأرجاع فدك الى ورثة الزهراء بعد توليه الخلافة إذ لو كان يعتقد ان النبي ﷺ قال: انا معاشر الانبياء لا نورث ذهباً ولا فضة ولا أرضاً ولا عقاراً ولكننا نورث الايمان والحكمة والعلم والسنة<sup>(١)</sup> لما اعادها الى الورثة لانه سيسجل على نفسه مخالفة لرسول الله ﷺ ومخالفة لسيرة ابي بكر في قضية شكلت حدثاً خطيراً بعد وفاة رسول الله ﷺ. ومنه نفهم عزوف امير المؤمنين علي عليه السلام عن فدك بعد توليه الخلافة. ففدك ليست المزرعة في نظر الزهراء وانما الخلافة ومطالبتها بها في نظر الخليفة ليس الا المطالبة بالخلافة. كما ان خروج الزهراء من بيتها، ومطالبتها العلنية، ومواجهتها للخليفة الاول، مواجهة صريحة وحادة، هو بذاته من اخطر الوان الاحتجاج، وحالة من اشد حالات الغضب. وكان الواجب على الامة لو كانت واعية ومدركة ان تخرج معها في موقف بدري حاسم.

ما الذي أخرج الزهراء من بيتها؟ فلنجيب جواباً ساذجاً يتمشى مع ظاهر

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦ / ٢١٤.



القضية ونقول ان الزهراء عليها السلام طالبت بفدك والميراث وسهام الخمس لحاجتها المعاشية لذلك حيث يؤيد القرآن موقفها وحقها في كل تلك الموارد. حتى في هذا الفرض كان الواجب على المسلمين ان يقفوا موقفاً حازماً من الخليفة لأنهم يعلمون ان الشخص الثاني في الخلافة كان قبل عدة ايام يقول حينما اراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يكتب كتاباً لن يظلموا بعده ابداً (حسبنا كتاب الله) وكتاب الله عز وجل يقول ان فاطمة وريثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلماذا تركوا الكتاب اليوم ولجأوا الى السنة!؟

وكان الواجب ان يقولوا للخليفة الاول اذا كنت قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول (نحن معاشر الانبياء لا نورث) فان علياً بشهادته للزهراء يحكي معنى (ان معاشر الانبياء يورثون) اضافة الى شهادة ام أيمن زوج الرسول التي بشرها بالجنة، فلماذا ترجح شهادة أو رواية بعض الصحابة على بعض؟

وكان الواجب ان يقولوا له: اذا كانت الشهادة تعني تغليب الظن في نفس القاضي فان إدعاء الزهراء عليها السلام يورث اليقين، اذ هل من المنطقي ان تقول ما ليس بحق، من عبّر عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بانها بضعة منه؟ وهي من الذين عناهم الله بقوله تعالى ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ هل يمكن ان تطلب ما ليس لها؟ أو تدعي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لم يقله؟

ان افتراض ان يكون خروج الزهراء من بيتها للمطالبة بفدك والسهام والميراث بحجمها المادي المحدود وان كان هو ظاهر النصوص الواردة غير صحيح، والصحيح ان المستنتج من شكل الصراع وطبيعته يكشف ان السبب الحقيقي كان هو الحرص على مستقبل الاسلام، الذي تتحمل الخلافة الجديدة مسؤوليته، ومقدار صلاحها وكفاءتها لاداء هذا الدور، والذي كانت تراه يتمثل بامير المؤمنين علي عليه السلام دون سواه من الصحابة استناداً لما سمعته من أبيها صلى الله عليه وآله وسلم.

وأرادت سلام الله عليها بخروجها ان يعلم كل مسلم انها غاضبة على الخليفة والخلافة، وهذا لا يتحقق وهي جالسة في بيتها، بل لابد من الخروج الى المسجد واعلان ذلك بوضوح وصراحة.

وقد فعلت ذلك وفي مناسبات عديدة متقاربة قبل ان تعتزل الامة، وتقرّ في بيتها، قالت لابي بكر (والله لا كلمتك أبداً، والله لادعون عليك) وتقول له (يا ابن ابي قحافة أترث أباك ولا أترث ابي لقد جئت شيئاً فرياً فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعمة الحكم الله والزعيم محمد والموعود القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون).

وامثال ذلك من الكلمات التي تقدّم ذكرها وسيأتي بعضها عن قريب. ولم يكن ما فعلته سلام الله عليها ردة فعل عاطفية، لا صلة لها بالمسيرة النبوية الكبرى، بل كانت حلقة الحسم الاخيرة في تشخيص الحاكم الصالح، ونظام الحكم الرشيد، فلم تكن تلك الغضبة غضبة امرأة من سائر الناس وانما غضبة الله عز وجل جسدها في حبيبة رسوله ﷺ، وغضبة لرسوله ﷺ جسدها في ابنته، فكان من المفروض بالامة الواعية المؤمنة بأن الاسلام دين القيم والمقاييس الربانية، وانّ في قمة هذه المقاييس هو رضا الله عز وجل في كل قول وعمل، ان لا تقف موقف المتفرج وهي ترى من قال فيها المصطفى ﷺ (فاطمة يرضى الله لرضاها ويسخط لسخطها) ساخطة غاضبة.

ومهما يكن الأمر فان الزهراء عليها السلام عملت بمقتضى تكليفها الشرعي، فأدت المهمة النبوية الشاقة بأفضل ما يكون. ولعل من يدقق في خطاباتنا التي تفوح منها رائحة النبوة والوحي يدرك حجم الألم الذي كان يعتصر قلبها على مستقبل الاسلام والمسلمين، والخوف من المخاطر المستقبلية الآتية عن قريب.

وعلى كل حال فانّ الزهراء أكدت بوضوح للامة وللخلافة حقائق عديدة كان يجب ان لا تقع. أكدت انها ظلمت بانتزاع فذك منها، فذك الخلافة لا فذك المزرعة، وحرمت من سهام الخمس والميراث، لا لأنه خمس وميراث بل لانه تعطيل لكتاب الله عز وجل وعمل بخلاف ما أمر به تعالى. وأكدت انها غاضبة ساخطة على الخليفة وعلى كل من وقف معه أو سكت أو رضي بفعله.

ان هذه الامور الثلاثة تكفي واحدة منها لسلب شرعية الحاكم والحكومة التي يفترض انها تقوم على اساس الاسلام والقرآن.

### المحور الثالث: الاحتجاب الساخط

حاولت الزهراء عليها السلام - عملاً بالتكليف الشرعي - خلق هزة عاطفية ودينية في نفوس الصحابة من المهاجرين والانصار، لتغيير موقفهم من قضية الاستخلاف، فدعتهم الى تطبيق الموازين الشرعية، وانفاذ وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشأن علي عليه السلام، ولم تخرج في جميع ذلك عن اطار الحجاج الديني والمنطقي، فاستعملت فداً والميراث وسهام الخمس وغيرها كحجج شرعية لأدانة الخلافة، وتزييف مواقفها، فجرت بينها وبين أبي بكر ما هو معروف وثابت في كتب الحديث والتاريخ. ولم تفلح كل تلك المحاولات فقد أصّر أبو بكر على عدم تصديق الزهراء عليها السلام في دعواها، ولم يقف المسلمون الى جانبها الموقف المناسب، فادركت ان المسيرة النبوية الكبرى التي قادها ابوها صلى الله عليه وآله وسلم وبذل من أجلها حياته واستقراره، ولاقي في سبيلها من العذاب والعنت والأذى ما لم يلقه نبي قط، بدأت تتجه الى الطريق غير المرسوم لها، وحينئذ قررت ان تتخذ موقفاً غاضباً، وهو آخر محاولة لاصلاح الامور لانها كانت تعلم كما كان يعلم كل الصحابة ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: ان الله يرضى لرضا فاطمة ويسخط لسخطها، فهل يمكن لمسلم يؤمن بالله ورسوله ان يسخط رب العالمين بايذاء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تحت مبررات من قبيل خوف الفتنة، أو مصالح الامة، وأمثال ذلك؟ وهل الايمان الحقيقي الا الطاعة الخالصة الكاملة لله ورسوله بتنفيذ اوامرها بشكل مطلق وكامل؟ فماذا يمكن ان تقول الامة غداً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند الحوض ان سألهم عن وديعته وريحانته وما لقيت بعده.

ولأجل تأكيد هذه الحقيقة اعلنت صلوات الله وسلامه عليها سخطها على كل من تحاذل وتهاون في نصرتها من مجتمع المدينة، واعلنت كذلك سخطها على السلطة الحاكمة المتمثلة بشخص الخليفة.

وهذه الحجة (الرضى والسخط) هي آخر وأهم أداة في عملية التغيير التي قادت الزهراء عليها السلام، إذ لو شك أحد من الصحابة والمسلمين في أحقية الزهراء عليها السلام في فلك أو الأثر أو سهام الخمس، وإن الخليفة الأول سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورث. أو أنه اجتهد في ذلك فإخفاً أو أصاب، أو أنه خاف وقوع الفتنة من منح الزهراء فداً وسهماً من الخمس، فإن أحداً لا يشك في أن ما صدر من رسول الله صلى الله عليه وآله بشأن الزهراء فوق الشك والريب، خاصة وإن الخليفة لم يروي نسخاً لما صدر عن النبي صلى الله عليه وآله بشأن ابنته عليها السلام بل كان يعترف بوضوح بفهم أن الله يرضى لرضا فاطمة ويسخط لسخطها.

أما بالنسبة لسخطها على المجتمع الذي لم يتحمل المسؤولية ولم يرفع الأمانة فقد روي أنه لما اشتد بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله الوجع وثقلت في علتها، اجتمع عندها نساء من نساء المهاجرين والأنصار فقلن لها: كيف أصبحت يا ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فقالت:

والله أصبحت عاتفةً لدنياكم، قالية لرجالكم، لفظتهم بعد أن عجمتهم، وشنتهم بعد أن سبرتهم.

فقبحاً لقلول الحدّ وخور القناة، وخطل الرأي وبشما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون.

لا جرم.. قد قلّدتهم ربقتهم، وشتت عليهم غارتهم، فجداً وعقراً، وسحقاً للقوم الظالمين.

ويحهم أين زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة، ومهبط الروح الأمين، والطيبين بأمر الدنيا والدين، إلا ذلك الخسران المبين.

وما الذي نعموا من أبي الحسن!

نعموا والله منه نكير سيفه.

وشدة وطأته ونكال وقعته وتنمره في ذات الله.

وتا الله لو تكافؤوا عن زمام نبذه اليه رسول الله ﷺ لا عتلقه، ولسار بهم سيرا سُجْحاً، لا تكلم حشاشته، ولا يتعتع راكبه، ولأوردهم منهاً غيراً ففضاضاً يطفح ضفتاه، ولأصدرهم بطاناً قد تحير بهم الرأي، غير متحل بطائل، إلا بغمر الناهل، وردعة سورة الساعب، ولفتح علمهم بركات من السماء والارض، وسياً خذهم الله بما كانوا يكسبون.

ألا فاستمع وما عشت أراك الدهر عجبه، وإن تعجب فقد أعجبك الحادث، إلى أي لجأ استندوا، وبأي عروة تمسكوا؟ لبس المولى ولبس العشير، ولبس للظالمين بدلاً.

استبدلوا والله الذنابي بالقوادم، والعجز بالكاهل فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴿الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ ويجهلهم ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أما لعمر الله لقد لقحت فنظرة زيثاً تنتح، ثم احتلبوها طلاع العقب دماً عبيطاً ودُعاقاً ممقراً، هنالك يخسر المبتلون، ويعرف التالون غباً ما أسس الاولون، ثم طيبوا عن انفسكم نفساً، واطمئنوا للفتنة جاشاً، وابشروا بسيف صارم وهرج شامل، واستبداد من الظالمين يدع فينكم زهيداً، وجمعكم حصيداً، فيا حسرة عليكم، وأنى لكم وقد عُميت عليكم أنلزمكموها وانتم لها كارهون والحمد لله رب العالمين وصلاته على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين<sup>(١)</sup>

وبالنسبة للخليفة فقد اعلنت عن غضبها وسخطها عليه بشكل اوضح من خلال حاجة منطقية حاسمة لم تدع فيها مجالاً للشك في حجم غضبها وتذمرها عليه فبعد ان اشتدت علتها واصبحت طريحة الفراش جاءها ابو بكر وعمر عائدین لها واستأذنا عليها فأبت ان تأذن لهما، فحلف ابوبكر ان لا يضلّه سقف حتى يدخل

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦ / ٢٣٣.

عليها ويترضاها، وبات ليلة في البقيع لم يظله شيء، فجاء عمر الى أمير المؤمنين وقال له:

ان ابا بكر شيخ رقيق القلب وله مع رسول الله ﷺ صحبة في الغار، وأتينا فاطمة غير مرة نريد الأذن عليها فأبت فأن رأيت ان تستأذن منها. فأجابه ﷺ ودخل على فاطمة فعرفها بما يريد الرجلان، فأبت ان تأذن لهما. فقال ﷺ: اني ضمنت لهما. فقالت: البيت بيتك، والنساء تبع للرجال لا اخالف عليكم شيئاً. فادخلهما عليها.

ولما وقع بصرهما عليها سلما فلم ترد عليهما السلام.  
فقال ابو بكر: يا بنت رسول الله انما أتيناك ابتغاء مرضاتك واجتناب سخطك. نسألك ان تغفري لنا وتصفح عيما كان منا إليك.  
قالت: لا اكلمكما من رأسي كلمة واحدة حتى التقي أبي واشكوكما اليه، واشكو صنيعكما وفعالكما وما ارتكبتما مني.

قال: انا جئنا معتذرين مبتغين مرضاتك فاغفري واصفحي عنا ولا تؤاخذينا بما كان منا.

فالتفتت الى أمير المؤمنين ﷺ وقالت: اني لا اكلمها كلمة حتى اسألها عن شيء سمعاه من رسول الله فان صدقاني رأيت رأيي.  
فقالا: سلي انا لا نقول إلا الحق.

فقالت: انشدكما بالله هل سمعتما رسول الله ﷺ يقول: فاطمة بضعة مني وانا منها من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذاها بعد موتي كان كمن آذاها في حياتي، ومن آذاها في حياتي كان كمن آذاها بعد موتي؟  
قالا: اللهم نعم.

فقالت: اللهم اني اشهدك انها آذايني، والله لا كلمتكما من رأسي كلمة واحدة

حتى ألقى ربي واشكوكها اليه بما صنعتما بي واركتبما مني).<sup>(١)</sup>

واورد ابن قتيبة الرواية بهذا الشكل:

«فقال عمر لابي بكر رضى الله عنهما، انطلق بنا إلى فاطمة، فانا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً، فاستأذنا على فاطمة، فلم تأذن لهما، فأتيا علياً فكلماه، فأدخلهما عليها، فلما قعدا عندها، حولت وجهها الى الحائط، فسلما عليها، فلم ترد عليهما السلام.

فتكلم ابو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله! والله إن قرابة رسول الله أحب إلي من قرابتي، وإنك لأحب إلي من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أني مت، ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرfk وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله، إلا اني سمعت أباك رسول الله ﷺ يقول: «لا نورث ما تركناه فهو صدقة».

فقالت: رأيتهما ان حدثكما حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به؟  
قالا: نعم.

فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة رضاي وسخط فاطمة من سخطي، فن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن اسخط فاطمة فقد اسخطني؟  
قالا: نعم سمعناه من رسول الله ﷺ.

قالت: فاني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتاني وما أرضيتاني، ولئن لقيت النبي لاشكونكما إليه.

فقال ابوبكر: انا عائد بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة. ثم انتحب ابوبكر يبكي حتى كادت نفسه ان تزهق وهي تقول: والله لادعون الله عليك في كل صلاة أصليها.

(١) علل الشرايع للصدوق، ص ٧٣، باب ١.

ثم خرج فاجتمع اليه الناس فقال لهم: يبيت كل رجل منكم معانقاً حليلته مسروراً بأهله وتركتموني وما انا فيه لا حاجة لي في بيعتكم اقبلوني بيعتي<sup>(١)</sup>  
وروى البخاري في صحيحه في الخمس ان فاطمة بنت رسول الله ﷺ غضبت على ابي بكر فهجرته - قال - فلم تنزل مهاجرته حتى توفيت.  
وروى ايضاً في باب غزوة خيبر ان فاطمة وَجَدَتْ على ابي بكر فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت.

وروى في كتاب الفرائض ان فاطمة هجرت أبا بكر فلم تكلمه حتى ماتت.  
ورواه مسلم ايضاً في صحيحه في كتاب الجهاد...<sup>(٢)</sup>  
ويروي ابن ابي الحديد ان فاطمة عليها السلام خاطبت ابا بكر قائلة: ما اسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله! والله لا اكلم عمر حتى التقي الله<sup>(٣)</sup>  
وروى عن ابي بكر انه قال: ليتني لم اكشف بيت فاطمة ولو اعلن عليّ الحرب<sup>(٤)</sup>

وقال: والصحيح عندي أنها ماتت وهي واجدة على ابي بكر وعمر، وانها أوصت ألا يصليا عليها، وذلك عند اصحابنا من الامور المغفورة لهما.  
وكان الأولى بهما إكرامها واحترام منزلها لكنها خافتا الفرقة، واشفقوا من الفتنة ففعلوا ما هو الاصلح بحسب ظنهما، وكانا من الدين وقوة اليقين بمكان مكين لا شك في ذلك، والامور الماضية يتعذر الوقوف على عللها وأسبابها، ولا يعلم حقائقها إلا من قد شاهدها ولآبسها. بل لعلّ الحاضرين المشاهدين لها لا يعلمون باطن الامور!؟<sup>(٥)</sup>

(١) الامامة والسياسة، ص ٣١ مطبعة امير.

(٢) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٣ / ١٩٠.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٦ / ٤٩.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٦ / ٥١.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٦ / ٥١.



وتذكر بعض النصوص ان ابا بكر أسف على ما صدر منه بحق الزهراء، وسعى الى ارضائها بمختلف الوسائل لعلمه ومعرفته بمكانتها عند الله عز وجل، ولولا ذلك لما قال كلمته المشهورة (يبيت كل رجل منكم معانقاً حليته مسروراً باهله وتركتوني وما أنا فيه لا حاجة لي في بيعتكم اقبلوني بيعتي).

وبكلمة أوضح كان يعي ان الزهراء عليها السلام هي المقياس الحسي الحي لرضا الله عز وجل وسخطه، وان الخلافة لا تعدل الثمن الذي دفعه باسقاطه لها.

وكان أمام الخليفة اكثر من منفذ للخروج من هذا المأزق ليسترضي الزهراء عليها السلام، كان بإمكانه ان يرجح حديث (ان الله يرضى لرضا فاطمة ويسخط لسخطها) بكثرة من سمعه ورواه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي يوجب القطع واليقين بصدوره ووضوح دلالتة، فيرجحه على حديث (انا معاشر...) الذي لم يروه غيره، ولغموض دلالتة كذلك.

اذ انّ ظاهر الآيات التي تحدثت عن توريث الانبياء انهم عليهم السلام أَوْرَثُوا العلم والحكمة - لا المواريث المادية حسب الفرض - لابنائهم الأنبياء فأورثوهم النبوة، ولم يذكر القرآن غير ذلك فهل ينطبق هذا على الزهراء؟ وهل يقول به الخليفة؟ فان قال به كانت الحجة عليه ابلغ. وعلى كل حال فانتا لو بحثنا في دلالة هذا الحديث لوجدنا فيه الكثير من التهاافت والغموض.

واذا كان منحه الزهراء فداً والميراث وسهام الخمس ذنباً ومخالفة شرعية استناداً الى حديث (انا معاشر الانبياء لا نورث) فان منعها من ذلك مخالفة شرعية كذلك استناداً الى حديث (يرضى الله لرضاها ويسخط لسخطها) فلها ذالم يستند الى وقوع التعارض أو التزاحم بينهما، أو يرجح الثاني على اساس ان اغضاب الزهراء عليها السلام قدر متيقن بينما حديث (انا معاشر الانبياء لا نورث) لا يعلم أنه كذلك، أو انه يستعمل ولايته لمنحها تلك الامور كما فعل في موارد اخرى.

ومن هذا وغيره نعرف ان تمسك الخليفة بفدك والسهام والميراث كان بدافع

سياسي، وانه بمصادره لفدك اراد ان يعلن عن سلطته الفعلية على الدولة وممارسته العملية للحكم.<sup>(١)</sup> وكان يعلم ان مطالبة الزهراء عليها السلام تكتنز نفس المفهوم، فلم تطالبه بشيء من ذلك حين جاء يسترضيها. ولم يكن مستعداً للتجاوب معها حتى بادى مراتب التجاوب، لانه لو فعل ذلك فسوف يحقق لها نصراً دينياً وسياسياً كبيراً، باعتبار ان الخليفة سيكون قد اعترف لها عملياً بمبدأ حرمة اسباط فاطمة ووجوب ارضائها، ويكون قد عمل به فعلياً اذا أرجع لها فدكاً والسهم والميراث، اضافة الى سلبيات مخالفتها لما رواه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من انه قال: (انا معاشر الانبياء لا نورث) التي ستوقعه في حرج كبير أمام المسلمين.

ورغم تأثر الخليفة الاول عاطفياً وبكائه الشديد لسخط الزهراء عليه، أثر الثبات على موقفه، لأن أي تراجع سيؤدي الى انهيار جميع الجهود التي أوصلته الى الخلافة، وعودة الامور الى نقطة الصفر، وسيفرض الف سؤال نفسه عن شرعية الطريقة التي تمّ فيها استخلاف أبي بكر.

ولم يخف ذلك على الزهراء عليها السلام فارادت أن تؤكد له بحزم ان موقفها الغاضب، ليس انفعالاً عابراً ولا تأثراً عاطفياً، ولا لمنعها فدكاً والميراث والخمس وانما هو موقف الواثق من سلامة وصحة موقفه، ومشروعية مطلبه فقالت له: (والله لأدعون الله عليك في كل صلاة أصليها) وقبل ذلك قالت له ولعمر بن الخطاب: (ولئن لقيت النبي لأشكونكما اليه).

(١) لم تذكر كتب الحديث والتاريخ كيف بدأت عملية مصادرة فدك وسهام الخمس والميراث، مع ما لهذا الموضوع من أهمية بالغة، والذي يغلب على الظن هو ان ابا بكر وعمر وغيرهما لاحظوا ان اوضاع اشكال ممارسة الحكم التي باشرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو التصرف بالمال والثروة وكانت فدكاً - رغم انها نحلة للزهراء - مصدراً من تلك المصادر، اذ من الناحية العملية كان صلى الله عليه وآله وسلم يصرف معظمها على شؤون المسلمين ويبقى القليل لمصارفه الشخصية فكان من ابي بكر ان صادر فدكاً وتبع ذلك سهام الخمس ثم الميراث على اساس (انا معاشر الانبياء لا نورث) وتصرف كما يتصرف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليزحزح كميته على الأمة، وسيطرته على الامور.

ولاجل ان يفهم الخليفة والسلطة والأمة ان موقفها ليس عابراً، ولن يتغير، وانها لم تصفح ولن تصفح وأن ما قامت به خط ثابت وليس حالة عابرة، أوصت ان لا يصلي الخليفة عليها ولا يشهد جنازتها، وان يُخفى قبرها. لتعبّر بذلك عن أشدّ الوان السخط والرفض وتؤكد حتى بموتها واخفاء قبرها عن موقفها الرفض لشخص الخليفة والنظام الحاكم بكل أبعاده وتفصيله، ولكي لا يدّعي أحد بعد وفاتها انها رضيت عن سخط عليه، اذ لو لم يكن الامر كذلك لما اوصت بتلك الامور.

### نتيجة البحث

وبهذا نستخلص ان النبوة الخاتمة أعدت الزهراء عليها السلام لتواصل بعد أبيها صلى الله عليه وآله تنفيذ مهمة نبوية مقدسة تتمثل بأرساء قواعد الخلافة والامامة - عملياً - لعلي عليه السلام بعد ان استنفدت الامور الاخرى - في حياة النبي - قدرتها على ذلك. ورغم ان جهودها عليها السلام لم تثمر ايجابياً، وانتهت الاوضاع الى ما انتهت اليه على صعيد الواقع، وبقي علي عليه السلام جليس داره، الا انها استطاعت ان تؤكد - بلسان النبوة - على هدف آخر لا يقل اهمية عن سابقه وهو ان نظام الخلافة والحكم الذي قام بعد وفاة المصطفى صلى الله عليه وآله لا يمتلك الشرعية سواء في طريقة تعيين الخليفة، أو طريقة انتخابه، وان ما وقع يختلف كلياً عما هو مقرر في حكم الله تعالى.

ولو لم تقبل هذه النتيجة وقلنا ان التعيين الذي مثلته السقيفة، والبيعة التي تلتها صحيحان من حيث المبدأ، فان الحقيقة التي افرضتها معارضة الزهراء عليها السلام هي عدم شرعية المصداق على أقل تقدير. وان ما كان يجب ان يقع حسب التخطيط الرباني هو ان يتولى الخلافة علي عليه السلام لانه الامتداد الطبيعي لرسول الله صلى الله عليه وآله.

وهذا الهدف ليس بإمكان أي كان تحقيقه خاصة في ظل أجواء سياسية، اتسمت بالعنف وعدم اللين، عبّرت عنها كلمات من مثل (خوف الفتنة، وشق الصف) وامثال ذلك، والتي كانت كفيلة بالاطاحة بأي رأس يجري على تجاوز هذا

الخط. وعلى هذا الضوء نجد ان الزهراء عليها السلام كانت خيار النبوة الوحيد، القادر على تحقيق هذا الهدف، وقد فعلت ذلك. فصلوات الله وسلامه عليها حتى ترضى وبعد الرضا، والحمد لله رب العالمين.

## المحتويات

مقدمة.....	٥
------------	---

## الفصل الاول

### موجز السيرة الذاتية للزهراء

ولادتها ونشأتها وسجاياها.....	١٣
خصائص الزهراء وسجاياها.....	١٦
النوع الاول: الاجتباء والاكرام الرباني.....	١٦
النوع الثاني: الصفات والخصائص الذاتية المكتسبة.....	١٨
أدبها مع أبيها.....	١٩
حُبها لأبيها.....	٢١
أدبها مع زوجها.....	٢٤
الزهراء في عبادتها.....	٣١
صدق لهجتها.....	٣٤
الصبر والمواساة.....	٣٧
الزهراء في علمها.....	٤٠

٤٠	الطريق الاول: المُحدَثَة
٤٠	الطريق الثاني: التلقي العام
٤٠	الطريق الثالث: التلقي الخاص

## الفصل الثاني مكانة الزهراء في الاسلام

٤٨	الطائفة الاولى
٥٠	الطائفة الثانية
٥٢	الطائفة الثالثة
٥٣	التفسيرات المحتملة
٥٣	الاحتمال الاول
٥٤	الاحتمال الثاني
٥٦	الاحتمال الثالث
٥٨	خطوات في طريق الاعداد
٦٥	طبيعة الموضوع وخصوصية الزهراء «الخلافة ونظام الحكم»
٦٨	«الطريق السلبي»
٧٢	«الطريق الايجابي»
٧٣	النقطة الاولى
٧٩	النقطة الثانية
٨٧	النقطة الثالثة
٨٨	طريق التعيين
٩١	اعداد علي عليه السلام للخلافة
٩٤	الطائفة الاولى من الروايات

- ١- علي أول وأعظم الناس إيماناً ..... ٩٤
- ٢- علي أعلم الناس ..... ٩٦
- ٣- علي أفضى الناس ..... ٩٧
- الطائفة الثانية من الروايات ..... ٩٩
- ١- من أحب علياً فقد أحب الله ..... ١٠٠
- ٢- من سب علياً فقد سب الله ورسوله ..... ١٠٢
- ٣- أنت مني بمنزلة هارون من موسى ..... ١٠٥
- ٤- من كنت مولاه فهذا علي مولاه ..... ١٠٨

### الفصل الثالث

- الحقيقة الأولى: النص قد لا يحقق الغرض ..... ١١٧
- الموقف الاول ..... ١٢١
- الموقف الثاني ..... ١٢٥
- الموقف الثالث ..... ١٢٨
- الموقف الرابع ..... ١٢٨
- الموقف الخامس ..... ١٣٠
- الحقيقة الثانية: شخصية الامام علي عليه السلام ..... ١٣٥
- المحور الاول: الخصائص الذاتية. ..... ١٣٥
- المحور الثاني: العدل المطلق في حياة علي عليه السلام ..... ١٤٠
- المحور الثالث: نظرة العداة والحقد ..... ١٤٤
- المحور الرابع: التمسك بالمبادئ ..... ١٤٧

## الفصل الرابع

لماذا فاطمة؟ .....	١٥٥
الزهراء الدليل الحسي على شرعية الخليفة والخلافة .....	١٥٧
أداء الأمانة .....	١٦١
حجة الله بعد أبيها .....	١٦٧
المحور الأول: الدعوة للوقوف الى جانب علي .....	١٦٩
اولاً- الزخم العاطفي .....	١٧١
ثانياً- الانهيار العقائدي .....	١٧٣
ثالثاً- تجاوز المبادئ والقيم .....	١٧٣
المحور الثاني: عدم أهلية الحاكم والحكومة .....	١٧٧
المحور الثالث: الاحتجاب الساخط .....	١٨٥
نتيجة البحث .....	١٩٣